

# **المسلمون المعاصرون الوهم و الجمود**

المسلمون المعاصرون

الوهم و الجمود

تصميم الغلاف: محمد عيد

تدقيق لغوي:

رقم الإيداع: 2015/ 2874

I.S.B.N: 978-977-488-355-2

---

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،

المرج الغربية، القاهرة.

المدير العام: يحيى هاشم

- 0114455255701147633268 هاتف:

E - mail: daroktob1@yahoo.com

Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

---

الطبعة الأولى ، 2015م

© جميع الحقوق محفوظة

دار اكتب للنشر والتوزيع

# المسلمون المعاصرون الوهم و الجمود

---

د. محمد الملاح



دار اكتب للنشر والتوزيع



"ربنا تقبل منا انك أنت السميع

العليم"



الى روحى أبى وأمى

"رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا"



## مقدمة

القصد من هذا الكتاب التنبيه بالاثبات أن تخلف المسلمين ليس مقصودا لهم، ولكنه مقصودا منهم.. فقد حمل المسلمون في تاريخهم موروثات الحزبية، والقبلية، والعصبية القومية، وحملوا بها الدين، أو بالأحرى جعلوها دينية، وجعلوا يؤلّون النصوص كي تخضع للحزبية، والقبلية، والعصبية القومية، وإذا لم يجدوا راحوا يضعون نصوصا، وأحداثا تدعم هذه الاتجاهات، وتعطيها دعما شرعيا بوضع الأحاديث، لتعذر ذلك في القرآن الذي لم ينج من محاولات توفيق نصوصه بالتأويل مع الأحاديث الموضوعة، حتى أصبحت هذه الأفكار أوهاما دخلت بالعقلية الاسلامية كهوف الجمود، التخلف بجدارة، وأصبحوا والعياذ بالله يصدون الناس عن دين الله.. بدلا من أن يكونوا دعاة مبلغين عن رسولهم صلى الله عليه وسلم، وقدوة صالحة خلق الله التائه هذه الأيام..

وقد أورتهم هذه الأوهام غرورا أدخلهم جحور اليهود الذين أخذوا عنهم كل شيء حتى فسروا القرآن بالتوراة الذى وصموه هم شخصا بالكتاب المخرف، والموضوع.. فأورثهم اليهود أخط معتقداتهم بأنهم "شعب الله المختار".. فتنجاهلوا الاسلام الذى بعث الله به كل الأنبياء، ووحدة هؤلاء الأنبياء فى العقيدة، والتوحيد - وهومانص عليه القرآن صراحة - وجعلوا أنفسهم متفردين بهذا الدين، واقتطعوه من سياق الرسالات ليكون لهم وحدهم، رغم أحاديث رسولهم الصريحة بأنه جاء ليتمم، وأنه صلى الله عليه وسلم الخاتم لسلسلة الأنبياء الذين كرمهم الله تعالى، وأكرم بهم البشر بتبليغ وحى السماء للناس.. ومن ثم راحوا يفسرون النصوص، ويضعون بعضها لاثبات أن المسلمين هم شعب الله المختار أيضا- كما فعل اليهود بالضبط - وأنهم جميعا سيدخلون الجنة، ولو بعد حين فقط لأن حجته على الله تعالى أنه مسلم، ولو ضرب الناس، وشتتهم، وسرقهم، وهتك أعراضهم، ونسوا الحديث القدسى الذى يجاجج من دخل النار من الذين قالوا كنا نحسن الظن بالله، لتجيهم الملائكة:

"-لو أحسنتم الظن لأحسنتم العمل.."

والحديث الشريف:

<< -نحن الأنبياء أولاد علات ديننا واحد >>..

وكأنهم أعطوا رخصة للأشقياء، وسيء السيرة في الحياة الدنيا، وبرروا كل أفعالهم المشينة فقط لأنهم مسلمين.. ونسوا أنهم يكررون مزاعم اليهود الغبية بأنهم أبناء الله وأحباؤه، ولا أدري كيف يجيبون بذرة من عقل على السؤال الحائر:

-كيف جعلكم الله أقل شعوب الأرض في كل شيء.. رغم عددكم، وثرواتكم؟!.. وأكثرهم هوانا عليه، وعلى الناس؟!.. وكيف أن أى أمة ناشئة في أى مكان من العالم لاتستطيع أن تؤكد ثققتها بنفسها، ومركزها في العالم الا اذا أهانت أى شيء يمت للاسلام، والمسلمين بصلة، لأنهم يوقنون تماما بأن هذا البغاث، وغطاء السيل الذى يملأ جنبات الأرض لايملك حتى الرد بالكلام، لأنهم مشغولون بأنفسهم، وبدنياهم.. يعبون منها حتى الثمالة، وحتى يضرب بعضهم رقاب بعض.. حتى دخلوا في قوله تعالى عن من سبقهم من اليهود:

"-بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى" الحشر 14 ..

وقد ناقشنا أوهام المسلمين المعاصرين في المسائل التالية :

-رسالة الاسلام(التوحيد)..)

فكل الأنبياء جاءوا بالتوحيد (رسالة الاسلام) منذ خلق الله آدم عليه السلام، وحتى محمد صلى الله عليه وسلم، وهو النبي الخاتم لهذه الرسالة حتى يوم القيامة التى هى يوم الدين، وقد سميت هذه الرسالة بالحقيقية السمحة منذ ابراهيم عليه السلام؛ عندما لج الناس بالشرك، وتاهو بين الآلهة المتعددة، والأوثان، وحادوا عن التوحيد..

-الاختلاف..

تحديد معنى الاختلاف بين البشر، وبين المسلمين أنفسهم..

-الكتاب..

تحديد معنى الكتاب، وتتبعه في القرآن الكريم من أول اللوح المحفوظ، ثم نزوله،  
وتاريخه عبر العصور..

-الدين..

تحديد معنى الدين، ثم تحديد معنى الاسلام في القرآن..

-الشرك، والكفر..

تحديد مسيرة الشرك، والكفر في القرآن، ودعوى الكافرين، وتشابه الكفر،  
وادعاءاته على مر العصور في القرآن..

-قضية التطور، وفتنة الاستنساخ ..

هل يتصور أن يتخذ الله سبحانه وتعالى خليفة له في أرضه منحى القامة، محدود  
العقل.. ويتحدى به الملائكة في العلم، ويسجدهم له تحية، واکراما.. ويباهى بعد  
ذلك بعبادته التلقائية له بينهم دون اجبار؟!.. واذا رضى الغرب أن يكون أصلهم  
بهايم عجماء.. فهذا شأنهم .. أما نحن فلماذا لم نأ بأصلنا، ونترفع عن هذا الأصل  
الردى، ونعلن أننا من نسل آدم عليه السلام - كما أخبرنا الخالق - ولذا فنحن  
أشرف من الغرب.. فقد كرّمنا الله، وأهنا أنفسنا مرتين.. مرة ببيع عقولنا للغربيين  
بأن رضينا بما يقولون، ومرة عندما أجزنا هذا الغناء، وتبعناهم في هذا الادعاء..

-نهاية بنى اسرائيل..

وتتبعها في القرآن الكريم، وتتبع تاريخها كأمة رئيسية من أهل الكتاب سبقوا  
المسلمين أهل الكتاب المهيمين(القرآن).. وبيان أوهام المفسرين نحو تفسير بداية  
الحشر في القرآن.. حيث اقترنت درايتهم بالتاريخ بما لم يخرج عن اطار التوراة،  
وبرز كل من الطبرى، وابن كثير اللذين جمعوا بين التفسير، والتأريخ ..

-الله.. هل علمه كعلمنا؟ ..

-فهل انتهى عمله سبحانه بالخلق كما يدعى البعض؟!..

-الأرض ..

-هل هي تدور فعلا كما تدعى وكالة ناسا، وحواريها من مشايخ المسلمين؟ ..!

فقد تبعهم المسلمون في ذلك.. بل دافعوا عنه بكل شراسة رغم اعلان القرآن، والسنة خلاف ذلك؟ ..!

-ولماذا؟ ..!

-هل لدى المسلمين أزمة في العقل، والفهم، والادراك السليم؟ ..!

-هل سقطوا في براثن الدونية، ومن ثم الانبهار بكل ماهو غربي؟ ..!

-أم صاروا ببغوات عجماء؟! .. وأراحوا عقولهم بالوراثة كما أراح أسلافهم عقولهم، وراحوا يتبعون التوراة نقلا، وتفسيرا، وقد كرمهم الله بالكتاب الصادق المهمين، وتعهد لهم بحفظه دونهم.. بعد أن انتشرت الكتب السابقة، أو حرفت، وأخذت معها الدين لنفس المصير..

-المعاملات (الأموال والثروات) في الاسلام..

تخلوا أذهان المتحمسين لتطبيق الشريعة تماما من ابراء ذمتهم المالية مما علق بها السلب، والنهب، وأكل الحقوق، ولا يتحدثون اطلاقا عن واجباتهم المالية لأقرب الناس اليهم ..

-حقائق تاريخية مغلوطة ..

كشفتها القرآن، وأماط عنها اللثام، ومع ذلك هجرها المسلمون، وساروا خلف من سبقهم من اليهود أول الاسلام.. وعندما تبعهم النصارى المعاصرون.. سار المسلمون المعاصرون خلفهم أيضا.. فكان المسلمين قد خلطوا بين قدسية نصوص الوحي، وقدسية نصوص البشر.. حتى نال هذا الخلط من العقيدة الصحيحة للاسلام دون دراية، وهو ما تجلّى في ثلاث حوادث كبرى:

1- نبي الله المبكر والمعلم ادريس عليه السلام ..

دور النبي ادريس عليه السلام في تبليغ الدين للبشر منذ بداية نزولهم الى الأرض بعد موت أبيهم آدم عليه السلام، وتتبع آثار هذا الدين في معتقدات الحضارات القديمة على ضفاف النيل، ودجلة، الفرات، وفي الفلسفة القديمة،

وبالتالى نفى ادعاء الجهلة، والأغبياء بأن المصريين القدماء اخترعوا الدين من أمثال هنرى برستيد فى كتابه "فجر الضمير"، الذى دعمه كبار أغنياء اليهود الأمريكيين للرحلة الى مصر، وتأليف هذا الكتاب، واستشهاد المسلمين به فى اختراع البشر للدين، واكتشاف الاله، وكأن الاله صنم يعبد.. وساهم أئمة المسلمين - قديما، وحديثا- فى بحس حق هذا النبى، ودوره ..

ففى كلمة للكاتب "جمال بدوى" مثلا بجريدة الجمهورية، وغيره فى مواضع أخرى عن وصول القدماء المصريين الى الدين، فهل يعقل مايقولون؟ ..

أم أنهم يبيغون بكلام الأجانِب بلا فهم، ولا تمحيص ..

فهل خلق الله المصريين أنبياء لأنفسهم؟.. أو على الخلق؟ ..

ولماذا لم ينشروا دينهم، وعقائدهم خارج مصر؟ ..

وما هو الدين الذى وصلوا اليه؟.. وبما كان يأمرهم؟..

هل كان تعالى سيخلق البشر - ومنهم قدماء المصريين - ويتركهم لهداية أنفسهم.. مثل الأب الذى يلد أطفالا ثم يلقى بهم الى الشارع ليلقوا حتفهم؟.. هل هذا أب؟.. وهل هؤلاء أولاده الذين ينتسبون اليه؟.. ويحملون اسمه؟.. أم أنهم خلقوا من غير اله؟.. أو خلقوا أنفسهم؟..

-2- فرعون موسى ..

-هل كان من قوم موسى؟ ..

-أم كان أحد ملوك المصريين القدماء؟ ..

والخطأ الذى وقع فيه المؤرخون، والمفسرون المسلمون باستسهال الأخذ من التوراة فى التاريخ، والتفسير، وكذلك الخطأ الذى وقع فيه المؤرخون الغربيون باقحام روايات التوراة - كتاريخ عنصرى لليهود - وتعميمه كتاريخ عام للمنطقة العربية(منطقة الرسالات السماوية)، واعتمادهم على المؤرخين اليهود بعنصريتهم الفجة..

-3 قوم عاد ..

-من هم؟ ..

-وهل كانوا سلالة خاصة من البشر؟ ..

-وما هو دورهم في التاريخ؟ ..

## طريق الاسلام

"-قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(64) يا أهل الكتاب لما تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون(65) هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلما تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنت لاتعلمون(66) ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين(67) ان أولى الناس يا ابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين(68)" آل عمران.. لخصت الآيات الاسلام في كلمات بسيطة هي:

"1-ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا.."

"2-والألا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله.."

وكما قال عن دعوة الرسل جميعا:

"-وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون"

الأنبياء 25..

"-ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" النحل 36

فينسحب الاسلام أيضا على كل الأنبياء، ومنهم ابراهيم عليه السلام؛ الذى نسبه كل من اليهود، والنصارى لأنفسهم رغم بعثه تاريخيا قبل اليهود، والنصارى.. ولهذا فكونه مسلما ككل الأنبياء فأولى به هذا النبي، والمؤمنون: - "واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول

مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى

قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين" آل عمران 81..

مابعث الله نبيا من الأنبياء الا وأخذ الله عليه العهد منذ آدم عليه السلام بالايمان بأخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم- وهو شرط الاسلام على النبي

المرسل في أى زمان- وينصره وذلك بتوصية أتباعه بالايان به أيضا - كشرط للاسلام- في الايمان بمنظومة الرسل كافة.. على أن تتابع التوصية حتى النبي الذي يليه وهكذا حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أكد في أكثر من حديث من أنه لو كان موسى، أو عيسى، أو كلاهما حيين ماوسعهما الى اتباعه..

ولم يكن الحدث الأعظم في حادث الاسراء من اجتماعهم كلهم عليهم سلام الله في بيت المقدس كى يصلى بهم اماما الا تأكيدا لمعنى الآية الكريمة، وتفسيرا عمليا لها، واتحادهم كذلك في كيفية الصلاة، واتجاهها يؤكد وحدة دينهم جميعا :

"-انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبوراً" النساء 163..

يصل الوحي في الآية كل الأنبياء فيما بين نوح، ومحمد صلى الله عليه وسلم.. الذى أوحى اليه القرآن، كما أوحى الزبور- وهو من الكتاب- الى داود عليه السلام:

"-لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا" النساء 166..

وكفى به تعالى شاهدا على هذا الوحي، والذى نزل بعلمه ليطلع عليه العباد من بينات، وهدى، وفرقان، كما تشهد الملائكة أيضا بهذا التبليغ:

"-وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون(43) بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون(44)" النحل..

"-وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون" الأنبياء 7..

تؤكد الآيات دخول النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم زمرة المنذرين، والمبشرين الذى يحذرون الناس، ويرشدوهم الى الطريق الصحيح الذى خلقهم الله تعالى من أجله:

"-وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" الذاريات 56..

والعبادة فى الآفة هى العمل الوحفد الذى سققوم به الانسان، لأنفا لله وحده دون شرك بغيره لم يخلق، ولم يرزق، ولا فملك لهم ضرا، ولا نفعا.. فاذا انتفت الغافة التى خلق من أجلها الانسان وهى العبادة، أو التوحيد فقد سار فى الطررق الذى لا فعلم مده الا الله تعالى، من التخبط، والاحباط بلا فعفن سوى الهوى:

"-أفراأت من اتخذ الهه هواه و أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه و جعل على بصره غشاوة فمن فهدفه من بعد الله أفلا فذكرون" الجاثفة 23..

"-ومن فيشرك بالله ففكأنما خر من السماء ففخطفه الطفر أو فقهوى به الررف فى مكان سحرق" الحج 31..

و ففخص الخمسة أولى العزم منهم بالمفثاق الغلفظ:

"-واذ أخذنا من النبفن مفثاقهم ومنك ومن نوح وابراهفم وموسى وعفسى ابن مررم وأخذنا منهم مفثاقا غلفظا" الأحزاب 7..

"-شرع لكم من الففن ماوصى به نوحا والذى أوحفنا فلك وما وصفنا به ابراهفم وموسى وعفسى أن أقموا الففن ولا فففرقوا ففه ففب على المشركن ماتدعوهم ففه الله ففجبى ففه من فشاء و فهدى ففه من فنبب(13) وماتفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغفا ففبهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لفضى ففبهم وان الذى أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مررب(14) فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا ففبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل ففبكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة ففبنا وففبكم الله ففبم ففبنا والفه المصفر(15)" الشورى..

فذكر الآفان هنا الأنفباء الخمسة أولى العزم، ولكنها ففكد على الففن الواحد الذى جاءوا به ففبعا، والذى وصاهم بابلاغه للناس ففبعا كل فى زمانه، ومكانه، وهوى:

"-أنه لا اله الا أنا فاعبدون" الأنفباء 25..

والحدفث الشرفف:

<<- نحن الأنبياء أولاد علات ديننا واحده.. >>

"- يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم(51)  
وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون(52)" المؤمنون ..  
بمعنى أنهم أسرة واحدة.. دينها التوحيد على الرغم من أنه:  
"- لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" المائدة 48..

فيتفرع من الدين "الشرعة"، و"المنهاج" ليعالج أمراضا دبت في الأقسام..  
مثل اشتهاه الذكور من دون النساء الذين أرسل اليهم "لوط" عليه السلام.. وهو  
مناف للفطرة، ولا بد أن النساء كانت لديهن هذه المثلية أيضاً، فلا يمكن أن يتعايشن  
مع رجال لا يشتهينهن :

"- ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين(80)  
انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون(81)" الأعراف..  
وينقطع النسل في الأمة فتقرض:

"- أتئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر" العنكبوت  
..29

علاوة على ما فيه من النجس، وتوابعه، والذي يفضلونه عن الطهر:

"- أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون" النمل 56..

"- أخرجوهم من قريبتكم انهم أناس يتطهرون" الأعراف 82..

ومثل نجس الناس، وتحسير الميزان عند قوم شعيب عليه السلام الأمر الذي  
يقضى على النشاط التجاري في نهاية المطاف:

"- والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءكم  
بينة من ربكم فافوقوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم" الأعراف 85..

ومن ثم النشاط الانساني كله، لأن التجارة هي مناط هذا النشاط.. حيث  
تتركز الأموال لدى قلة تكدهسها، ومن ثم تتحكم في رقاب العباد:

"- كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم" الحشر 7..

أو يحدث زواج المال، والسلطة لقهر العباد:

"-ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون" البقرة 188 ..

فلا بد أن يتفرع المنهج، والشرع ليتطرق لمعالجة هذه الآفات وإلا فما فائدة الرسالة إن لم تتفاعل مع البشر، وظروفهم، وأمراضهم لتعالجها ..  
وضرب الله لنا مثلاً في القرآن عن زواج المال، والسلطة بين قارون، وفرعون لقهر قوم موسى عليه السلام:

"-ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم" القصص 76..

"-ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله" آل عمران 64..

وقال عن دعوة الرسل جميعاً :

"-وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" الأنبياء 25 ..

فلخصت الآية الإسلام في كلمات بسيطة ..

"-ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.."

وينسحب الإسلام أيضاً على كل الأنبياء؛ ومنهم إبراهيم عليه السلام الذى نسبه كل من اليهود، والنصارى لأنفسهم رغم بعثته تاريخياً قبل اليهود، والنصارى، ولذا فكونه مسلماً ككل الأنبياء فأولى به هذا النبي، والمؤمنون به:

"-ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين" آل عمران 68 ..

"-يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون" آل عمران 65 ..

والآية تصف كل منهما(اليهود، النصارى) بالشرك الذى تنفيه عن إبراهيم عليه السلام، عندما ينسونه لأنفسهم :

"- ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين" آل عمران 67 ..

وليس الإسلام للأنبياء، والرسول فقط من البشر، ولكنه لكل من في السموات، والأرض.. ومن هنا للعاقل الذي يعي الإسلام لأي أمة من الخلق من جنس الملائكة، وحتى الكائنات الدنيا.. أما "الطوعية" فهي للمستطيع أن يقوم بهذا الدين، و"الكراهة" لم يتبعه بالرغم من عدم تهيؤه بخلقته للقيام بهذا الدين كسجود الشمس مثلاً تحت العرش، وهي قد تهيأت أصلاً لمهمة شاقة وهي الدوران حول الأرض.. ناشرة الضوء، والحرارة بانتظام في كل وقت.. فهي بهذه المهمة داخلية في الإسلام، والإستسلام لربها، ولما أمرها به، وخلقها من أجله.. ولكنها مع ذلك تقوم بأمر السجود أيضاً، وكذلك المسلم الذي أمر بالقتال وهو مكروه لما فيه من مشقة، وتعرض لفقد النفس، والمال.. وهو من مقومات الإسلام لله :

"-أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون" آل عمران 83 ..

ومن هنا أيضاً فالنبي مرتبط بمن قبله في الاسلام.. كما أنهم أيضاً مرتبطين به :

"-قل أئنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى عيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" آل عمران 84 ..

كما قال للمسلمين جميعاً :

"-قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" البقرة 136 ..

وبصفة عامة، ومطلقة:

"-ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" آل عمران 85 ..

والإسلام هو الدين الذي أرسل الله به جميع الرسل، وما جاءوا متتابعين حين أتوا إلا لتخليصه مما علق به من شوائب وضعها الواضعون، أما ما عداه من

أديان فما هي إلا ما اندثر منه مضافا إليه مجموع أقوال الكهنة، ورؤساء المعابد علقوها شرحاً على الوحي الآلهي، أو كتبوها بأيديهم وزعموا أنها وحي من عند الله :

"- فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله" البقرة 79 ..

وبين أيدينا كتابين من كتب الأديان التي كانت من كتب الإسلام المتزلة، وقد اشتمل عليها القرآن:

"- وانه لفي زبر الأولين" الشعراء 196 ..

"- وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه" المائدة 48 ..

"- نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (4)" آل عمران ..

ولكن الكتاين نالهما عبث البشر .. فهذه التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، وجاء فيها ذكر وفاته، مما يدل على أنها كتبت بعده، وقد اشتملت أيضاً على تاريخ "المصريين"، و"البابليين"، و"الأشوريين"، و"الفتيقيين"، و"الكلدانيين" من الأمم التي اختلط بها اليهود، ولا يعقل أن يتزل الله كتاباً يروى تاريخ الأمم بطريقة تحقرهم بلا سبب سوى معاداة اليهود لهم .. فليس من أجل هذا يتزل الله الكتب، ويجدد الدين هداية للناس ..

أما الإنجيل فهو ليس الأناجيل الأربعة الموجودة بين النصارى اليوم .. بل توجد أناجيل أخرى، فما هي إلا ترجمة حياة عيسى عليه السلام كتبها تلاميذه، وهي ليست ما أنزل على عيسى، وكلها تختلف عن بعضها البعض ..

"- فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" الروم 30 ..

"- كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من

بعد ماجاءتم البيئات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه" البقرة 213 ..

1-أمة واحدة(متصلة بالسماء)..)

2-أنبياء + الكتاب عند انقطاع الإتصال، أو هوانه ..

3-اختلاف لا اختلاف الفهم، والبغى، والهوى.. ورد الأحكام على الله..

4-تجديد الهداية من الله تعالى ..

وكانت البداية :

"-شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً" الشورى 43 ..

والحديث موجه ل محمد صلى الله عليه وسلم، وأمته المسلمة منذ نوح عليه السلام.. الذى نزل أيضا بالاسلام، وهو يقر بذلك فى القرآن:

"-ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين" يونس 72..

أى أن هذا الإسلام هو الدين الأول، والأخير الذى فطر الله الناس عليه، وهو ما ذهب إليه "ماكس موللر" الألمانى فى كتابه "أصل الدين وارتقاؤه" سنة 1889 ..

والاسلام دين الفطرة، والفطرة لغة "الخلقة"، والخلقة فى اللسان العصرى "الطبيعة" .. ومعناه أن الإنسان يحيا بمحض ما وهب من القوى العقلية بدون إرشاد ولا تعليم.. وهو ما أوحاه تعالى خالق الطبيعة إلى الناس من أول عهدهم بالوجود، ثم مازال يجدده ويطمس معالمه الجاهلون حتى أوحاه إلى محمد الخاتم، فوعد بحفظه من التحريف:

"-يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً" النساء

.. 174

"-إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون" الحجر 9 ..

ولما كان الإسلام دين الفطرة فهو لا يكلف الإنسان إلا بما هو مطبوع على البحث فيه، واعتقاده بما لا يقف حجر عثرة فى سبيل تقدمه وترقيه؛ لأن غرضه الأول تخلص النفس الإنسانية من تلك الكسف الظلمانية التى أسدلها عليها حفظة

العقائد، وسدنة المعابد، والزاعمون بأن لهم حق الوساطة بين المخلوق، والخالق، وليطهر الأفتدة مما ران عليها من آثار الموروثات والتقاليد، وما تراكم عليها من غلف التعصبات والجمود، أما ذلك الدين فهو الإسلام لله، بمعنى الإستسلام إلى أحكامه بالقيام على صراط الفطرة المجردة عن الأوهام، والأفكار البشرية التي هي داعية الخلاف:

"- إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم" آل عمران 19 ..

"- فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فإنا عليك البلاغ والله بصير بالعباد" آل عمران 20 ..

"-الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (52) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (53)" القصص..

ثم يلتفت إلى أولئك الذين خضعوا لسلطان الأوهام، وحصروا عقولهم في مضايق الخرافات :

"- إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس" النجم 23..

فيطالبهم بالدليل على ما حملت عقولهم فيقول :

"- اتتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين" الأحقاف .. 4

"-هل عندكم من علم فتخرجوه لنا أن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون" الأنعام 148 ..

"- هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" البقرة 111 ..

"- وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً" النجم 28 ..

ثم يتجه إلى الذين أسلموا:

"-ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى لقمان  
.. 23

"-ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً"  
النساء 125 ..

ويلقن القرآن النبي المرسل مبادئ الإسلام في هذه الآيات الموجزة بلا فلسفة،  
ولا تعقيد:

"-قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان  
من المشركين(161) قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين(162)  
لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(163) قل أغير الله أبغى ربا وهو رب  
كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم  
مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون(164)" الأنعام ..

وليس في الإسلام كهنوت، ولا كهانة، ولا وساطة، ولا هياكل.. بل ان  
المسلم شفيح نفسه تجاه خالقه.. يرجوا رحمته وغفرانه، والاتصال المباشر به، فلا  
كاهن، ولا رجل دين في الإسلام بل ان رسول الإسلام يقول:

<<-بلغوا عني ولو آية..>>

بمعنى كلنا رجال الدين ..

ان من أهم أسباب انحطاط المسلمين في العالم هو ترك المسلمين الدعوة إلى  
الإسلام، وانشغالهم بالسياسة فيما أسموه اصطلاحاً "الخلافة" .. والدعوة تحتاج الى  
العلم، والحكمة، والموعظة الحسنة من المسلمين.. فذاب الإسلام.. وانداح في  
بلادهم، وانقرض في أخرى بالحركات التبشيرية في الفلين، وجنوب السودان.. رغم  
وجود الخلافة(العثمانية)، ولم يقف المسلمون عند هذا الحد، بل تركوا دينهم أصلاً  
لغيرهم؛ يعيب به كيف يشاء حتى امتد العيب إليهم..وقد ابتليت الأمة بذهاب  
رجالها إلى جامعات أوروبا، وأمريكا للحصول على الدرجات العلمية(الدكتوراه)  
في العقيدة الاسلامية، والمواد الشرعية، ممن لا يدينون بها؛ بل واللغة العربية ممن  
لا يتكلمون بها، واستمرأ الغرب ذلك، وتلقى أول الأمر هؤلاء المسلمين ليجعلوهم

في طليعة رجال الدين في بلاد المسلمين ممن يسموهم "المعتدلون" وكأنهم يؤكدون للغرب بأن الإسلام دين الإرهاب فعلاً..

ولكن لأنه كما قال صلى الله عليه وسلم:

<<-الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة>>.. فقد رفض هذه الدكتوراه الغربية أجلاء العلماء من المسلمين الذين كان لهم أكبر الفضل في الدعوة لهذا الدين من أولئك الدكاترة الغربيين مثل أصحاب الفضيلة المشايخ "محمد متولى الشعراوى"، و"محمد الغزالي"، و"السيد سابق"، و"عبد اللطيف مشتهري"، و"سعيد حوى"، وغيرهم.. والأدهى، والأمر أنهم يحسبون هذا تقدماً، وهم على هذا الحال قروناً، ولم نجد منهم من تقدم قيد أملة.. إنما هو تقهقر، وفقر، وذل ..

وعلاوة على ذلك ترك المسلمون البقية الباقية من دينهم لقلّة منهم يدعوهم رجال الدين.. كان من جرائه أن أصبح الدين لا يعنى البعض في شئ.. فاللدين رجاله.. وما شأن الحياة بالدين؟!.. وما شأنه بالحياة؟!.. فالدين آخرة، وموت؛ ونحن أبناء الحياة.. حتى أصبح منهم من يقول:

"-اللييت رب يحميه .."

واستشرى الأمر على الساحة هذه الأيام في الصراع على لقب "دكتور" بدلا من "شيخ" خاصة تلك الطبقة التي يطلق عليها الآن "مشايخ الفضائيات"، فاقصر الأمر الآن على اللقب الذي يشترونه شراء من تلك الأكاديميات الداخلية، أو الخارجية التي اتخذتها تجارة رابحة للباحثين عن هذا اللقب من منازلهم.. فلا سفر، ولا دراسة، ولا بحث، ولا رسالة، ولا أساتذة ماخين.. فقط تحويل المبلغ المطلوب، كما أنهم أيضا لا ينتسبون الى جامعات، أو معاهد متخصصة في تدريس الدين كالأزهر مثلا، ولكن الأمر لا يعدو قراءة حرة في كتب لا يعلم بعدها، أو قريبا من الدين، ثم يلقي خطبة في مآتم، أو مسجد لتصبح هذه الخطبة هي اجازته الى الدعوة.. رغم أن بعضهم لا يحفظ القرآن، ولا يطلع على الأحاديث النبوية، وشرحها في المتون المعروفة، وبعضهم لا يعرف طريقا لكتب فقه المذاهب الأربعة مثلا، بل ان بعضهم لا يعيرها اهتماما؛ فيدعى أنه لا يعترف بها ليخفى جهله التام بها، أو لعله قرأها ولم يفهمها، ومن هنا جاءت الطامة الكبرى عن طريق من يدعون العلم بالدين،

ويتعرضون للدعوة.. فالدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى ليس له هيئة، أو نقابة لها مواصفات محددة، وتمنح شهادات لمن يتصدر للدعوة.. لكنها تركت للهواه، وأنصاف المتعلمين.. بل هناك من لم يتلق أى تعليم بالمرّة، ومن القرآن الكريم نفهم أن المتصدر للدعوة لا ينبغي أن يكون عالماً فقط.. بل لابد أن يتخطى العلم الى الحكمة، وحسن الجدل.. والا فلا يتصدر للدعوة أصلاً:

"- ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"

النحل 125..

لقد اتبع المسلمون في عهد الإزدهار نظاماً تعليمياً، و تثقيفياً يتناسب مع هذا الإزدهار.. فيحفظ الناشئ القرآن منذ نعومة أظافره، ثم ما قدر عليه من حفظه للنصوص الدينية؛ من أحاديث نبوية، وقواعد اللغة، والصرف .. ثم ينطلق محصلاً في سائر العلوم دون خوف عليه من الإنسياب، والشطط، وفي النهاية يخصص لنفسه العلم، أو المهنة التي ارتضاها، ووافقت مزاجه؛ واجتهاده، ولهذا نجد الإنسجام، والتآلف في كتب التراث الحضارى الإسلامى.. تتجلى في نظرتهم الشمولية للكون وللأشياء، ونظرتهم إلى العلوم ككل متكامل لا فرق بين طب، وفلسفة، ودين.. ولا يضطلع بعلم، أو مهنة الا بعد أن يكون قد قرأ كتبها على عدد من مشايخ العلم، أو المهنة المتخصصين فيهما ..

والقاعدة الأساسية أنه لا كهنوت، ولا رجل دين في الإسلام.. لئلا يرى أن الفقهاء قد جعلوا الدين في مرتبة أعلى من الناس، مع أن رب الناس انزله على قلب رجل منهم ليعيش الدين معهم، ولم يتناول به على أحد:

"- فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك

فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر" آل عمران 159 ..

فجعل رجال الدين ممن تسموا بالفقهاء يصنفون، ويؤيدون، وينقضون حتى دخلوا بالناس في دهاليز سبقوا بها الفلسفة اليونانية، وجدلياتها قبل ترجمتها الى العربية، واختفوا بالدين في فراغ الكهوف المظلمة.. فقسّموا الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، حتى أنهم انقسموا أيضاً، وغرهم العلم فجعلوه عالماً

على البسطاء، وهم غالبية الأمة، التي يخرج منها القيادات الدينية، والديوية، ولا أرى إلا أننا نحتاج الى ثورة ثقافية، إسلامية تعرف الناس بالقرآن، وصحيح السنة فقط دون الدخول في مسارب الفقهاء العميقة الغور؛ والتي لا ينظر إلى أقوالهم، واجتهاداتهم سوى أهل الإختصاص، والنظر، والاستنباط فقط، ولا يطلع منهم على الناس إلا من له القدرة على العرض والإيضاح) يعتبر الشيخ الشعراوي رحمه الله نموذجاً التف حوله الناس لبساطته، وجلوسه معهم).. فإذا أردنا قياس مسألة جدت في حياتنا، أو استنباط حكم، فحينها نحتاج إلى الرجوع إلى مجلس الفقهاء - وليس واحداً فقط - للدراسة، واستقراء المناهج المختلفة المتعلقة بالتشريع، واستنباط الأحكام ..

فقد كان الفقه في بداية عهده يهدف إلى الترجيح بين الروايات (روايات الحديث الشريف).. ولكن تغير الظروف حداً بالفقهاء إلى استخراج أحكاماً جديدة بناء على الأحكام المعروفة السابقة، فبدأ عهد التخريج من الأحاديث، والآثار.. وبهذا أصبح الدين "فنناً" ذا مصطلحات معقدة لا يعرفه، ولا يجيده إلا خبير الفقه.. فذهب الخشوع من القلوب، وتفرغ الفن الى "فنون" تورثناها عبر عصر الاجتهاد؛ مثل "التصوف"، و"علم الكلام" .. أصبح الامام بما جميعاً مستحيلاً على أى مسلم، ومن هنا تسرب الينا ائمال الدين، والفرقة فيه، وهى الفنون التي كانت مجهولة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يهتموا بالهيات، والحركات، والتعريفات، والتفريعات، قدر اهتمامهم بالجواهر، والخشوع، وما يحدثه في النفس من تغيير.. فكانوا يفهمون معنى الحديث:

<<- ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن لم تنهه صلاته فلا صلاة

له..>>

فكم من المسلمين يصلون، ولا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء، والمنكر، والبغى، قولاً، وعملاً ..

ثم نشأ جيل التابعين، وتابعى التابعين، واختلفت الروايات صحة، وضعفاً، وتشعبت الآراء، وظهر الإجتهد في العبادات، وانقسم العلماء إلى فريقين: محدثين(ملتزمين) بمديث رسول الله، وفقهاء(يهتمون بالقياس، والإجتهد،

والرأى).. فهل كان الصحابة يعلمون أن الوضوء يشتمل على 4 فرائض، 13 سنة، 8 مستحبات.. ومن هنا كثر الكلام في العبادات، وأهمل فقه المعاملات حتى نسيه الناس، وقد أهدى فقه العبادات للمسلمين رذيلتين هما "الجمود"، و"الإختلاف"، أما "التصوف" فقد أحدث في الإسلام ما لم يحدثه "الخوارج"، و"الشيعة"، و"المعتزلة" من قولهم أن للقرآن ظاهراً، وباطناً.. والمراد هو "الباطن".. فسموا بالباطنية(من باب الإستعلاء على الأمة)، وقد اجتمع الرأى على اتهامهم بالزندقة، وأن هذه الباطنية لإخفاء إباحيتهم وفسقهم، وزاد الطين بلة "علم الكلام"، وأشياعه، وقد صدق فيهم قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة:

<<-تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله، وبرهة بسنة رسوله، ثم يعملون بالرأى.. فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا..>>

كان ينبغي على المسلمين مثلاً القضاء على الرقيق - كما أمرهم دينهم - خلال جيل، أو جيلين كما يقول الأستاذ العقاد، ولكن المحاربين منهم مدوا هذا الزمن بجلب مزيد من الرقيق في الفتوح الإسلامية، ولم يبذل الفقهاء أى جهد في هذا السبيل؛ بل عززوه بتقنين أحكام خاصة بالرقيق، وأخرى خاصة بالحرائر، وهو ماكان من وسائل تفريق الأمة.. بل آثروا حياة العزلة عن السلطة؛ ربما بدافع الخوف منها، أو ايثارا للسلامة كما يقول الدكتور حسين مؤنس.. حتى أن الامام أبا حنيفة النعمان قد رفض القضاء أيام أبي جعفر المنصور، وبشدة مع أنه لم يطلبها، ولكنها جاءتته كما وصى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومات أبو حنيفة دون ذلك؛ وهو خطأ غير مبرر.. فإن لم يكن أبو حنيفة أهلاً لذلك فمن يكون إذن من الأمة؟!.. انه نخل عن المسؤولية وكيف يتعلم الناس العدل، والإحسان إلا بقدوة كهذا، ولكنها العزلة التي فرضوها على أنفسهم، ولم يكن صلى الله عليه وسلم امامهم في الدعوة كذلك، ولا أصحابه الكرام.. فكم تزوج صلى الله عليه وسلم مثلاً زيجات مختلفة لا ثراء اختلاطه بالناس.. من أجل الدعوة، وتأكيد أنه منهم، ولهم، وتعزيراً لدور المرأة في هذا المجتمع، فلم يعتزلهم قط في مرحلة من مراحل حياته، ودعوته..

جاء أحدهم الى الامام أحمد بن حنبل يستفتيه ان كان عمله مع الخليفة اعانة على الظلم.. فأفتاه بأنه ليس معينا على الظلم.. بل هو نفسه ظالم، ولا أدري لما لم يحاسب هذا الامام نفسه ليعتبر نفسه ظالماً أيضاً؟!.. أو على الأقل مشاركاً في هذا الظلم الذى ابتليت به الأمة التى حكم عليها بالظلم، وهو فيها، لأنهم رضوا بالخليفة الظالم.. ألم يقرأ قول الرسول الكريم: "مثلكم يولى عليكم" .. ولكنه الهروب من المسئولية، واستسهال ادانة الناس بالباطل.. وأن هذا الامام، وأتباعه حرموا على الناس الخروج على الحاكم، ولو كام ظالماً.. فماذا يفعل الناس؟ ..

يقول الغريون بسطحيتهم المعتادة فى الدراسات الدينية، أو نيتهم السيئة؛ ان الإسلام انتشر بالسيف.. فقد حمله الفاتحون على الخيول، وأسنة الرماح، فكان لهم الدور الأكبر فى نشر الإسلام، ولم يتعمقوا فى الدراسة أكثر من ذلك كالعادة ليتعرفوا على دور التجار، وأهل الزهد من الطرق الصوفية فى نشر الإسلام فى بقاع، وأقوام أبعد، وأكثر جداً من تلك التى انتشر بها الإسلام بالسيف كما يدعون، وقد يكون لهم بعض العذر حيث لا عذر للجهل، والكسل بالقعود عن الدراسة، والإستقصاء قبل إطلاق الأحكام ..

وقد غفل المسلمون تلك الأيام عن كتاب الله، ومن ثم غفلوا عن تعريفات كثيرة فى القرآن تركوها وتغافلوا عنها، وتاهوا فى تعريفات من هنا وهناك، وأصبح كتاب الله تعالى كاللوثن الذى يعبد من دون الله، فأصبح يقتنى فقط للتبرك، والتداول كتحفة فنية ثمينة تفتنت المطابع، ووسائل النشر فى تنميته وترزينه كى يتحقق لهم أكبر قدر من البيع، والتوزيع.. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لازال يشكونا الى الله:

"-وقال الرسول يارب انى قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً" الفرقان 30 ..

فهناك مفاهيم فى القرآن الكريم يجب ألا يغفلها المسلم العادى، فضلاً عن العلم بكتاب الله الذى أصبح لا يتحدث فيه منهم إلا الظاهر المشهور منه، ولا يسمع منهم كثيراً من يتحدث عنه سوى الراحل الشعراوى فى خواطره حول القرآن، والإسلام.. الذى يظن كثير من المسلمين أن الله أنزله فى سياق القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقط ..

وقد أفلح الغربيون أبان إستعمارهم للعالم الإسلامى فى الحد من نظر المسلمين فى كتبهم بكافة الوسائل.. فقاوموا تدريس اللغة العربية.. لغة القرآن، ثم بدأوا مرحلة تالية بصرفهم عن كتبهم بما تعلموه منهم من علوم تخالف صريح القرآن، فى الخلق، وبدائيات الخلق.. فأصبح المسلمون أنفسهم يعزفون عن كتاب الله دون جهد من أحد من غير المسلمين، فليس لديهم وقت لقراءته، أو حفظه حيث انشغلوا بالعلوم الأخرى، ولغات الآخرين، أو حتى النظر فيه، لأن كل معارفهم عن الكون، والحياة؛ وحتى التاريخ استقوها من مصادر غريبة تخالف كتاب الله مخالفة صريحة، فيصدقون أساتذتهم الغربيين، ولا يصدقون القرآن.. فمنهم من هو مصاب بالفصام، ومنهم من نحى القرآن جانبا كمصدر صادق للعلم، والتاريخ مدعيا - جهلا - أنه فقط كتاب للمواعظ..

ولعلنى أشفق على الجيل الذى عاصر حركة الإستعمار الغربى للعالم الإسلامى بقوة السلاح الذى مثل المادية، والمدنية فى عنفوانها.. ولا أقول الحضارة بالمعنى الكلاسيكى لها.. لأن الحضارة هى مجموعة من القيم التى هى بمعنى الشئ القيم، وليست هى سلبيات المدنية التى بدأت تظهر الآن، والتى بدأوا يعانون منها، ويشركونا معهم فى هذا العناء؛ مع أنهم لم يشركونا فى مدنيتهم إلا بقدر انتفاعهم منا مثل تصدير السلع لنا من الطائرة حتى المخلالات، والمشبهات، وبعض نفاياتهم، ومبازهم..

نزل القرآن مدعما للغة العربية، ومتحديا للعرب فى ثروتهم الوحيدة.. وهى اللغة، وفوق ذلك جعلهم الاسلام أمة ذات حضارة، ومكن لها دورا بارزا فى التاريخ.. فاحتلت أجزاء محسوبة فى الزمان، والمكان.. بيد أننى أرى أنه رغم نفع الاسلام للعرب؛ الا أنهم أضروه كثيرا، ولانراهم منذ فجر الاسلام، وحتى هذه الأيام الا أسوأ أمثلة المسلمين اذا ما قورنوا مع الأمم التى دخلت الاسلام من غيرهم.. رغم ما اشتهر عنهم من استعلائهم على الأمم المسلمة من غير العرب فى عصر الدولة الأموية، حتى سمو مادون العرب "بالموالى".. رغم قول النبى صلى الله عليه وسلم:

"-لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى".. فاتخذوا منهم عبيدا، ومماليك يحمونهم، وقد أدى هؤلاء الموالى من خدمات للاسلام تفوق ما أداه العرب..

كان "أحمد لطفى"، و"عبد العزيز فهمى"، و"طه حسين"، وغيرهم من أبطال الخط اللاتينى للغة العربية فى مصر(كما حول الفرنسيون أهل المغرب العربى- تونس، والجزائر، والمغرب- الى لغتهم الفرنسية) معتقدين - جهلا، واستخفافا- أن تغيير حروف الكتابة هو طريق التقدم، وماهو الا هدمًا لأحد الأركان التى تصنع هوية الدولة.. وهى اللغة العربية.. ومن ثم قرأها المكتوب بالعربية..

## الاسلام.. دعوة الرسل

"-وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون" الأنعام 153..

والسبل دون الاسلام(الطريق المستقيم) تأخذ الانسان بعيدا، ومن ثم فلا تقوى.. وقد استهل الله تعالى كتابه بتعريف شامل للتقوى التى هى:

"-الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3) والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يفتنون(4)" البقرة..

ودعوة الرسل هى:

"-ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" النحل 36..

والطاغوت الشيطان.. ويقول لرسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم موضعا له أزلية هذه القضية منذ بداية الخلق:

"-واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى" الأعراف 172..

"-فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الذى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" الروم 30..

"-صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" البقرة 138..

فالدعوة واحدة، وأزلية.. وليست جديدة كما بين لرسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم:

"-وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون" الأنبياء 25..

فى صحيح البخارى عن ابن عباس:

"- كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام.."

فمضى من الأنبياء "آدم" عليه السلام، ومن بعده "شيث"، ثم "ادريس" عليه السلام، وما كانوا الا معلمين لكيفية الحياة الجديدة على الأرض بوحي من الله تعالى، ولم يتركه الله تعالى مخلوقه الذى فضله على العالمين لكى يكتشف، ويخترع بالصدفة، أو غيرها.. كما يتوهم الضالين، المضلين من ذوى الحضارة الحديثة، وتابعيهم من جهلة المسلمين..

لقد كان الانسان دائما موضع عناية الله سبحانه، وتعالى (كما يفعل الانسان مع أولاده؛ لأنه رب).. فقد خلقه، وكان عليه تعالى تعهده بالهداية، والعلم.. ولم يكن ليتركه للجوارح، والضواري تنهى حياته.. فقد هياأ تعالى له الأرض، ولم يتركه نمبا للعوامل الجوية يصارعها كما يدعون؛ من عصور تليجية، أو مطيرة اجتاحت الأرض.. فما المبرر اذن لوجوده فى الأرض والوضع هكذا، وعادة مايتحرك الانسان فى اتجاه صفاء الجو، واعتداله، وتهيئة الظروف المعيشية لنفسه، ولنسله(فالحشرات، والحيوانات، والنباتات تفعل ذلك.. فما بال الانسان ذو العقل، والتمييز).. ولماذا لايعيش الانسان حاليا- ان كان مايدعونه حقا- فى القطبين الشمالى، والجنوبى بوسائله الحديثة، وحضارته التى ذلت سبل العيش؛ مادام قد استطاع الحياة فى عصور الجليد الأولى؟!.. ان كل نظريات نشأة الأرض ظهرت غالبا بعد داروين:

"-ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" الاسراء 70..

ثم تلهى الناس بالحياة، وأخذتم هنا، وهناك.. فنسوا ماذكروا به، وأدخل عليهم الشيطان الشرك بالله، وماكان تعالى ليدعهم وشأنهم يتخبطون.. فأرسل الرسل:

"-لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره"  
الأعراف 59..

"-واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبير عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم

عليكم غمة ثم اقصوا الى ولا تنظرون (71) فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين(72)" يونس..

وجاء نوح عليه السلام بالاسلام فى الآيه المذكورة.. وهو من طلائع الرسل:

"-ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين(25) أن لا تعبدوا الا الله (26)" هو..

"-ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون" المؤمنون 23..

وفى سورته التى سميت باسمه عليه السلام:

"-قال يا قوم انى لكم نذير مبين(2) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون(3)" نوح..

"-قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا" نوح 21..

وهم الكهنة، وعلية القوم.. المترفون، أو المأبغة القرآن..

"-ومكروا مكراً كبارا(22) وقالوا لا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا(23)" نوح..

وقد كانوا آلهة أدخلوا فيهم هؤلاء المذكورين لصالحهم، وهى عادة بشرية خلفتها الكهانة التى أضلت الناس واستعبدتهم بآلهة اختلقوها، وخلطوا فيها الجيد بالردئ كى يصدقهم الناس، ويصدقوا عليهم كما فعل الكهنة المصريون بإدريس عليه السلام :

"-واذكر فى الكتاب إدريس أنه كان صديقاً نبياً(56) ورفعناه مكاناً علياً (57)" مريم..

ويبدو أن الرفع كان بناء على مؤامرة كما نشتم ذلك من قصة أوزوريس التى قصها الكهنة، فانتهزوا مسألة الرفع هذه واستفادوا منها لصالحهم، كما استفادوا من صدقه، ونبوته، وتعاليمه، وما علم للناس، وليسوه من أجل مصلحتهم.. كما لبس الشياطين منازل به الملكين ببابل هاروت، وماروت من صحيح السحر الذى استغله الكهنة لقلب حال الناس، وعلموه لهم بمقابل :

"-فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه" البقرة 102..

إذا ماذا سيستفيد بالتفرقة بين المرء، وزوجه إلا المنفعة الزائلة لأنفسهم، والتعالى على الناس بغير الحق، ومن هنا أخذ الكهنة أيضاً مسألة الرفع هذه لتأكيد الملك، وجعلهم الملك الحاكم من نسل الألهة كما ألهوا إدريس نفسه، وحرفوا اسمه الى "أزوريس"، وانتزعوا تعاليمه لأنفسهم - بعد أن حرفوها - كي يضلوا بها الناس، ويستغلونهم، ويقاسموهم أرزاقهم الزهيدة.. فهم يرهبون الناس بالآلهة ..

ولكنهم يستطيعون جلب منافعهم للناس، وكان الآلهة أتباعهم وليس العكس.. فكان على الناس أن تدفع للكهنة كي تتجنب غضب الآلهة، أو غضب هؤلاء اللصوص، وقد دخلوا على الملك بهذا، وجعلوه إلهاً يعبده الناس، ويقدمونه ليستعبدهم، والإله لا يموت كما يعرف الناس، وكذلك الملك لا يموت.. ولكن الإله الأكبر، أو والده الإله قد رفعه إلى السماء.. لقد تحالفوا هم أيضاً مع الشيطان؛ كما فعل البابليون بعد ذلك، وكما فعل النصارى حين ألهوا المسيح بعد أن رفعه الله ..

وكان الملك، أو الحاكم في مصر القديمة، وفي غيرها من البلاد القديمة مثل بلاد الرافدين تجبى إليه الضرائب لتملاً خزائنه، وتقوم الحروب اعلاء لذكوره، وتنشأ العمائر تكريماً له، وكانت الرعية ملكا له يتصرف في حياتها، وأرواحها كيفما يريد، ويقوم مستشاروه الى جواره؛ الى جانب طائفة الكهنة، والأسرات الغنية من النبلاء، والقواد الذين كان لهم نفوذهم.. وكان الملك يغدق عليهم على حساب الشعب في الوقت الذى يؤلب فيه طائفة ضد أخرى ليستقيم له الأمر، وليضمن لنفسه حكماً طويلاً مملؤاً بالخير، والبركات..

ولم يكن الاله - اله المدينة - يرمى شئون المملكة، أو المدينة شخصياً.. بل يختار وكيلاً يعهد اليه برعاية شئون شعبه.. فكان الملك، أو رجل الدين - وكثيراً ما كان الملك هو الكاهن الأعظم للاله - يستغل الشعب باسم الهه المعبود، وكان الملك هو المشرف على الادارة المدنية، والدينية لا يلبث أن يؤله نفسه فيصبح المتصرف في المعابد، وأملاكها، وخيرات البلاد، وفي شعبه المسكين..

"-والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون"  
الأعراف 65..

"-والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" هود 50..  
وقال تعالى عن قوم عاد، ونبيهم هود بعد ذكر قوم نوح في سورة المؤمنون:  
"-ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين(31) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا  
الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون(32).." )  
وفي سورة الشعراء :

"-كذبت عاد المرسلين(123) اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون(124) انى  
لكم رسول أمين(125) فاتقوا الله وأطيعون(126).." )  
وفي الأحقاف - الآية 21:

"-واذكر أبا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن  
خلفه ألا تعبدوا الا الله.." )  
"-والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" الأعراف  
73..

"-والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" هود  
61..

"-كذبت ثمود المرسلين(141) اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون(142) انى  
لكم رسول أمين(143) فاتقوا الله وأطيعون(144)" الشعراء..  
"-ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله" النمل 45..

"-وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون  
(16) انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله  
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون(17)"  
العنكبوت..

ومرة أخرى لقومه :

"- قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين" الأنبياء 56..

ومرة ثالثة يعرف أبيه، وقومه بالاھم الحق، والھه؛ بعد أن يسفه استسلامھم لعبادة الأصنام:

"- اذ قال لأبيه وقومه ماتعدون(70) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (71) قال هل يسمعونكم اذ تدعون(72) أو ينفعونكم أو يضرون(73) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون(74) قال أفأرأيتم ماكنتم تعبدون(75) أنتم وآبائكم الأقدمون(76) فانهم عدو لى الا رب العالمين(69) الذى خلقنى فهو يھدين(70) والذى هو يطعمنى ويسقین(71) واذا مرضت فهو يشفين(72) والذى یمیتنى ثم یحییین(73) والذى أطمع أن یغفر لى خطیئتى یوم الדיن(74)" الشعراء ..

ویدعو ملکہم الذى ادعى الالوھیة، وراح کھنته یروجون هذا الادعاء بین رعیتھ کى یتحکموا فى رقابھم، وأرزاقھم.. فما كان منھ الا سفسطة الجهل، وسفھه الجبروت:

"- ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى یحیی ویمیت قال أنا احمى وأمیت قال ابراهيم فان الله یأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر" البقرة 258 ..

"- واذ بوأنا لابراهيم مکان البيت أن لا تشرك بى شینا وطھر بیتى للطائفین والقائمین والركع السجود(26) وأذن فى الناس بالحج یأتوک رجالا وعلى کل ضامر یأتین من کل فج عمیق(27)" الحج..

"- وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طھرا بیتى للطائفین والعاکفین والركع السجود" البقرة 125..

"- واذ یرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انک أنت السميع العليم(127) ربنا واجعلنا مسلمین لك ومن ذریتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسکنا وتب علینا انک أنت التواب الرحیم(128) ربنا وابعث فیھم رسولا منهم یتلوا علیھم آیاتك ویعلمھم الكتاب والحكمة ویزکیھم انک أنت العزیز الحکیم(129)" البقرة..

ويخبر القرآن عن اسلام ابراهيم عليه السلام، ثم بنيه:

"- اذ له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين(131) ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون (132) أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون(133)" البقرة..

"- كذبت قوم لوط المرسلين(160) اذ قال لهم أخوهم لوط آلا تتقون(161) اني لكم رسول أمين(162) فاتقوا الله وأطيعون(163)" الشعراء..

وعن القرية التي أمطرت مطر السوء.. التي كان فيها القوم الفاسقين الذين أرسل فيهم لوط عليه السلام :

"- فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين(36) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين(37)" الذاريات..

وهم لوط عليه السلام، وأهله.. ماعدا زوجته التي شايعت الفاسقين..

درس إبراهيم عليه السلام علوم القوم التي كان منها علم الهيئة، أى الفلك من كواكب، ونجوم:

"- فنظر نظرة في النجوم(88) فقال إني سقيم(89)" الصافات..

بمعنى أنها أصيب بالمرض سخرية منهم، ومن معقداتهم، اذا كانوا لا يدرسونها كعلم نافع، ولكنهم كانوا يربطونها بمصير الانسان، ومستقبله، وهو ما أنكره عليهم ابراهيم عليه السلام.. فأطلعه الله تعالى على الملكوت كله ليثبت ايمانه، ويقينه في الله :

"- وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين(75) فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين(76)" الأنعام ..

ويرجح أنها كوكب "الزهرة" من الكواكب السيارة مثل: عطارد، والمريخ، والمشترى، وزحل، ولكنها من ألمع الكواكب، وهو تشرق، وتغرب حتى تغيب في

آخر الليل، لتشرق في الليلة القابلة على هذا المنوال؛ فهداه الله أن الأفول ليس من شيم الرب، والإله الصمد.. فجرب الأكبر، والأظهر، والأكثر نورا :

"- فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الظالمين" الأنعام 77..

طلب الهداية، والمدد من الاله الحق الذى خلق من وراء هؤلاء، وإلا سيكون ظالماً لنفسه مثل قومه؛ وهنا يدخل الإله معه في هذه التجربة الأخيرة التى جاوز بها المدى، فقد وقف القوم عند عبادة الشمس، أو أى مظهر لها، فما من أمة فى التاريخ إلا عبدت الشمس لأنهما <<- : تخرج بين قرني الشيطان.. >>

والشيطان قد توعد بنى آدم بالضلال، والإضلال.. ولكن إبراهيم عليه السلام قد إلتجأ إلى الكبير المتعال :

"- فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون (78) إني وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين (79)" الأنعام..

فلم يقف إبراهيم عند هذا من إكبار للشمس وتألبيها مثل قومه.. ولكنه تجاوزها إلى خالقها فلا يصح للخالق الصمد أن يأفل، وهو كبير، وساطع هكذا.. ولذا قال عنه ربه:

"- إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً وما كان من المشركين" النحل 120 ..

فقد تجاوز أفكار قومه العقيمة، السقيمة، المتبوعة بلا تفكير، أو تدبر، ويزخر التاريخ بما قالوه عن الشمس، وما وقفوا به عندها..

"- والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" الأعراف ..85

"- والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" هود ..84

"- كذب أصحاب الأيكة المرسلين (176) اذ قال لهم شعيب ألا تتقون (177) انى لكم رسول أمين (178) فاتقوا الله وأطيعون (169)" الشعراء..

والصبر من الاسلام؛ وهو من شيم الأنبياء دائما حال البلاء، والابتلاء..  
مثلما حدث لابراهيم، وابنه الأكبر اسماعيل النبيين عليهما السلام:

"-فلما بلغ معه السعى قال يا بني انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى  
قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين" الصافات 102..

ولهذا يذكره القرآن فيمن أدخلهم الله تعالى فى رحمته، وفى عباده الصالحين  
"-واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين(85) وأدخلناهم فى رحمتنا  
افهم من الصالحين(86)" الأنبياء..

وعن صفات الاسلام؛ والدعوة اليه.. التى كانت فى اسماعيل عليه السلام:  
"-واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا(54)  
وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا(55)" مريم..  
ولايشيه السجن عن الدعوة الى الاسلام.. فيقول يوسف النبي عليه السلام  
لصاحبيه:

"-ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم  
كافرون(36) واتبع ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك  
بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس  
لايشكرون(37) يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار(38)  
ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان  
الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون(39)" يوسف ..

وكما حدث لابراهيم عليه السلام عند مناظرته لطاغية بابل بأرض الرافدين،  
كانت هذه المناظرة بين موسى عليه السلام مع أخيه هارون، وبين طاغية مصر  
بأرض النيل برغم ما بينهما من زمن، وكلاهما دولة ذات حضارة، وجند؛ سأل  
فرعون الطاغية وقد بدأ يهتم بما يقوله موسى النبي عليه السلام :

"-قال فمن ربكما يا موسى" طه 49..

يجيب عليه السلام:

"-قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى" طه 50..

ثم يستفسر فرعون:

"-فما بال القرون الأولى" طه 51 ..

وسواء يسأل عن تاريخهم، أو أخلاقهم، أو مصائرهم الأخروية؛ فيجيبه  
النبي عليه السلام دون خوض في فرعيات لا تجدى شيئاً في الدعوة إلى الله، أو  
إدعاء العلم:

"-قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى" طه 52..

دون الرجوع بالغيب، والخوض فيما لا يعلم إلا ظناً، أو ترجيحاً ممن يسردون  
التاريخ، وكأنهم قد اطلعوا عليهم، وليس مما بقى عنهم إلا آثاراً وصوراً ..  
وعندما كان فرعون في الترع الأخير:

"-حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل  
وأنا من المسلمين" يونس 90..

ومع تكبره عن ذكر اسم الله صراحة.. فقد كان يعرف الاسلام الذى نسب  
نفسه اليه في لحظاته الأخيرة، وكان يعرف أن بنى اسرائيل مسلمين في زمنه..

ولكن السحرة الذين جلبهم فرعون من مدائن وادى النيل كما نصحه ملاءه  
من عليه قومه كانوا أحسن فهما للاسلام، وادراكا للاله الحق، وهم من أركان  
دولة وادى النيل الذى تحكم فيها فرعون، وكانوا بحكم علمهم، ووظيفتهم على  
صلة بعامه الناس، وكذلك على صلة بكهنة وادى النيل ويقول القرآن عن هؤلاء  
الملاء، ومن شايعهم من بنى اسرائيل فى بلاط الفرعون، وفى حضور موسى عليه  
السلام:

"-قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم(109) يريد أن يخركم من  
أرضكم فماذا تأمرون(110) قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين (111)  
يأتوك بكل ساحر عليم(112)" الأعراف..

فهم يروجون بين الناس أن فرعون هو الاله، أو ابن الاله، وأنه قدرهم على  
الأرض، وهذا ما يعطيه شرعية حكمه، ودولته بين الناس فى الداخل، والخارج..

في مقابل أن يمنحهم فرعون المزايا، والعطايا من اقطاعات، وهبات، وتحكم في مقدرات الناس، وأرزاقهم؛ فكانوا أغنى من فرعون نفسه(مثل قارون)، والا انقلبوا عليه، ومعهم الناس أيضا.. ولذا كان السحر من أهم علوم وادى النيل التي لاينالها الا الخاصة من المختارين من سدنة النظام، ولم يكن علما نظريا.. بل كان علما تجريبيا يمارس أمام الناس، ولذا كانت هذه الطبقة تحصل على أسباب معيشتها اعتمادا على الناس من هذا العلم، يقول القرآن عنهم:

"-وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين(113) قال نعم وانكم من القربين(114)" الأعراف..

فكان السحر هو كل شيء في حياة المصرى آنذاك في دنياه من زواج، وانجاب، وزراعة، وصناعة، وغير ذلك، وحتى في آخرته.. فهو لا يستطيع أن يلقي الآلهة في العالم الآخر الا بالسحر، والتمائم كى يدلس عليهم ما فعله من ذنوب في حياته الدنيا.. يقول القرآن الكريم عن قوة سحرهم:

"-فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم" الأعراف  
..116

حتى أن قوة سحرهم أدهشت موسى نفسه، وأخافته رغم نبوته، واتصاله بالوحي.. فيصف لنا القرآن الكريم هذا المشهد من مناظرته عليه السلام هؤلاء السحرة العلماء الأقوياء أمام فرعون:

"-قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى(65) قال بل ألقوا فاذا حباهم وعصيتهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى(66) فأوجس في نفسه خيفة موسى(67) قلنا لا تخف انك أنت الأعلى(68) وألقى ما فى يمينك تلقف ماصنوعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى(69)" طه..

"-فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون(118) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (119)" الأعراف..

وكانت المفاجأة للجميع، وبداية انهيار ركن من أركان الدولة.. دولة فرعون، وهم هؤلاء العلماء الذين كان فرعون متحكما في دولتهم بظلمه،

وجبروته، وقد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام في أنحاء وادى النيل.. فهم يعرفون السجود، وقبل السجود يعرفون رب العالمين:

"-وألقى السحرة ساجدين(120) قالوا آمنا برب العالمين(121) رب موسى وهارون(122)" الأعراف..

ويتوالى الانهيار أيضا بدخول رسالة موسى عليه السلام بيت فرعون نفسه، بعد أن ربي موسى في بيته، وذلك بإيمان واحد من أهل فرعون، وأصبح يؤازر موسى، وأخيه في دعوتهما لفرعون، وملته، وقومه:

"-وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد(38) ياقوم انما هذا الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار(39) وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار(40) تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار(41)" غافر..

وبلغت الدعوة زوجته أيضا.. فتستغيث بالله من فساد فرعون، وجنوده:

"-وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين" التحريم 11..

ومن رسل القرآن أيضا الياس عليه السلام:

"-وان الياس لمن المرسلين(123) اذ لقومه ألا تتقون(124) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين(125) الله ربكم ورب آبائكم الأولين(126)" الصافات..

وفى دعوة سليمان عليه السلام للملكة اليمن:

"-قالت ياأيها الملأ ابنى ألقى الى كتاب كريم(29) انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم(30) ألا تعلقوا على واتونى مسلمين(31)" النمل..

يتلاحظ عدم ذكر كثير من أنبياء بنى اسرائيل وهم كثيرون لأنهم كانوا يعرفون الله، ولهم خبرات حية بهذه المعرفة، فكانت الرسل للتذكير، وحل ما حرم عليهم من قبل من كثرة زلاتهم، واعتمادهم على أرباب الدول التى دخلوها.. ففسوا الههم الحق.. ولكننا ذكرنا الرسل الذين كانوا يأتون أقواما رانت على

قلوبهم الوثنية، وتفنتوا في الشرك، والابتعاد من رحمة الله بعباده طبقا للقاعدة الأزلية:

"-وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" الاسراء 15..

وفي ذلك اتبعنا ما ذكره القرآن..

أما قافلة الايمان الخاتمة فيذكرها بالعهد، وأمم الايمان التي خلت:

"-قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" البقرة 136..

ثم يعرف هذا بقوله:

"-ومن يبتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" آل عمران 85..

"-أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون" آل عمران 83..

"-ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا" النساء 125..

"-ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين" آل عمران 68..

وأیضا لرسوله الخاتم عليه الصلاة والسلام:

"-قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" آل عمران 84..

"-انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط" النساء 163..

"-ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين" النحل 120..

"-ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين" النحل  
..123

"-قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم ديننا قيما ملة ابراهيم حنيفا وماكان  
من المشركين(161) قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين(162)  
لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(163)" الأنعام ..

"-واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و من نوح و ابراهيم وموسى وعيسى  
ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" الأحزاب 7..

ونلاحظ أن الأنبياء أولى العزم بعثوا في دول كبيرة، أو على حدود دول  
كبيرة، وهم: نوح، و ابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة، والسلام:  
1- نوح.. الدولة كانت قبل الطوفان، واندثرت هائيا، ولم يبق منها أى أثر،  
ولكن خبر الطوفان ظهر فقط في أساطير الدولة البابلية فيما بعد، وهى التى  
عاصرت ابراهيم عليه السلام..

2- موسى.. وقت تجر فرعون على مصبات النيل الشمالية في مصر..

3- عيسى.. الدولة الرومانية في أوج مجدها..

4- محمد.. على حدود الدولتين الكبيرتين المتناطحتين.. الرومانية،  
والفارسية.. والرومانية امتدت من عيسى حتى محمد ..

"-واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول  
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا  
أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين" آل عمران 81..

عن ابن كثير.. قال على بن أبى طالب، وابن عمه ابن عباس رضى الله  
عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى  
ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء  
ليؤمنن به ولينصرنه؛ وفي بعض الأحاديث:

<<لو كان موسى وعيسى حين ماوسعهما الا اتباعى ..>>

فهو الرسول الخاتم، والامام الأعظم الذى أم الأنبياء ليلة الاسراء - كما ذكرنا - عندما اجتمعوا له فى بيت المقدس باذن الله تعالى - وهو حدث له دلالة تؤكدها هذه الآية، ولو غفل عن ذلك المسلمون - ونضيف الى هذا التفسير أن هذا الميثاق من الایمان، والنصر قد كان من دعوة الأنبياء لأتباعهم من المسلمين الذين ينبغى أن يؤمنوا بكافة الأنبياء- من أول آدم حتى محمد عليهم السلام جميعا - ، وليس نبى زمنهم فقط حتى يكتمل ایمان المسلم منذ آدم وحتى محمد عليهم السلام.. وهو مايفسر الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن عن الصفوة المؤمنة من أهل الكتاب بالذات، والتى نعتقد أنها لا تقتصر فقط على القلة التى عاصرت النبى محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود، والنصارى أمثال عبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وابن كعب من اليهود، والنجاشى، وأتباعه من أهل الحبشة من النصارى، فلعلهم لا يقتصرون على هذه الأعداد البسيطة، ولكنها كثيرة على مدى العصور الى عصرنا هذا، ولا يعلمهم الا الله تعالى، وتلك الآيات الكثيرة نسبيا لانعتقد أنها تنزل لتخليد هؤلاء النفر فقط الذين تواجدوا فى عصر واحد:

"-وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عن ربهم ان الله سريع الحساب" آل عمران 199..

"-الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون(52) واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين(53) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون(54) واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلم عليكم لانتبغى الجاهلين(55)" القصص..

"-الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به" البقرة 121..

"-ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" الأعراف 159..

"-ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون(113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين(114) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه  
والله عليهم بالمتقين(115)" آل عمران..

"-قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون  
للأذقان سجدا(107) ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا(108)"  
الاسراء ..

## أصل الاسلام في الأزل

"هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا" الانسان 1..

الاجابة: - نعم..

-هل كان هناك اسلام، ودين قبل الانسان؟!..

الاجابة: - نعم..

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3)" الرحمن ..

ويقول لرسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم موضحا له اذلية هذه القضية منذ بداية الخلق:

"-واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى" الأعراف 172..

والآية توضح أصل التوحيد في الأزل، وتبدأ بحقيقة علمية أن ذرية آدم تخرج من ظهره:

"-فلينظر الانسان مما خلق(5) خلق من ماء دافق(6) يخرج من بين الصلب والترائب(7)" الطارق..

والصلب هو العمود الفقري في الظهر الذى يقيم الانسان، ويجعله مستقيما الى أعلى .. ليميز عما هو دونه من الحيوان، أو ربما هو صلب الرجل المنتصب ليودع الماء المهين، أو النطفة بالدفق في قرار مكين:

"-ألم نخلقكم من ماء مهين(20) فجعلناه في قرار مكين(21) الى قدر معلوم(22)" المرسلات..

ويشرح القرآن ملامح الخلق، وعلاقاته التى لاتنتهى:

"-ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة" الحج 5 ..

ويجمع فى علاقة لطيفة بين التراب، والماء الذى خلق منه هذا الانسان.. فيأتى بالتراب الذى تمثله الأرض فى أول الآية، ثم فى آخرها:

"وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من زوج بهيج" الحج 5..

وكان المرأة مثل الأرض التي يحييها الماء (ماء الرجل) فينتشر البشر، ويعمرون، وهي تلد الأزواج من الأولاد، والبنات، كما تنبت الأرض النبات في أزواج من أجل التكاثر الذي هو سر الحياة، والنماء.. وهو تعالى لا يخلق فقط، والا أصبحت خلقة بلا هدف، ولا معنى، ولكنه يسوى، ويعدل:

"ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم(6) الذى خلقك فسواك فعدلك(7)"  
الانفطار..

والحامض النووى الذى كان أصله فى ظهر آدم عليه السلام، وانتقل الى ذريته لايزن الجرام على طول عمر، وكثرة هذه الذرية، وهو الذى نقل الميثاق منذ آدم بأنه ليس من خالق الا هو.. فهو تعالى كصانع ابتكر، ثم سجل اسمه على الابتكار.. بيد أن الاعجاز أن هذا الابتكار يدرك ماهية نفسه، ولا بد أن يدرك مبتكره، وصانعه أيضا:

"ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" الزخرف 87..

أى يشهدون بالصانع الأوحد، والأعلى بفطرتهم التى ركبت فيهم منذ الأزل..

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

<كل مولود يولد على الفطرة..>

والفطرة هى دين التوحيد.. وهو الاسلام:

"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" الروم 30..

وفى صحيح مسلم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة (حديث قدسى):

<<- انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم..  
وحرمت عليهم ماأحللت لهم..>>

"-انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا" الانسان 2..

والأمشاج هى الطور الجينى للحيوان المنوى، أو البويضة ثم يبتليه منذ هذه المرحلة المبكرة - مرحلة الأمشاج - فينظر كيف هو - حافظا للميثاق منذ كان فى ظهر أبيه آدم أم نسى ولم يهتم - قبل أن يشق فيه سمعه، وبصره، ويكون أعضائه فى الرحم..

ولكن للأسف لم يحفظ كثير من الناس عهد الله، وميثاقه.. رغم الرسل،  
والكتب:

"-وماوجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين" الأعراف

..102

وكان الناس أمة واحدة

"-كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم" البقرة 213..

"-ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" المائدة 48..

"-و ما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون" يونس 19..

"-وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" الانبياء 92..

"-ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم (51) وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون(52) فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون(53)" المؤمنون..

رواية ابن عباس:-"كان بين نوح، وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا.. فبعث الله النبيين مبشرين، ومنذرين" .. بما يعنى أن الشرك حادث في الناس، وأن الناس كانوا على دين واحد، وهو الاسلام.. ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعبدت الأصنام، والأنداد، والأوثان(البقرة 213).. فبعث الله الرسل بآياته، وحججه البالغة، وأحكامه الظاهرة في كتابه(المائدة 48).. ولولا وعد الله أن لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه، وأنه أجل الخلق الى أجل معدود لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه، وما أصبحوا فيه من زبر، وأحزاب(يونس 19، والمؤمنون 53)..

"-ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين(118) الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين(119)" هود ..

"-ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتستلنن عما كنتم تعملون" النحل 93..

"-ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير" الشورى 8..

"-ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سفقا من فضة ومعارج عليها يظهرون" الزخرف 33..

ولايزال الاختلاف قائما بين الناس، والى يوم القيامة، وهذا خلقهم الذى فطرهم الله عليه، وهو الاختيار، وحرية الاختيار فيما يدينون، ويعتقدون، ومن هذه الفطرة الحرة فى الاختيار يأتى الاختلاف.. ولو اجتمع الناس كلهم على الكفر ليتعجلوا طبيبات الدنيا، ويتنافسوها.. وهذا لا يكون مادامت رحمة الله قائمة فى الدنيا يرحم بها المتقين، والذين تسابقوا فى الأعمال الصالحة، والخير، والذين تواصلوا بالحق، والصبر.. وقد أنبأنا تعالى بأنه ستكون فتنة عندما يعطى الكافرين الزينة، والزخرف حتى يوم القيامة، وهم الآن يمتلكون السماء بالطائرات، والنفاثات، وأقمار التجسس، وراجمات الصواريخ، والقنابل التى يظهرهم بها على الناس جميعا، ومنهم المؤمنين..

"-ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طبيباتكم فى الحياة الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون" الأحقاف 20..

## الكتاب

يتلاحظ في القرآن افراد كلمة الكتاب دائما دلالة على أن الكتاب واحد، ولم تتغير سوى الأسماء منذ آدم عليه السلام، وحتى محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك لم تتغير سوى الشريعة، والمنهاج من قوم لقوم:

"-وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" المائدة 48..

ونتابع سرد الآيات الواردة في هذا الشأن:

"-واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون" البقرة 53..

ونفس الوصف للقرآن الكريم..

"-ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم" البقرة 89..

وهو القرآن الكريم.. ولما أيقن كفار أهل الكتاب، والمشركين أن هذا القرآن هو خير السماء الذى كان يتزل من قبل، وامتدادا له.. نعموا عليهم، وحسدوهم على هذا الخير:

"-ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يتزل عليكم من خير من ربكم" البقرة 105..

ولما أدرك الكفار، والمشركين أن القرآن مصدق للتوراة سخرؤا منهما، فقالوا عن القرآن أساطير الأولين، وعن التوراة افك قديم، وأعلنوا للذين آمنوا أن التوراة لو كانت خيرا لهم لسبقناهم نحن اليه ليبرروا عدم قدرتهم على اتباع هذا، ولاذاك :

"-وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم" الأحقاف 11..

وقد كشف الله مدهانتهم، وكذبهم:

"-أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها" الأنعام 157..

"- أفبهذا الحديث أنتم مدهنون(81) وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون(82)"  
الواقعة ..

ومن دعاء ابراهيم عليه السلام لهم - للعرب - وهم من ذريته:

"-ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة"  
البقرة 129..

ويقول تعالى أيضا:

"- كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم  
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" البقرة 151..

ولما كان الكتاب واحدا.. كان الناس أيضا أمة واحدة؛ ولكنهم اختلفوا، ومن  
هنا تتابع الكتاب في التزول ليرد الناس الى جادة الصواب؛ ويوحدهم بعد  
الاختلاف؛ فهم أمة واحدة.. دينهم واحد- الاسلام- وكتابهم واحد.. من رب  
واحد..

"- كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم  
الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه" البقرة 213..

وللأسف لم يختلف فيه الا الذين آمنوا به، وكلما نزل عليهم الكتاب ليزيل  
الاختلاف.. ازدادوا اختلافا ليبغي بعضهم على بعض:

"-وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم" البقرة  
213..

"-وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم" آل  
عمران 19..

"-وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه" النحل 64..

ويقول تعالى أيضا:

"-وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به" البقرة 231..

"-نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل (3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان(4)" آل عمران..

وحتى أهل الكتاب يعرضون عن كتابهم جهلا، وريبة :

"- ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون" آل عمران 23 ..

وعن عيسى عليه السلام يقول الكتاب:

"-ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل" آل عمران 48..

"-واذ علمتكم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل" المائدة 110..

ويقول تعالى:

"-واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة" آل عمران 81..

وعن كفار أهل الكتاب يقول تعالى:

"-هاأنتم أولاء تحبهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله" آل عمران 119..

حجة الداعي الى الله، وأما التعبير بالكتاب كله هو دليل على وحدة الكتاب المتزل من الله ..

كما تشتمل الآية التالية على عموم أهل الكتاب المؤمنون به:

"-ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون(113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين(114)" آل عمران..

"-وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله واليوم الآخر وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا" آل عمران 199..

وهم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم، فعفره، وصدقوه.. فلم يفهم الايمان به كما بشرهم موسى، وعيسى عليهما السلام به من قبل، وهم الذين وصفهم الله بالرسوخ في العلم، والايمان:

"- لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك" النساء 162..

"-الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون(52)وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين(53) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون(54) وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين(55)" القصص..

ونلاحظ ضيقهم الفطرى من الجهل، والجاهلين.. والذين أسلموا يأمرهم:

"-وقولوا آمنا بما أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون(46) وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به(47)" العنكبوت..

ويقول تعالى:

"-فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة" النساء 54.

"-وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب" العنكبوت 27..

"-وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم" النساء 113..

"-ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل" النساء 136..

"-قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" المائدة 15..

"-قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل" المائد 68..

"-ما فرطنا في الكتاب من شيء" الأنعام 38..

وعن الأنبياء يقول تعالى:

"-وأولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة" الأنعام 89..

"-قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس" الأنعام 91..

- "-وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه" الأنعام 92..
- "-أفغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك الحق" الأنعام 114..
- "-ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيء" الأنعام 154..
- "-وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه" الأنعام 155..
- "-ولقد جنتناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة" الأعراف 52..
- "-وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين" يونس 37..
- "-فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" يونس 94..
- "-ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة" هود 17..
- "-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه" هود 110، فصلت 45..
- "-والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك" النحل 64..
- "-ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة" النحل 89..
- "-وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل" الاسراء 2..
- "-يايحيى خذ الكتاب بقوة" مريم 12..
- "-ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يهتدون" المؤمنون 49..
- "-ولقد آتينا موسى الكتاب" الفرقان 35..
- "-ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ماأهلكنا القرون الأولى" القصص 43..
- "-جاءتهم رسالهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير" فاطر 25..
- "-والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه" فاطر 31..
- "-ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" فاطر 32..

ولموسى وهارون عليهما السلام:

"-وآتيناهما الكتاب المستبين" الصافات 117..

"-ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب" غافر 53 ..

"-وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب" الشورى 14..

"-وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب" الشورى 15..

"-الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان" الشورى 17..

"-ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة" الجاثية 16..

"-ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا"

الأحقاف 12..

"-لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط" الحديد 25..

"-ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب" الحديد

26..

"-هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة" الجمعة 2.

## القرآن

هذه الآيات تتحدث عن القرآن، ونزوله، ومن أنزله؟.. ولغته.. ولا تحتاج

لشرح، أو تعليق.. حيث أنها بالغة الوضوح.. ظاهرة البيان ..

"-الم(1) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(2)" البقرة..

"-وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله" البقرة 23..

"-شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" البقرة 185..

"-الم(1) الله لا اله الا هو الحى القيوم(2) نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل(3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (4)" آل عمران..

"-هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات" آل عمران 7..

"-أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" النساء 82..

"-ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم" النساء 170..

"-ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا" النساء 174..

"-وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه" المائدة 48..

"-وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ" الأنعام 19..

"-وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون(155) أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين (156) أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة(157)" الأنعام 92..

"-وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون(155) أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين (156) أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة(157)" الأنعام 92..

"-المص(1) كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتندر به وذكرى للمؤمنين(2) اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون(3) الاعراف..

"-ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون" الأعراف  
..52

"-واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون" الأعراف 204..

"-الر تلك آيات الكتاب الحكيم(1) أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين(2) يونس..

"-وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين(37) أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله(38) يونس..

"-ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين" يونس 57..

"-فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" يونس 94..

"-الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير(1) ألا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير(2) هود..

"-أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين(13) فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون(14)" هود..

"-وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين" هود 120..

"-المر تلك آيات الكتاب المبين(1) انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون(2)  
نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن  
الغافلين(3)" يوسف..

"-لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق  
الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" يوسف 111..

"المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا  
يؤمنون" الرعد 1..

"-ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله  
الأمر جميعا" الرعد 31..

"-وكذلك أنزلناه حكما عربيا" الرعد 37..

"-المر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى  
صراط العزيز الحميد" ابراهيم 1..

"-المر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين" الحجر 1..

"-انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" الحجر 9..

"-ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم" الحجر 87..

"-فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" النحل 98..

"-واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما يتزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا  
يعلمون" النحل 101..

"-قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى  
للمسلمين(102) وقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه  
أعجمى وهذا لسان عربى مبين(103)" النحل..

"-ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات  
أن لهم أجرا كبيرا" الاسراء 9..

"-ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا"  
الاسراء 82..

"-قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بهذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا(88) ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا(89)" الاسراء..

"-وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا(105) وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا(106)" الاسراء..

"-الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا(1) قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا(2) ماكتين فيه أبدا(3) وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا(4)" الكهف..

"-ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا" الكهف 54..

"-طه(1) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى(2) الا تذكرة لمن يخشى(3) تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى(4)" طه..

"-وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا" طه 113..

"-وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون" الأنبياء 50..

"-ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين" النور 34..

"-تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" الفرقان 1..

"-وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا(32) ولا يأتونك بمثل الا جنتناك بالحق وأحسن تفصيلا(33)" الفرقان..

"-طسم(1) تلك آيات الكتاب المبين(2)" الشعراء..

"-وانه لتتزيل رب العالمين(192) نزل به الروح الأمين(193) على قلبك لتكون من المنذرين(194) بلسان عربي مبين(195) وانه لفى زبر الأولين (196) أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل(197) ولو نزلناه على بعض الأعجمين(198) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين(199)" الشعراء..

"-طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين(1) هدى وبشرى للمؤمنين(2)"

النمل ..

"-ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين" النمل 76..

"-طسم(1) تلك آيات الكتاب المبين(2) القصص ..

"-ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" القصص 85..

"-أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون" العنكبوت 51 ..

"-ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بأية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون" الروم 58..

"-الم(1) تلك آيات الكتاب الحكيم(2) هدى ورحمة للمحسنين(3) لقمان ..

"-الم(1) تتزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين(2) أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتتذمر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون(3) السجدة..

"-والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير(31) ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا(32)" فاطر ..

"-يس(1) والقرآن الحكيم(3) انك لمن المرسلين(3) على صراط مستقيم(4) تتزيل العزيز الحكيم(5) لتتذمر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون(6)" يس..

"-وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين(69) لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين(70)" يس..

"-ص والقرآن ذى الذكر" ص 1..

"- كتاب أنزلناه اليك مبارك ليذبروا آياته وليتذكر أولو الألباب" ص 29..

"-تزييل الكتاب من الله العزيز الحكيم(1) انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين(2)" الزمر..

"-ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون(27) قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون(28)" الزمر..

"-حم(1) تتزييل الكتاب من الله العزيز العليم(2)" غافر..

"-حم(1) تتزييل من الرحمن الرحيم(2) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون(3) بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون(4)" فصلت..

"-ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز(41) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتزييل من حكيم حميد(42)" فصلت..

"-ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد" فصلت 44..

"-حم(1) والكتاب المبين(2) انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون(3) وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم(4)" الزخرف..

"-حم(1) والكتاب المبين(2) انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين(3)" الدخان..

"-حم(1) تتزييل الكتاب من الله العزيز الحكيم(2)" الجاثية..

"-هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون" الجاثية 20..

"-حم(1) تتزييل الكتاب من الله العزيز الحكيم(2)" الأحقاف..

"-وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم(11) ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين(12)" الأحقاف..

"-واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين(29) قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم(30) الأحقاف..

"-ق والقرآن المجيد" ق 1..

"-فذكر بالقرآن من يخاف وعيد" ق 45..

"-ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" القمر 17، 22، 32، 40..

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3) علمه البيان(4)" الرحمن ..

"-أفلا أقسم بمواقع النجوم(75) وانه لقسم لو تعلمون عظيم(76) انه لقرآن كريم(77) فى كتاب مكنون(78) لا يمسه الا المطهرون(79) تنزيل من رب العالمين(80)" الواقعة..

"-لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنا خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" الحشر 21..

"-فلا أقسم بما تبصرون(38) وما لا تبصرون(39) انه لقول رسول كريم(40) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون(41) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون(42)" الحاقة..

"-قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا(1) يهدى الى الرشده فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا(2)" الجن..

"-لا تحرك به لسانك لتعجل به(16) انا علينا جمعه وقرآنه(17) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه(18) ثم انا علينا بيانه(19)" القيامة..

"-انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا" الانسان 33..

"-فلا أقسم بالخنس(15) الجوار الكنس(16) والليل اذا عسعس(17) والصبح اذا تنفس(18) انه لقول رسول كريم(19) ذى قوة عند ذى العرش مكين(20) مطاع ثم أمين(21)" التكويد..

"-بل هو قرآن مجيد(21) فى لوح محفوظ(22)" البروج..

"-انا أنزلناه في ليلة القدر" القدر 1..

وللقرآن أسماء أخرى مثل :

"-ص والقرآن ذى الذكر" ص 1..

"-قل هو نبأ عظيم" ص 67 ..

"-فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا" الكهف

..6

"-إنا نحن نزلنا الذكر" الحجر 9..

## اختلاف أهل الكتاب

أهل الكتاب هم نقيض الأميين.. والأميون هم بنوا اسماعيل عليه السلام.. لم يتزل عليهم كتاب الا عندما بعث نبي منهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان دعاؤه هو، وأبيه ابراهيم عليهما السلام عند الكعبة المشرفة - بيت الله الحرام بمكة - حيث يستجاب الدعاء:

"-واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم(127) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم(128) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت الحكيم العزيز(129)" البقرة..

وقد تركز الأميون بمكة حتى بعث فيهم رسولهم صلى الله عليه وسلم، أما أهل الكتاب من يهود، ونصارى فكانوا خارج مكة في يثرب، وغيرها..

وأهل الكتاب من يهود، ونصارى نزلت فيهم التوراة، والانجيل.. فترلت التوراة على موسى عليه السلام نبي اليهود، ونزل الانجيل على عيسى عليه السلام نبي النصارى:

"-وأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ(4)" آل عمران..

والتوراة منوط بها الأحكام، والشرائع، والانجيل لايتضمن أحكاما، ولايستبطن حلالا، ولاحراما.. ولكنه رموز، وأمثال، ومواعظ، ومزاجر.. ومن هنا لم ينقاد اليهود للمسيح عليه السلام لأنهم اعتبروا أنفسهم أصحاب الشريعة؛ فادعوا عليه أنه كان مأمورا بمتابعة موسى عليه السلام، وموافقة التوراة فغير، وبدل؛ ومنها: تغيير السبت الى الأحد، وتغيير أكل احك الخنزير الذى كان محرما في التوراة، والختان، والغسل، وغير ذلك.. قال المسيح عليه السلام في الانجيل:

(ماجنت لأبطل التوراة.. بل جنت لأكملها.. قال صاحب التوراة: النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص، وأنا أقول: اذا لطمك أخوك على خدك الأيمن، فضع له خدك الأيسر)، وقد أدمج النصارى التوراة مع انجيلهم، وتعارفوا على تسميته <بالكتاب المقدس>، وأطلقوا عنوان <العهد القديم> على التوراة، و<العهد الجديد> على الانجيل، ومن هنا أسماهم القرآن <أهل الكتاب>، ومع ذلك فقد احتدم بينهم الخلاف حتى خاضوا في بعضهم البعض:

"-وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" البقرة 113..

وقد ادعوا قتل المسيح عليه السلام لكل هذه الأسباب التي تقدمت؛ بيد أن الله تعالى كذبهم بنص القرآن:

"-وقولهم أنا قتلنا المسيح ابن مريم وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم" النساء 157 ..

ولم يتبع اليهود محمدا أيضا، وقد أمرهم أنمتهم، وأنبيأؤهم، وكتابهم بذلك.. بل بنى أسلافهم الحصون، والقلاع بالقرب من المدينة لنصرة رسول آخر الزمان صلى الله عليه وسلم؛ فأمرهم بهجرة أوطانهم بالشام الى تلك القلاع، والبقاع؛ حتى اذا ظهر النبي المنتظر، وهاجر الى دار هجرته بالمدينة هجروه، وتركوا نصرته، وقد سجل لهم القرآن هذه الردة التي تشى بأهوائهم، وخلل عقولهم في قوله تعالى :

" -وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علي الكافرين" البقرة 89..

"-ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين(145) الذين اتبأهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريق منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون(146)" البقرة..

" -ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم وهم عذاب أليم" البقرة 174..

" -يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" المائدة 15..

" -يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون" آل عمران 71..

" -وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون" آل عمران 78..

" -واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترُونَ" آل عمران 199..

" -وقالوا كونوا هودا أو نصاري فتهدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين" البقرة 135..

" -قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون(64) يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم زما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون(65) ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون(66) ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين(67) أن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين(68)" آل عمران ..ولذا كان الحنفاء خير أمة أخرجت للناس:

" -كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" آل عمران 110..

ومن هنا يأتي تحذير الحنفاء منهم جميعاً:

"- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين" المائدة 51..

وذلك لأنهم لا يلتزمون كتاباً، ولا منهجاً.. حتى كتبهم:

"- قل يا أهل الكتاب لستم علي شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس علي القوم الكافرين" المائدة 68..

يتركونها ويتبعون شياطينهم:

"- ألم تر إلي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً" النساء 51..

ولا يعلمون أنهم يصدون عن السبيل، ويغفونها عوجاً:

"- قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تغفونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون" آل عمران 99..

وبدلاً من أن يكون لهم تأثير علي فيما حوهم، والذين عاشوا بينهم بالقدوة الصالحة.. تأثروا هم بوثنية هذه الأمم، وأخلاقهم الوضيعة.. فضلوا معهم:

"- قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل" المائدة 68..

"-وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون (30) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا لها واحدا لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون(31) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" التوبة..

وأخذوا الكهانة عن هذه الأمم ليستعبدوا العامة، والبسطاء، ويعيشون رغدا علي أفواهم الهزيلة، وعرق جبينهم وشقاؤهم في الأرض:

"- يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" التوبة 34..

والخلاصة.. أن الفرقة، والاختلاف لا تأتي إلا بعد البيئات، والرسول دائما، وكأن هناك تصميم علي ذلك:

"-لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتي تأتيهم البيئـة (1) رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة (2) فيها كتب قيمة(3) وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيئـة(4) وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة(5)" البيئـة..

اليهود:

هاد بمعني رجع، وتاب.. وقد لزمهم هذا الأسم لقول موسى عليه السلام:

"- أنا هدنا اليك" الأعراف 156..

وهو أول ما اختلفوا فيه من حيث تغيير الأسم من "المسلمين" إلي "اليهود"، وهو ما لم يخفيه أنبيأؤهم، وآباؤهم الأوانل، ووصوهم به أيضا:

"-ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد أصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين(130) اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين(131) ووصي بما إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون(132) أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون(133)"البقرة..

وكتاب اليهود التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، وما سبقه علي الانبياء مثل إبراهيم عليه السلام مثلا كان "صحفا".. وقد اشتملت التوراة علي دلالات، وآيات ورد ذكرها في القرآن، ولكن شابه التحريف، والتبديل، والتغيير من حيث الكتابة، والصورة، أو من حيث التفسير، والتأويل.. حتي أن بعض مفسري القرآن

جاءوا ببعض تفاصيل القصص القرآني من التوراة.. لاسيما بعد ترجمتها الى اللغة العربية في القرن الثاني الهجري، ودخول بعض الأحاديث الموضوعية عن طريق اليهود الذين دخلوا الاسلام لتحدث بما قيل في التوراة تفصيلا، وقد اختلف اليهود على احدى وسبعين فرقة أشهرها، وأظهرها: "العنانية"، و"اليسوية"، و"المقاربة"، و"اليوذةعانية"، و"السامرة"، وسوف لانذكر شيئا عن أمور اختلاف هذه الفرق، اكتفاء بما ورد عنهم في القرآن اجمالا، وكان من أمور الاختلاف الآتي:

1- التباس الأمور بقصد، مع حجب الحقائق:

"-ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون" البقرة 42..

2- وعظ الناس، ونسيان أنفسهم من هذا الوعظ:

"-أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" البقرة 44..

3- عبادة العجل مثل قدماء المصريين الذين عاشوا بجوارهم:

"-واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون" البقرة 51..

4-المادية المفرطة التي أخذوها عن الأمم التي عاشوا معها، أو بجوارها:

"-واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون" البقرة 55..

5-استبدال الأمر استهزاء؛ فدخلوا الباب دون سجود، وقالوا حنطة بدلا من حطة:

"-واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سترىد المحسنين(161) فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون(162)" الأعراف ..

"-واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم وسترىد المحسنين(58) فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي

قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون(59)"  
البقرة..

6-التراخي في تنفيذ ماأمروا به، واستدراكهم على الله، وعلى نبيه، واعراضهم  
عن حكم الله:

"-واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتناخذنا هزوا قال  
أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين(67) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا قال انه يقول انها  
بقرة لافارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون(68) قالوا ادع لنا ربك  
يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين(69) قالوا  
ادع لنا ربك ماهي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون(70) قال انه يقول  
انها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئتنا  
بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون(71) واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج  
ماكنتم تكتمون(72) قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته  
لعلكم تعقلون(73)" البقرة ..

"- ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم  
ثم يتولى فريق منه وهم معرضون" آل عمران 23..

7-نقد المواثيق، وماأمرهم به الله:

"-واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى  
القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم  
توليتهم الا قليلا منكم وأنتم معرضون(83) واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم  
ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون(84) ثم أنتم هؤلاء  
تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان  
وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب  
وتكفرون ببعض(85)" البقرة ..

8-نقد اليهود، ونبد الكتاب، وكتمان مافيه، واتباع السحر، والشعوذة:

"- أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريقا منهم بل أكثرهم لا يؤمنون(100)ولما  
جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب

الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون(101)واتبعوا ما تتلو الشياطين علي ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفرو(102)" البقرة..

"-ولما جاءهم كتاب عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون" البقرة 101 ..

"-إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" البقرة 159 ..

"-إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم وهم عذاب أليم" البقرة 174..

"-وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم" الأنعام 91..

-9نقض المواثيق، والكفر، وقتل الأنبياء، وإتمامهم السيدة العذراء ، وادعائهم قتل المسيح:

"-فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقلوبهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا(155)وبكفرهم وقولهم علي مريم بهتاناً عظيماً(156)وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا(157)بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً(158)" النساء..

-10الصد عن سبيل الله، واكلهم الربا:

"-فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا(161)وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً(162)" النساء..

-11ويحرفون كلام الله حسب أهوائهم، ومصالحهم:

"-فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به" المائدة 13 ..

"-فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون" البقرة 79..

-12الجبين، وكراهة الشهادة، ولقاء الله تعالى:

"-يا قوم أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علي ادباركم فتنقلبوا خاسرين(21)قالوا يا موسى أن فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتي يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فانا داخلون(22)" المائدة..

-13الآثم، والعدوان، والسحت:

"-وتري كثيرا منهم يسارعون في الآثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون" المائدة 62..

-14المعصية، والأعتداء علي حرمة الله، وولايتهم للذين كفروا حتي لعنهم أنبيأؤهم:

"-لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان داود وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون(78)كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون(79)تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون(80)" المائدة..

-15التحاييل علي أوامر الله تعالى:

"-وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون" الأعراف 163..

-16يأخذون عرض الدنيا، ويمنون أنفسهم بالمغفرة، وينسون الآخرة مع أنهم الصفوة من العلماء، ودارسي الكتاب:

"-فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأديني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق المتاب الا يقولوا علي

الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون" الاعراف  
..169

17-الاختلاف علي الله، ومأمرهم به بعد ما آتاهم العلم ارتيابا، وبغيا:

"-ولقد بوأنا اسرائيل ميوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتي  
جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" يونس  
..93

"-وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم  
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" الجاثية 17..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى  
بينهم وانهم لفى شك منه مريب" هود 110..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى  
بينهم وانهم لفى شك منه مريب" فصلت 45..

"-ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يخرسون" البقرة  
.. 78

"-ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق  
بعيد" البقرة 176 ..

"-كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم  
الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من  
بعد ما جاءهم البينات بغياً بينهم" البقرة 213 ..

ومن كل ما تقدم أراد الله أن يطهرهم من الخزي، والعار الذي لحقهم من  
استعباد فرعون، وقومه لهم، بعد ان أذل الله فرعون، وجنوده أمامهم، ودالت دولته  
بعد غرقه، وذلك بأن يعودوا لدينهم بعبادة الله الواحد، والتحلي بالأخلاق الكريمة  
ليكونوا قدوة للعالمين بما فضلهم من الكتاب، والحكمة، والقدوة من الأنبياء..  
ولكنهم ركنوا إلي الماديات، وأعراض الدنيا الزائلة، ومنوا أنفسهم بالاماني الكاذبة  
التي زينها لهم الشيطان، وعادوا إلي طبائعهم الرديئة حتي لعنهم أنبياءهم، ومجتهم  
الشعوب، والأمم التي فرقهم الله بينهم..

## النصاري:

هم أمة المسيح عيسي ابن مريم عليه السلام.. رسول الله، وكلمته، المبعوث من بعد موسى عليه السلام.. وهو ينسب إلي بلدة الناصرة (أحدي قري الجليل من فلسطين) ومن هنا جاء اسم النصاري.. وهو أول ما اختلفوا فيه أيضا بتديل الاسم من المسلمين إلي النصاري حيث قال عيسي عليه السلام للذين آمنوا له من بني اسرائيل، وهم حواريوه المسلمون:

"-من أنصاري إلي الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمننا بالله واشهد بأنا مسلمون" آل عمران 52..

أيد الله عيسي الرسول عليه السلام بروح القدس (جبريل عليه السلام)، في الآيات الظاهرة مئا احياء الموتى، وبراء الأكمه والأبرص باذن الله، وهي أمراض اصيب بها الناس في زمن بعثته تباري فيها النطاسيون (الأطباء)، ووجوده، وفطرته آية كاملة على صدقه من حدوثه بغير نطفة كسائر الناس، وعلمه بغير سالف تعليم (آناه الله الكتاب في المهدي)، فجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة، أما وحيه من الله تعالى فكان انطلاقا من المهدي، ثم أوحى اليه ابلاغا في الثلاثين، ومدة دعوته ثلاث سنين.. ثم رفعه الله اليه.. ومن هنا جاء الخلاف فيه، ونسوا أن كل هذا من عند الله، وليس من نفسه، وقد اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة:

"-ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا منهم ميثاقهم ففسوا حظا مما ذكروا به فأغرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون" المائدة 14..

ومن اليهود، وادعاءهم اختلف النصارى، وضلوا:

"-وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما هم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا" النساء 157..

وقد دمغ القرآن ادعاءات اليهود، وتردد النصارى في ضلالهم، وهو تعالى أعلم بما يقول:

"-بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما" النساء 158 ..

ومن أكبر هذه الفرق: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية التي انشعبت منها: الاليانية، والبللياريسية، والمقدانوسية، والسابلية، والبوطينوسية، والبولية.. الخ، ونستعرض منها ماجاء به القرآن؛ وهو أصدق الحديث، وأوثق:

1- الغلو في الدين.. وهي المكانية التي ظهرت في أرض الروم بعد أن كانت دولتهم وثنية لا تخرج عن عبادة الأصنام من الحجارة، وغيرها.. فلم يبتعدوا كثيرا:

"-يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تغلوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم" النساء 171..

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم" المائدة 73..

2- وكفر اليعقوبية بما قالوا بتجسيد الاله في المسيح:

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم" المائدة 17..

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار" المائدة 72..

وقد جعل الله القرآن نذير لهم:

"-وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا(4) ما لهم من علم ولا لأبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا(5) الكهف..

"-وقالوا اتخذ الرحمن ولدا(88) لقد جئتم شيئا ادا(89) تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا(90) ان دعوا للرحمن ولدا(91) وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا(92) ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا(93)"مريم..

"-والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلي الله زلفي ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار(3) لو

أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفي مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار(4)"  
الزمر..

هذا وقد خلد القرآن العظيم ذكر المسلمين ممن عرفوا في التاريخ باسم "نصاري نجران" باليمن قبل البعثة المحمدية في سورة "البروج" عندما فتنهم ذو نواس الحاكم اليهودي عن دينهم الحق لأجبارهم علي الارتداد إلي اليهودية التي تذرث بالوثنية:

"-والسما ذات البروج(1) واليوم الموعود(2) وشاهد ومشهود(3) قتل أصحاب الأخدود(4) النار ذات الوقود(5) اذ هم عليها قعود(6) وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود(7) ومانقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد(8) الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد(9) ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق(10)"  
البروج ..

كما خلد قبلهم هؤلاء الفتية الذين آمنوا بدين عيسي عليه السلام، واتبعوا الاسلام الحق مما أثار عليهم دولة الروم الوثنية التي كانت تبسط سلطانها علي أرض الرسالات المباركة في ذلك الوقت (الأردن، وفلسطين، ومصر) ففروا بدينهم إلي "الكهف"، وهو اسم السورة التي ذكرهم القرآن فيها، ومن نصوص القرآن ندرك وثنية دولة الروم التي دخلت في الاسلام بعد خروجهم المؤقت من الكهف بعد ثلاثمائة عام حيث كانت الدولة حينها في بداية عهدها بالدين الحق قبل أن يبذلوا، ويحرفوا، وتدخل وثنيتهم القديمة علي الدين، ثم يتبعهم الغاوون من الأقوام التي احتلوا بلادهم.. فقد كانت قضية الفتية الناجين هي:

"- إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إنها لقد قلنا إذا شططا" الكهف14..

ثار الفتية علي وثنية الدولة التي انتشر سلطانها في كل مكان بقوة السلاح، وغلبة الجند.. أما قوي الدولة الروحية فكانت في الحضيض حيث يجثوا الامبراطور بكل عظمته، وجبروته لتمثال لا قيمة له، ولا يستطيع الدفع عن نفسه.. بينما

هؤلاء الفتية البسطاء يدركون هذا الأخطا، وهذه الوثنية الفجة لهذه الدولة،  
وأتباعها المختلون:

"-هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم  
من افترى على الله كذبا" الكهف 15 ..

فقومهم من سفاهتهم يكذبون على الله الذي لا ينكرونه كدأب الكافرين،  
والمشركين، ويدعون أن الله تعالى قد فوض هذه التماثيل، وماتمله لينبوا عنه في  
الأرض..

وبعد ثلاثمائة عام تبدل القوم غير القوم، وجاد الله بقوم يجهم، ويجبونه وهو  
مايشى ببداية الدولة اسلاميا في القرآن حيث يجتمع القوم عليهم من المسلمين الجدد  
ليشاهدوا المعجزة، وفيهم علية القوم من أهل الأمر، والنهي:

"-وكذلك أعرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ  
يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على  
أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا" الكهف 21 ..

ماهو الاختلاف؟..

ونلاحظ مما تقدم من اختلاف أهل الكتاب أنه اختلاف عقائد يتبعه رد التشريع،  
أو التهاون فيه.. حيث أن العقيدة هي الأساس.. فهي الاسلام ذاته، ومن هنا كان  
تتابع الأنبياء(موسى - عيسى - محمد عليهم السلام)، والكتب(التوراة - الانجيل  
- القرآن)..

والاختلاف لغة من مشتقات مادة خلف، ومنها خالف، واختلف، وخلاف..  
الخ.. وهو الخروج عن الأمر، أو خالف الأمر.. وفي القرآن تحذير من هذا  
الاختلاف:

"-فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"  
النور 63 ..

"-وماأريد أن أخالفكم الى ماأنهاكم عنه" هود 88..

ومن القرآن نجد أن خطورة الاختلاف تكمن في كونه يؤدي الى الايمان، وهو طريق السلامة، أو الكفر - والعياذ بالله - وهو طريق الندامة:

"-ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعدهم من بعد ماجاتم البيئات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر" البقرة 253..

وتبين الآية أن الاختلاف يؤدي الى التقاتل "من بعدهم"؛ أى من بعد الأنبياء.. وقد يبدو السؤال: اذا كان بعض الاختلاف يؤدي الى الايمان.. فما الخطورة اذا؟!.. والاجابة: اذا كان الاختلاف سيؤدي الى الايمان؛ فهو فضل من الله، يمن به فقط على المؤمنين؛ بشرط أن يكون حقا، وليس باطلا:

"-فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم" البقرة 213..

ولابن كثير ملحوظة في شأن هذا الاختلاف في الأمم بخصوص الصيام مثلا حيث يقول تعالى مخاطبا المؤمنين فقط من الأمة المحمدية:

"-ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" البقرة 183..

فقد أوجبه عليهم كما أوجبه على من كان قبلهم من الأمم.. فلهم فيهم أسوة حسنة لنيل التقوى، وليجتهدوا في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله الأولون، وهو هنا الاختلاف المحمود للأعلى، وليس للأسفل حيث الخروج من ملة الاسلام، وهو مايفسر قوله تعالى في سبب خلق الناس مختلفين للتنافس للأعلى:

"-ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم" هود 119..

"-لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات" المائدة 48..

وقد أورد ابن كثير - رحمه الله - أقوالا قيمة في شأن الهداية من الله عند الاختلاف تفسيرا لقوله تعالى :

"- فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم" البقرة 213..

فقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه:

1- اختلفوا في يوم الجمعة.. فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد؛ فهدى الله الأمة المحمدية ليوم الجمعة..

2- واختلفوا في القبلة.. فاستقبلت اليهود، والنصارى بيت المقدس؛ فهدى الله الأمة المحمدية للكعبة..

3- واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع، ولا يسجد، ومنهم من يسجد، ولا يركع، ومنهم من يصلى وهو يتكلم، ومنهم من يصلى وهو يمشى؛ فهدى الله الأمة المحمدية للحق من ذلك..

4- واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام؛ فهدى الله الأمة المحمدية للحق من ذلك..

5- واختلفوا في ابراهيم عليه السلام؛ فقالت اليهود: كان يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، وجعله الله حنيفا مسلما، فهدى الله الأمة المحمدية للحق من ذلك..

6- واختلفوا في عيسى عليه السلام؛ فكذبت به اليهود، وقالوا لأمه بهتانا عظيما، وجعلته النصارى الها، وولدا، وجعله الله روحه، وكلمته؛ فهدى الله الأمة المحمدية للحق في ذلك..

وأورد للربيع بن أنس قوله في تفسير الآية المذكورة، أنهم - المؤمنون - عند الاختلاف كانوا على ماجاءت به الرسل قبل الاختلاف؛ فأقاموا على الاخلاص لله عز وجل وحده، وعبادته لا شريك له، وأقام الصلاة، وابتاء الزكاة.. فأقاموا على الأمر الأول الذى كان قبل الاختلاف، واعتزلوا الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة.. شهداء على قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وعلى آل فرعون أن رسلهم قد بلغوهم، وأهم كذبوا..

وتتزل الكتب من السماء تباعا عندما يختلف الناس، أى يخالفون عن أمر الله، ومن هنا يأتى الخلاف فيما بينهم بعد أن كانوا أمة واحدة(ضمن أمة التوحيد، والاسلام) والتي يقى الله المؤمنين - فقط كما قلنا - من برائن هذا الخلاف..

وضرب الله تعالى مثلاً بموسى عليه السلام:

"-ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه" فصلت 45..

وكذلك عيسى عليه السلام:

"-ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون" الزخرف 63..

وما كان محمد، والقرآن الا ختاماً لهذا:

"-وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه" النحل 64..

والاختلاف قديم فى الخلق، ومرجعه انكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، والجنوح الى الهوى فى مقابلة النص، وقد تهادى الثقلان (الانس، والجن) لما لهم من ميزة الاختيار فى الدنيا:

"-فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" الكهف 29..

"-هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن" النغبين 2..

وهناك آيات عدة تقطع بالاختيار فى التكليف، وقد بدأ ابليس بذلك - وهو من الجن - فاختلف على خالقه عندما أمره بالسجود، وهو فى عداد الملائكة المقربين حين ذاك، وقصته معروفة.. وكان هو سيد الجن وقتها، ومن هنا فان كل شبهة وقعت لبني آدم بعد ذلك انما هى من اضلاله، ووساوسه، ونشأت من شبهاته:

"-أسجد لما خلقت طيناً" الاسراء 60..

"-أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين" الأعراف 12، ص 76..

"-لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون" الحجر 32..

واختلف آدم، وحواء عليهما السلام على خالقيهما.. فأكلا من الشجرة المنهى عنها رغم كثرة شجر الجنة، وثمارها، وقصتهما معروفة:

"-وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(35) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين(36)"  
البقرة ..

ثم ابن آدم قابيل الذى اختلف على خالقه، ومن ثم أبيه، وأخيه، ورفض ما أمر به من زواجه من أخت أخيه - كما تحبر الروايات - وأصر ان يتزوج أخته هو، ثم تمادى، وقتل أخيه هابيل:

"-فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين" المائدة 30..

## هذا بيان للناس

ليس القرآن كتابا مغلقا على نفسه، أو على طائفة من الناس دون أخرى، فليست دعواه من العنصرية في شيء.. فلم يغفل النداء الى الناس كافة دون تمييز من دين، أو جنس، أو وطن.. فهو دعوة ممتدة عبر الزمان، والمكان لم يخص طائفة من الناس بالذكر دون أخرى.. ولم يفضل احداها على الاخرى الا اذا وزنت بميزان التقوى:

"-يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون"  
البقرة 21..

"-يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير" الحجرات 13..

ولم يترك القرآن التقوى دون تعريف، ولم ينثر هذا التعريف هنا، وهناك بين الآيات لتدركه جماعة دون أخرى، ولكنها كانت فاتحة القرآن بعد الفاتحة، وهى آيات استهل بها القرآن ليعرفنا بنفسه، قبل أن يعرفنا التقوى:

"-الم(1) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(2)" البقرة..

ومن هم ؟

"-الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3) والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(4)" البقرة..

وهم فضلهم ؟

"-وأولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون" البقرة 5..

ثم تتوالى الآيات:

"-يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليما حكيما" النساء 170..

"-يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا" النساء  
..174

"-قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض  
لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته  
واتبعوه لعلكم تهتدون" الأعراف 158..

"-يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى  
ورحمة للمؤمنين" يونس 57..

"-قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل  
فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل" يونس 108..

"-قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين" الحج 49..  
تحذرهم من الشرك بالله:

"-قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دىنى فلا أعبد الذين تعبدون من دون  
الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين" يونس 104..

"-يا أيها الناس ضرب الله مثلا فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن  
يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف  
الطالب والمطلوب" الحج 73..

تحذرهم من عداوة الشيطان ، واستدراجه لهم ، وتأميرهم بالاستمتاع الحلال  
من أكل، وغيره فى الأرض :

"-يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه  
لكم عدو مبين" البقرة 168..

"-يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من  
السماء والأرض لا اله الا هو فأتى توفكون" فاطر 3..

"-يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد" فاطر 15..

"-ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتى بآخرين وكان الله على ذلك قديرا"  
النساء 133..

"-يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون" يونس 23..

"-اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون" الأنبياء 1..

"-يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم" الحج 1..

"-يا أيها الناس اتقوا ربكم واحشوا يوما لا يجزى والد عن ولده شيئا ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرركم بالله الغرور" لقمان 33..

"-يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرركم بالله الغرور" فاطر 5..

حتى انه يدلل على هذه القاعدة عمليا بمثل يحدث في الأرض في كل ثانية :

"-يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى من قبل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج" الحج 5..

وهناك قاعدة أخرى تعبر عن الحراك الاجتماعي، وقد ينتج عنها مظالم دواها الصبر:

"-ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" البقرة 251..

"-ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا" الحج 40..

والدفع هنا للظالمين من الناس الذين لا يقيمون وزنا لدين، ولا لأتباع الدين فيدفع بعضهم بعض ليتلهون عن أتباع الدين في الصوامع، والبيع، والصلوات، والمساجد..

تقسيم الناس بالنسبة للعقيدة

يخاطب القرآن المؤمنين بالذين آمنوا سلفا، بمعنى أنهم كانوا مؤمنين فعلا في علم الله تعالى.. فيقول:

"-الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور" البقرة 257..

"-لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا" آل عمران 164 ..

"-فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون" الأعراف 52..

"-والذين هم بآياتنا يؤمنون" الأعراف 156 ..

"-ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون" الأعراف 188..

"-وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" يوسف 111..

"-وانى غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى" طه 82..

"-ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون" النمل 16 ، والروم 37 ، والزمر 52..

"-نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون" القصص 3..

"-ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته" الحديد

..28

"-فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا(10) رسولا

يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات

الى النور(11) الطلاق..

ولكن البداية كبداية الانسان كان ميتا، أو غيبا فأحياه:

"-أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى

الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون" الأنعام 122..

وليس هذا الأمر بالسهل:

"-وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" يوسف 103..

ولا يخلو من شوائب تعلق به:

"-ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106..

فيوصى تعالى بالايمان الكامل:

"-ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا" النساء 136..

### 1- المؤمنون

وهم كما جاء وصفهم فى سورة المؤمنون:

"-قد أفلح المؤمنون (1) الذين هم فى صلاتهم خاشعون(2) والذين هم عن اللغو معرضون(3) والذين هم للزكاة فاعلون(4) والذين هم لفروجهم حافظون(5).."

"-والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون(8) والذين هم على صلاتهم يحافظون(9).."

وفى سورة الأنفال:

"-وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين(1) انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون(2) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3)" وفى سورة التوبة:

"-والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله" 71..

وفى سورة الحجرات:

"-انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون(15).."

"-ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" التوبة 119..

ويتوكل بهم:

"-الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور" البقرة 257..

"-والله ولى المؤمنين" آل عمران 68..

"-وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين" آل عمران 171..

"-ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" النساء 141..

"-أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى" الكهف 13..

"-ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا" مريم 96..

"-ان الله يدافع عن الذين آمنوا" الحج 38..

"-وان الله لهادى الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى صراط مستقيم"

الحج 54..

"-والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين" العنكبوت 9..

"-انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا" غافر 51 ..

لماذا؟!..!

"-ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم" آل عمران 101 ..

ولا ينقطع بينهم وبينه تعالى الود، والاتصال:

"-فلا يكن في صدرك حرج منه لتندرب به وذكرى للمؤمنين" الأعراف 2 ..

"-وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين" يونس 57..

"-وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين" هود 120..

"-ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين" الاسراء 9..

"-ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين" الاسراء 82..

"-قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى

للمسلمين" النحل 102..

"-ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربى قل هو

للذين آمنوا هدى وشفاء" فصلت 44..

ومن صفاتهم أيضا:

- "-فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين" آل عمران 175..
- "-الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله" النساء 76 ..
- "-وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين" المائدة 23..
- "-واتقوا الله ان كنتم مؤمنين" المائدة 57..
- "-وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين" الأنفال 1 ..
- "-فإن الله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين" التوبة 13..
- "-الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله" الرعد 28..
- "-يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة" ابراهيم
- ..27
- "-والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق" الشورى 18..
- مشفقون من الساعة ..
- "-ولا تمنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين" آل عمران 139..
- "-والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين" التوبة 62..
- "-والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين" التوبة 112..
- "-انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا" النور 51 ..

تقسيم المؤمنين

وهم كما وردوا في التصنيف القرآني:

1-المتقون..

2-الصديقون..

3-الشهداء..

4-المحبتون..

5-الذين يعملون الصالحات..

6-من الذين هادوا ..

7-من النصارى..

8-من الصابئين..

9-من المسلمين..

1-المتقون:

"- ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين(2) الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون(3) والذين يؤمنون بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك و بالآخرة هم يوقنون(4)" البقرة..

"-ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و أتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و فى الرقاب و أقام الصلاة و أتى الزكاة و الموفون بعهدهم اذا عاهدوا و الصابرين فى البأساء و الضراء و حين البأس أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون" البقرة 177..

"-وسارعوا الى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات و الأرض أعدت للمتقين(133) الذين ينفقون فى السراء و الضراء و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين(134) و الذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب الا الله و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون(135)" آل عمران..

وأنمة المتقين هم عباد الرحمن:

"-و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما(63) و الذين يبيتون لرهبم سجدا و قياما(64) و الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما(65) انها ساءت مستقرا و مقاما(66) و الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما(67) و الذين لا يدعون مع الله الها

آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً(68)" الفرقان..

"-والذين لا يشهدون الزور واذا مروا بالغو مروا كراماً(72) والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً(73) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين اماماً(74)" الفرقان..

وحق في الآخرة:

"-الأخلاء يؤمنذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين(67) يعابد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون(68) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين(69)" الزخرف..

2، -3الصديقون والشهداء :

"-والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم" الحديد 19..

-4المختبون:

"-ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون" هود 23..

والمختبون يعرفهم القرآن الكريم:

"-وبشر المختبين(34)الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(35)" الحج..

-5الذين يعملون الصالحات:

"-وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى" الكهف 88..

"-ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً" الكهف 107..

"-ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا" مريم 96..

والآيات أكثر من أن تحصى من حيث اقتران الايمان بالعمل الصالح معطوفا بحرف العطف.. الواو.. وتتسامى هذه الطبقة الى أعلى منها؛ وهم المفلحون:

"-فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين" القصص  
..67

"-إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون" النور 51..

-6من الذين هادوا :

"-لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما" النساء 162..

"-وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون" السجدة  
..24

-7من النصارى :

"-ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون(82) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين(83)" المائدة..

"-ياأيها الذين آمنوا اتقوا وآمنوا برسوله" الحديد 28..

-8من الصابئين:

وقد أجهلهم القرآن مع الذين آمنوا من الذين هادوا، والنصارى، كما نلاحظ تقدمهم عن النصارى في آية المائدة:

"-ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" البقرة  
..62

"-ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" المائدة 69..

-9من المسلمين:

"-ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون" آل عمران 82..

"-ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون(68) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين(69)" الزخرف..

## -2 الكفر والكافرون

الكفر لغة هو حجب الشيء، وستره.. فيمتنع دخول الايمان الى القلب؛ والمفترض أن الناس كلهم مؤمنون بالفطرة التي فطر الله الناس عليها الا من أبي وكفر:

"-فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" الروم 30..

ويضرب مثلا بموقف ابليس على مرأى من آدم عليه السلام، والملائكة:

"-واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر وكان من الكافرين" البقرة 34..

"-فسجد الملائكة كلهم أجمعون(73) الا ابليس استكبر وكان من الكافرين(74)" ص ..

روى الامام مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال عن رب العزة:

<اني خلقت عبادى حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ماأحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا..>  
واجتالتهم الشياطين عن دينهم: جعلتهم ينظرون في دينهم.. فيحلون، ويجرمون بأهوائهم، وعقولهم.. حتى دخلوا في الشرك ..

وقد اقترن الكفر في القرآن بالشرك، والضلال، والظلم، والكبر، والفسق، والنفاق، والاستكبار عن آيات الله، والافتراء على الله بالكذب عليه؛ وعلى العباد بعبادتهم من دون الله، والغباء، ومصادرة العقل؛ والتفكير، وانكار البعث؛ واليوم الآخر، والتفريق بين الله ورسله، والتفريق بين الرسل.. فيؤمنون ببعض ويكفرون

بالبعض الآخر، والصد عن سبيل الله برفض الهداية للعباد، ومحاولة القضاء على الأنبياء، والرسول، ومن سار على نهجهم في الدعوة الى الله الأحد :

"-ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(6) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة(7)" البقرة ..

"-ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الأولين(25) وهم يبهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون(26)" الأنعام..

"-الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا(101) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دون أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا(102)" الكهف ..

"-ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون" الأنفال 55..

ومن الالباء، والاستكبار جاء الختم، والأكنة، والوقر، والغطاء وذلك بسبب الغباء، ومصادرة العقل:

"-ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون" البقرة 171..

ولأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر.. فقد رضوا بالحياة الدنيا، واعتبروها دارهم، ويسخرون بمن يؤمن بالآخرة :

"-زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا" البقرة 212..

"-وويل للكافرين من عذاب شديد(2) الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد(3)" ابراهيم..

"-والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات" البقرة .. 257

"-والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت" النساء 76..

"-سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم يتزل به سلطانا"  
آل عمران 151..

وهم لا يكفرون بالله فقط:

"-ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا"  
النساء 136 ..

"-ولئن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا  
سحر مبین(7) ولئن أخرجنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايجسه ألا يوم  
يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ماكانوا به يستهزئون(8) ولئن أذقنا الانسان  
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفورا(9)" هود..

ويفرقون بين الله ورسله:

"-ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون  
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا(150) أولئك هم  
الكاكفرون حقا(151)" النساء ..

ويكذبون الرسل:

"-ألم يأتيكم نأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم  
لا يعلمهم الا الله جاءهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرننا  
بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب(9) قالت رسلهم أفي الله شك  
فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى  
قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسطان  
مبين(10)" ابراهيم ..

"-ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن  
عنده علم الكتاب" الرعد 43..

"-أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم  
أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من  
واق(21) ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا(22)" غافر ..

"-ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم" محمد 9..

ويفترون على الله الكذب :

"-ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون" المائدة 103 ..

"-انما النسىء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يلونونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين" التوبة 37..

ويشركون بالله:

"-الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" الأنعام 1 ..

"-ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون" المؤمنون 117..

"-ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا" الفرقان 55 ..

"-أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور(20) أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجو فى عتو ونفور (21)" الملك..

"-قل يا أيها الكافرون(1) لأعبد ماتعبدون(2) ولأنتم عابدون ما أعبد(3) ولأنا عابد ما أعبدتم(4) ولأنتم عابدون ما أعبد(5) لكم دينكم ولى دين(6)" الكافرون..

وكذبوا بآياته، واستكبروا عنها:

"-والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" الأعراف 36..

"-ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين" الأعراف 40 ..

"-وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين" الجاثية 31 ..

"-وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين" الأحقاف 7 ..

ولهذا السبب كانت الارادة الالهية:

"-سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين(146) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون(147)" الأعراف ..

ولأنهم كفروا بالآخرة، والحساب فهم يصدون عن الايمان، وتسرههم المعصية من البشر :

"-الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون" الأعراف 45 ..

"-الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون(19) أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون(20) أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون(21)" هود ..

"-الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم" محمد 1 ..

"-ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل" محمد 3 ..

"-ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم" محمد 32 ..

"-ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم" محمد 34 ..

وهم لا يدخرون جهداً، ولا مالا مهما عظم في سبيل ذلك:

"-ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون" الأنفال 36 ..

"-وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" فصلت 26 ..

وهم يآتسون من روح الله:

"-ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون" يوسف 87 ..

وتأتبهم النذر وهم ساهون:

"-ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد" الرعد 31 ..

"-والذين كفروا عما أُنذروا معرضون" الأحقاف 3 ..

وفرحوا بمكرهم:

"-بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد" الرعد 33 ..

وأعمالهم هباء:

"-مثل الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد" ابراهيم 18 ..

"-والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب(39) أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نور فماله من نور(40)" النور ..

وربما مر بخلدكم الايمان، وربما أجلوا :

"-ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين(2) ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون(3)" الحجر..

ويؤكدون فناء الحياة دون رجعة بأغظ الأيمان:

"-وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون(38) ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين(39)" النحل..

"-ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أنا لمبعوثون خلقا جديدا" الاسراء 98 ..

"-بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل منها عمون(66) وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابا وآباؤنا أنما لمخرجون(67) لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين(68)" النمل ..

"-بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب(2) إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد(3)" ق ..

"-ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدونا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد(6) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير(7)" التغابن..

وقد تنشرح قلوبهم بالكفر:

"-ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وهم عذاب عظيم(106) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين(107) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون(108)" النحل..

ويضرب مثلا بقرية كفرت بأنعم الله:

"-وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" النحل ..112

ويجادلون بالباطل:

"-ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا (56) ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا(57)" الكهف..

"-وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون(12) وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون(13)" العنكبوت ..

ويلفت نظرهم نحو آياته في الخلق:

"-وأولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون(30) وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون(31) وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون(32)" الأنبياء..

"-واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا" الحج 72..

"-ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد" غافر .. 4

والمترفون في العادة هم أعلام الكفر.. لأنهم أصحاب المصالح العليا في السلطة الزمنية :

"-وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون(34) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين(35)" سبأ..

"-وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب(4) أجعل الآلهة الا واحدا ان هذا لشيء عجاب(5) وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم ان هذا لشيء يراد(6) ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق(7) أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى(8)" ص ..

"-ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون" الأحقاف 20 ..

"-والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام" محمد 12 ..

وآخر المنذرين محمد صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الا بالقرآن:

"-وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين(69) لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين(70)" يس ..

وهم في عزة الاختلاف لأنهم مستكبرون:

"-بل الذين كفروا في عزة وشقاق" ص 2 ..

وسيكون ندمهم بعد فوات الآوان:

"-ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا" الأحقاف 34 ..

الكافرون من الذين هادوا :

"-وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين" المائدة 43 ..

الكافرون من النصارى :

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم" المائدة 72 ..

"-لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة" المائدة 73 ..

3- الشرك والمشركون

الشرك العام:

"-وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106 ..

توعدهم الله بالويل لأمرين .. لا يؤدون زكاة أموالهم، وينكرون الآخرة حتى لو كانوا مؤمنين:

"-وويل للمشركين(6) الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون(7)"  
فصلت..

وقد يتوهم المسلمون أنهم خارج دائرة الشرك جهلاً، وغروراً.. حتى على مستوى العلماء منهم، كما وقع فيه أهل الكتاب ممن كانوا قبلهم، وقد يقع منهم عن طريق الخطأ، والاستهتار، أو عن طريقهما معاً، وقد عاجله القرآن بالتنويه، والتنبيه، والوعيد:

"-ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً" النساء 48..

"-قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين" الأنعام 14..  
وسوف يسأل كل من أشرك بالله عن هؤلاء الشركاء.. كما سيشهد عليهم الشركاء:

"-ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون" الأنعام 22 ..

"-ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل(17) قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا(18)" الفرقان..

"-ويوم يناديهم فيقول أين شركاءى الذين كنتم تزعمون(62) قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبارنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون(63) وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون(64)" القصص ..

"-ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين(13) ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون(14)" الروم..

"-ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك مامنا من شهيد(47) وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص(48)" فصلت..

"-قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير" سبأ 22..

"-والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير(13) ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير(14)" فاطر..

والشرك أصله الشيطان:

"-وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون" الأنعام 121..

"-فلما آتاها صالحا جعلها له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون(190) أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون(191)" الأعراف..

"-حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأثما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح من مكان سحيق" الحج 31..

وهم يؤمنون بالله فقط وقت الأزمات:

"-فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون" العنكبوت 65..

"-واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون" الروم 33..

حتى أهل الكتاب وقعوا في الشرك من قبل :

"-وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفوههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون(30) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وماأمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون(31)" التوبة..

الشرك الخاص:

وهو شرك الاصرار الذى دأب عليه الكافرون، وقد عاجله القرآن بالعقل، والمنطق لعلهم يعقلون.. وهو يدخل ضمن غباء الكفر :

"-مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولاالمشركين أن يترل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء" البقرة 105..

ويبرىء رسوله من شركهم:

"-أننكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لأشهد قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون" الأنعام 19..

ويعدد لهم بعض الشركاء:

"-وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون(100) بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليهم(101)" الأنعام..

"-وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلايصل الى الله وماكان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون(136) وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون(137)" الأنعام..

وينحون عليه تعالى بما هم فيه، وكأهم لارادة مستقلة لهم:

"-سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى اذا ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبغون الا الظن وان أنتم الا تخرصون" الأنعام 148..

"-وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شىء نحن ولاآباؤنا ولاحرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم" النحل 35..

ويغضون المؤمنين دائما :

"- كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولاذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون(8) اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون(9) التوبة..

وفسق المشركين هو خيانة العهد، ونسيانه لقوله تعالى في الآية السابعة من نفس السورة:

"- كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين.."  
ويفعلون ما وجدوا عليه آباءهم دون تعقل:

"- ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون" التوبة 17 ..  
ويبررون ما يفعلون عندما تعمل عقولهم :

"- ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبأون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون" يونس 18 ..

"- واذا رءا الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعوا من دونك فآلقوا اليهم القول انكم لكاذبون" النحل 86 ..  
وسيدهم الشيطان:

"- انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون" النحل 100 ..  
وفي الآخرة:

"- ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا" الكهف 52 ..

"- ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون(73) من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين(74) غافر..

"- فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين" غافر ..84

وكل من هلكوا من قبل كانوا غالبا مشركين:

"-قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين" الروم 42..

ولا يذكر الله وحده الا في الضر:

"-واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار" الزمر 8..

ثم دعوة الى العقل:

"-قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آنيهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا" فاطر 40 ..

"-قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو آتارة من علم ان كنتم صادقين(4) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون(5) واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين(6)" الأحقاف..

#### -4-الفسوق والفاسقون

وهو الخروج من الايمان، والطاعة، ورفض المنهج:

"-واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم" البقرة 282..

"-حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ومأهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتريدة والنطيحة وماأكل السبع الا ماذكيتم وماذبح على النصب وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق" المائدة 3..

"-والذين كذبوا بآياتنا يمسهن العذاب بما كانوا يفسقون" الأنعام 49..

"-ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق" الأنعام 121..

"-قل لأجد في ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به" الأنعام 145 ..

"-تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءكم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين(101) وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين(102)" الأعراف..

والأمر في هؤلاء جد خطير فهم كذبوا الرسل كما كذب الذين من قبلهم.. بمعنى توفر الاصرار على الكفر، وأنهم علموا بالرسالات السابقة، وكذلك علموا بالرسل السابقين بدليل معرفتهم دائما بالاله الحق.. ومن هنا لم يظلمهم الله حين طبع على قلوبهم فلا يؤمنون قط لأنهم أحبوا الكفر، والأدهى من ذلك أن منهم من اقتنع وآمن مع الرسل، ولكنهم لم يحافظوا على عهد الايمان، فاعتقدوا ولكنهم فسقوا عن المنهج الالهي، واتبعوا أهواءهم، وهو ما يعد انذار لنا أيضا، وكشأن القرآن دائما في ضرب الأمثلة بمن سبق:

"-وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون" الأعراف 163..

"-فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهمون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون" الأعراف 165 ..

"-الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا وغرقتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون" الأعراف 51 ..

"-قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واهوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقتترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين" التوبة 24..

"-واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" الاسراء 16..

"-واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه" الكهف 50..

"-ولوطا آتناه حكما وعلما ونجينا من القرية التي كانت تعمل الحباث أنهم كانوا قوم سوء فاسقين" الأنبياء 74..

والآية من أمثلة القرآن في الفسق، وهو بالنسبة هؤلاء ليس فسق إيمان.. ولكنه فسق عن طبيعة البشر في اشتهاه النساء؛ وليس الرجال كما حدث القرآن على لسانه:

"-ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين(80) انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء(81)" الأعراف..

"-ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين(28) أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل(29)" العنكبوت..

وقطع السبيل هو انقراض الأمة تماما باستتصال العنصر النسائي، وخروجه من النظام البشرى في التناسل، والتكاثر.. فما بال هؤلاء القوم تجبوا النساء، وأهدروا طاقتهم الجنسية في الرجال، ومن ناحية أخرى كيف يعتمد على رجل يؤتى جنسيا كالنساء في بناء أمة، والدفاع عنها، وليس قطع السبيل بمعنى السرقة، وقطع الطريق فمن كان هذا حاله من الشذوذ الجنسي فليس له طاقة بهذا العمل الذى يتطلب شيئا من الشجاعة، والجسارة يفتقدها من يعاشر معاشره النساء لأن التكوين النفسى هنا مشوه تماما، ومتجه نحو الاثم، والاضمحلال على مستوى الفرد، ومن ثم على مستوى الأمة.. ومن هنا جاء الاستتصال:

"-انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" العنكبوت 34..

"-والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون" النور 4..

"-وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه أنهم كانوا قوما فاسقين" النمل 12..

والمصريين القدماء كانوا أهل رسائل سماوية(بدأت بادريس عليه السلام نبيا، ومعلما، ثم أحيها تعالى بعد ذلك بابراهيم، ثم بيوسف عليهما السلام) تلقفها الكهنة وحرفوها - فسقوا عنها - لتخدم مصالحهم الدنيوية بالتحكم في البلاد، والعباد، وحتى في الفرعون نفسه، وهم الموصوفون في القرآن بالملاؤ. فيقول عنهم القرآن:

"- ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائته بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين" يونس 75 ..

وتنكروا لهما رغم أنهم أعلم الناس بصدقهما- فهم صفوة علماء الأمة- ولكن غرهم الأموال، والسلطة.. فكان الرد:

"- قالوا أجنبتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين" يونس 78 ..

فالمشكلة انحصرت لديهم في الزعامة، ومن ثم الاستفادة بهذه الزعامة في جمع المال، واستغلال العباد.. وصور لهم الجشع انتقال الزعامة، والأموال لموسى، وأخيه، ومن ثم لبني اسرائيل كافة اذا هم آمنوا، ويدلل على هذا القرآن في آية أخرى:

"- اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم يدك الى جناحك من الاله فذنك برهانان من ربك الى فرعون وملائته أنهم كانوا قوما فاسقين" القصص 32 ..

ويبعث الله الرسل(ادريس، ثم ابراهيم، ثم يوسف، ثم موسى، وهارون) لينتشل العباد- قوم فرعون- من الاستعباد، والاستغلال.. ولكنهم اتبعوا فرعون، وملائته:

"- فاستخف قومه فاطاعوه أنهم كانوا قوما فاسقين" الزخرف 54 ..

ويحذر المؤمنين منهم :

"- ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق نبأ فتيبنوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" الحجرات 6 ..

وعن قوم نوح:

"-وقوم نوح من قبل أنهم كانوا قوما فاسقين" الذاريات 46..

وقد فسقوا عندما زين لهم الشيطان عبادة الصالحين من قبلهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وآلهة استحدثوها.. فاشركوا بالله حتى دخلوا في دائرة الكفر..

"-ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون" الحديد 16..

"-ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" آل عمران 110..

"-وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" المائدة 47..

"-ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون(26) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون(27)" الحديد ..

وقد اقتترنت الرهينة بالفسق لكونها بدعة لم يفرضها الله عليهم، وعندما ابتدعوها ابتغاء رضوان الله لم يراعوا حقها، ونفهم أن من رهبانهم من كان مشركا، ومشعوذا، ومنهم من ارتكب من المعاصي باسم الرهينة ما كان أسوأ من الكفر.. ومن هنا يطرح القرآن قاعدة عامة عن سبب الفسق، وبدايته في نسيان الله، وعدم مراقبة الله في كل شيء، فأنساهم الله أنفسهم:

"-ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون" الحشر 19 ..

ويضرب مثلا بموسى عليه السلام، وقومه من بنى اسرائيل:

"-واذ قال موسى لقومه يا قوم لما تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليهم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين" الصف 5..

"-فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون(25) قال ربى انى لأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين(26) قال فانهما محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين(27)" المائدة ..  
وبالمنافقين:

"-قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين"التوبة  
..53

"-المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون" التوبة 67..  
"-ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين" التوبة 80..

"-سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن بغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين" المنافقون 6..

"-ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون" التوبة 84..

"-يخلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين" التوبة 96 ..

ويقرن الفسق بالظلم:

"-وادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة نغفر لكم خطاياكم وستزيد المحسنين(58) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون(59)" البقرة..

وبالكفر فى معرض الكلام عن بنى اسرائيل أيضا:

"-ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون" البقرة 99 ..

ومن أسوأ ما يقع فيه الانسان الفسوق بعد الايمان، كما أن باب التوبة مفتوح لمن وقع في هذا الظلم لنفسه:

"-بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" الحجرات .. 11

ولا يقرن هنا الايمان بالكفر.. ولكن بالفسق.. وهو الخروج من الايمان:

"-أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون" السجدة 18..

ويقرن الفسق بنقض العهد، وقطع ما أمر الله بوصله، والفساد في الأرض:

"-وما يضل به الا الفاسقين(26) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون(27)" البقرة..

#### 5-النفاق والمنافقون

وهو اظهار مالا يظن، ولا يستطيع اظهاره صراحة، وهو مرض ينتاب الشخصية الضعيفة:

"-وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون(167) الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين(168)" آل عمران..

"-واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا" النساء 61..

"-فما لكم في المنافقين فتنين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا(88) ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء(89)" النساء..

"-بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما(138) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا(139)" النساء..

"-ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا(142) مذبحين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا(143)" النساء ..

"-اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم" الأنفال 49..

"-واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا" الأحزاب 12..

"-ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لنن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطبع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون(11) لنن أخرجوا لا يخرجون معهم ولنن قوتلوا لا ينصرونهم ولنن نصرورهم ليولن الأديار ثم لا ينصرون(12) لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون(13)" الحشر..

"-اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقون لكاذبون(1) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون(2) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون(3)" المنافقون..

"-واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون" المنافقون 5..

6-الذين فى قلوبهم مرض

وهى شخصية أكثر ضعفا من المنافق، فاذا استطاع المنافق الاعتدال.. فمريض القلب لا يستطيع..

"-ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين(8) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون(9) فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون(10)" البقرة..

ولا هم لهم سوى الفساد فى الأرض، مدعين الإصلاح:

"-واذ قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون(11) ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون(12) واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون(13) واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون(14) الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون(15) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين(16)" البقرة..

ويصنف اليهود، والنصارى في مرضى القلوب، ومن تابعهم من المؤمنين:

"-ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين(51) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين(52)" المائدة..

وتنصوى هذه الفئة من الناس تحت شعار المصالح التي توضحها آية المائدة السابقة.. ويوضح تعالى أنها تجارة غير رابحة باذن الله.. فخسروا الدنيا، والآخرة.. وهم يرتعدون فرقا من القتال، لأنهم يتشبثون الحياة:

"-فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المعشى عليه من الموت فأولى لهم" محمد 20..

ويتبعون مايسخط الله :

"-ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم" محمد 28..

ولايزيدهم الهدى الا مرضا على مرضهم:

"-واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون(124) وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون(125)" التوبة..

وهم زبائن منتطعون على موائد الشيطان:

"-وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم(52) ليجعل مايلقى

الشیطان فتنة للذین فی قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمین لفی شقاق  
مبین(53) الحج ..

7- المنكرون لليوم الآخر والدهريون

وهم الذین عرفهم القرآن بدقة فی هذه الآیة:

"- وقالوا ان هی الا حیاتنا الدنیا وما نحن بمبعوثین" الأنعام 29..

ثم تتوارد عنهم الآیات عن صفاتهم:

"- فأذن مؤذن بینهم أن لعنة الله علی الظالمین(44) الذین یصدون عن سبیل الله  
ویغونها عوجا وهم بالآخرة کافرون(45)" الأعراف..

"- ان الذین لا یرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنیا واطمأنوا بها والذین هم عن  
آیاتنا غافلون" یونس 7..

"- فعجب قلوبهم إذا كنا ترابا أنا لفی خلق جدید أولئك الذین كفروا" الرعد  
5..

"- فالذین لا یؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستکبرون" النحل 22..

"- وأقسموا بالله جهد أیمانهم لا یبعث الله من یموت" النحل 38..

"- وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أنا امبعوثون خلقا جدیدا" الاسراء 49..

"- مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعیرا(97) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا  
بآیاتنا وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أنا لمبعوثون خلقا جدیدا(98)" الاسراء..

"- لقد جئتمونا كما خلقناکم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لکم موعدا"  
الكهف 48..

"- أولئك الذین كفروا بآیات ربهم ولقائه" الكهف 105..

"- ویقول الانسان إذا مامت لسوف أخرج حیا" مریم 66..

"- ویقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقین" الأنبیاء 38..

"-أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون" المؤمنون 35..

"-ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين" المؤمنون 37..

"-قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أأنا لمبعوثون" المؤمنون 82..

"-وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا" الفرقان 21..

"-وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وآبأؤنا أننا لمخرجون" النمل 67..

"-ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين" النمل 71، وسبأ 29، ويس 48..

"-وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون" الروم 8..

"-وقالوا إذا ضللنا في الأرض أنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون" السجدة 10..

"-ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين" السجدة 28 ..

"-وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد" سبأ 7..

"-وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم" يس 78..

"-أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أأنا لمبعوثون(16) أوآبأؤنا الأولون(17)" الصافات..

"-أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أأنا لمدينون" الصافات 53..

"-ومايدريك لعل الساعة قريب(17) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها(18)" الشورى..

"-ان هي الا موتتنا الأولى ومانحن بمنشرين(35) فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين(36) الدخان..

"-وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون(24) واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا اتنوا بآبائنا ان كنتم صادقين(25)" الجاثية..

وقد قدم الله تعالى نبذة عن عقيدة هؤلاء الدهريين من أنهم يؤمنون أيضا باله، ولكنه "هواهم"، أو كما يظنونه "العقل"، وهو من تلييس ابليس أيضا، ومن الشرك، ولكن الله تعالى يرده الى أصله، ويدعون أنهم أصحاب علم:

"-أفأرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون" الجاثية 23..

فالهداية ليست من الله، ولله.. ولكنها اعتمدت على العقل، وما يدعيه من علم.. فتارة يخطيء، وتارة يصيب.. وما هو خير اليوم هو شر غدا.. وهكذا..

"-واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين" الجاثية 32..

"-والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي" الأحقاف 17..

"-أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد" ق 3..

"-وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أأنا لمبعوثون(47) أو آباؤنا الأولون(48)" الواقعة..

"-زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا" النعابن 7..

"-بل يريد الانسان ليفجر أمامه(5) يسأل أيان يوم القيامة(6)" القيامة..

"-يقولون أنا لمردودون في الحافرة(10) أإذا كنا عظاما نخره(11)" النازعات ..

## مفهوم الدين

ويمكننا تقصى كلمة "الدين" في آيات القرآن الكريم، لاستجلاء معناها :

"-الرحمن الرحيم(3) مالك يوم الدين(4)" الفاتحة ..

وهو اليوم الذى سيحاسب فيه الناس بناء على هذا الدين بالرحمة لأنه أنزل  
الدين من قبل رحمة بالعباد :

"-وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" .. الأنبياء 107 ..

فيقول تعالى على لسان سيدنا إبراهيم :

"-والذى أطمع أن يغفر لى خطيئى يوم الدين" الشعراء 82 ..

"-وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين" الحجر 35..

"-وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين" ص 78..

وهو وعيد لإبليس من الله تعالى ..

"-إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع" الذاريات 6 ..

"-يسألون أيان يوم الدين" الذاريات 12 ..

"-هذا نزلهم يوم الدين" الواقعة 56 ..

"-والذين يصدقون بيوم الدين" المعارج 26 ..

"-وكنا نكذب بيوم الدين" المدثر 46 ..

"-كلا بل تكذبون بالدين" الإنفطار 9 ..

"-وقالوا ياويلنا هذا الدين" الصافات 20 ..

"-وإن الفجار لفى جحيم(14) يصلونها يوم الدين(15)" الإنفطار ..

"-وما أدراك ما يوم الدين(17) ثم ما أدراك ما يوم الدين(18)" الإنفطار ..

"-الذين يكذبون بيوم الدين" المطففين 11 ..

"-أرأيت الذى يكذب بالدين" الماعون 1 ..

"-فما يكذبك بعد بالدين" التين 7 ..

"-يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق" النور 25..

"-أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون" الصافات 53 ..

"-وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" الأنفال 39 ..

"-وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق"

الأنفال 72 ..

"-فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين" التوبة 29 ..

"-ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب" التوبة 29 ..

"-هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون" التوبة 33 ..

ووردت أيضاً في سورة الصف.. الآية 9 ..

ونلاحظ هنا العلاقة بين الأديان الأخرى، والمشركين.. التى ماهى إلا اشرك

بالله، واختلاف بين الناس.. لقوله تعالى :

"-وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين" يونس 105 ..

وهو دين الله تعالى، والحنف هو الميل للدلالة على استفحال أمر الأديان

الأخرى التى حاد بها أصحابها عن دين الله الواضح لاستغلال الناس وفقاً لمصالح

هذه الفتنة من الكهنة ..

ويقول أيضاً :

"-فأقم وجهك للدين حنيفاً" الروم 30 ..

"-ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم" التوبة 36 ..

"-فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين" التوبة 122 ..

"-وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين" يونس 22 ..

"-أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"

يونس 40 ..

وهو دين التوحيد وعبادة الله وحده دون استغلال عامة الناس الذين أحفى عنهم الكهنة الذين الصحيح الذى نزل على رسل الله للاحتيال من أجل جمع المال، والتواطؤ مع السلطة ..

"-فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" الروم 30 ..

وهو تعالى يقرن هنا الدين بالفطرة وهى التى لوثتها برائن الشرك، والوثنية ..

"-ما كان يأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله" يوسف 76 ..

"-وله ما فى السموات والأرض وله الدين واصباً" النحل 52 ..

"-ولا تأخذكم بما رآفة فى دين الله" النور 2 ..

"-فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين" العنكبوت 65 ..

"-فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله" الروم 4 ..

"-وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" لقمان 32 ..

"-فإن لم تعلموا آباؤهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم" الأحزاب 5 ..

"-إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فاعبد الله محاصاً له الدين(2) ألا لله الدين

الخالص(3)" الزمر ..

"-قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين" الزمر 11 ..

"-فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون" غافر 14 ..

"-هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين" غافر 65 ..

"-هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله" الفتح

.. 28

"-لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين" الممتحنة 8 ..

"-ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا" النصر 2 ..

"-ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا" البقرة 217 ..

"-ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم" آل عمران 73 ..

"-يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق" النساء 7 ..

"-قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق" المائدة 77 ..

"-يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين

أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء" المائدة 57 ..

"-وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر"

التوبة 12 ..

"-إني أخاف أن يبديل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد" غافر 26 ..

وهذا الكلام على لسان فرعون الذى يستخف بقومه بدين غير دين الله،

ويسميه أيضاً دين، ويفسد ويلقى بالبيعة على رسول الله موسى عليه السلام ..

"-قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض"

الحجرات 16 ..

"-ومن یرتد منكم عن دینه فیمت وهو کافر فأولئك حبطت أعمالهم" البقرة

217 ..

"-يا أيها الذين ءامنوا من یرتد منكم عن دینه فسوف یأت الله بقوم یحبهم

ویحبونه" المائدة 54 ..

وهو تعالى یقرن الدین بحبه، فإذا أحبوه أحبهم ..

"-وغرهم فى دینهم ما كانوا یفترون" آل عمران 24 ..

"-إلا الذین تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دینهم لله فأولئك مع

المؤمنین" النساء 146 ..

فالتوبة، والصلاح، والإعتصام بالله، والإخلاص فى الدین = الإيمان ..

والتوبة، والصلاح تخص العلاقات مع خلق الله، أما الإعتصام، والإخلاص فى

الدین فهى لا تكون سوى لله تعالى .. ویحتوى الإيمان بالله على الأربعة جميعاً ..

"-وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرهم الحياة الدنيا" الأنعام 70 ..

"-الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا" الأعراف 51 ..

"-إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم" الأنفال 49 ..

وهو تعالى يفرق بين نوعين من الفسق الذى هو الخروج من الإيمان ، وهما المنافقين ، ومرضى القلوب ..

"-ليردوهم ويلبسوا عليهم دينهم" الأنعام 137 ..

"-وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم" النور 55 ..

"-فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون(30) منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين(31) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون(32)" الروم ..

وهنا بداية الوقوع فى برائن الشرك والعياذ بالله ..

"-قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دىنى فلا أعبد الذين تعبدون من دون

الله " يونس 104 ..

وهى أديان الشرك ..

"-قل يا أيها الكافرون(1) لا أعبد ماتعبدون(2) ولا أنتم عابدون ماعبد(3)

ولا أنا عابد ماعبدتم(4)" الكافرون ..

"-قل الله أعبد مخلصاً له دينى" الزمر 14 ..

"-وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء" البينة 5 ..

والإخلاص من شروط العبادة لله علاوة على الحنف ..

"-فما يكذبك بعد بالدين" التين 7 ..

وهو تعالى يقرن الدين بالرسول الكريم المتمم لرسالات هذا الدين ..

"-أرأيت الذى يكذب بالدين" الماعون 1..

والسورة تسجل خصلتان من مساوئ التكذيب بالدين للكافرين، والمشركين، وهما دع اليتيم، وكرهه اطعام المسكين، وثلاث خصال للمنافقين، وهم السهو عن الصلاة بتأخيرها :

"-وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى" النساء 142..

ولأنهم "يرأون" الناس خاصة المسلمين منهم، ويكرهون المعونة رغم استطاعتهم..

ولأن الكافرين، والمشركين بدعهم اليتيم، وكرهه اطعام المسكين لا يجبون الإنفاق من أموالهم، التى يكتروها لأنفسهم فقط يعدهم رهم بالويل :

"-وويل للمشركين(6) الذين لا يؤتون الزكاة(7)" فصلت ..

وذلك لأنهم:

"-بالآخرة هم كافرون" فصلت 7 ..

فهم لأنهم يعيشون لأنفسهم فقط، ولا يدخرون شيئاً عند الله، فيتسألون :

"-إيان يوم القيامة" القيامة 6 ..

"-لكم دينكم ولى دين" الكافرون 6 ..

والسورة تقرن الدين بالعبادة، وتشير إلى التلبس الشيطاني الذى يدس على الإنسان عبادة ما دون الله ويسميه أيضاً دين، كى يطمئن قلبه للضلال؛ فيظل سادراً فى غيه ..

"-فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعوهما إن كنتم صادقين" الواقعة 86 ..

والآيات المذكورة تدل على اليوم الآخر الذى هو يوم الحساب ؛ وعلام يتم الحساب والثواب، والعقاب بدون دين يسبق فى الدنيا، يشر به الأنبياء وينذرون ، فلذا وجب تسمية يوم الحساب بيوم الدين، كما يقول فقهاء القانون الوضعى: لا عقوبة إلا بتجريم، ولا تجريم إلا بنص ..

وهناك طائفة أخرى من الآيات تتكلم عن الدين :

"-وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله" البقرة 193 ..

"-وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين" الأعراف .. 29

"-لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" البقرة 156 ..

"-ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين" النساء 46 ..

## الأديان

المقصود بالأديان هنا الأديان على إطلاقها، فلا يمكن الاعتراف بالتقسيم المتعارف عليه من وجود أديان وضعية، وأخرى سماوية.. فإذا كان الدين هو معرفة الاله - أى اله - فالانسان متدين منذ الأزل:

"-واذ أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا" الأعراف 172..

وليس بالامكان أيضا قبول فكرة أن الانسان اخترع ديناً يوماً ما، فما له واختراع الدين، وقد جعل الله الدين من أجله طريقاً مستقيماً، هادياً، ومرشداً منذ كان في النطفة الأولى.. فالأديان كلها سماوية.. نازلة من السماء الى الأرض، ولكنها حرفت عن أصولها، وتلفها الكهنة لاستغلال البشر، واستعبادهم على مر التاريخ.. وللكهانة نظم راسخة موعلة في تاريخ البشر على الأرض استأثرت بالتفكير في مسائل الكون، والعقيدة، وقد قامت، وازدهرت على العروش العريقة على ضفاف الأنهار الكبرى، وقد حدد تعالى قواعد هذا الدين الأزلى من خلال خمس قواعد في القرآن الكريم ..

القاعدة القرآنية الأولى:

"- ان الدين عند الله الاسلام" آل عمران 19..

سمى الله الدين الاسلام..

القاعدة الثانية:

"- وان من أمة الا خلا فيها نذير" فاطر 24..

تقرير الهى بأنه لم يترك أمة بغير دليل، ومرشد.. وهو عادة ما يكون من نفس الأمة..

القاعدة الثالثة:

"- ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" النحل

..36

الاسلام هو عبادة الله وحده دون شريك، وتجنب الشيطان الذى توعده بنى آدم بالاضلال، والبعد عن خالقهم ..

القاعدة الرابعة:

"- لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة" المائدة

..48

ووضع لكل أمة من الأمم شريعتها حسب بيئتها، وأمراض أفرادها، ولو شاء لجعلهم جميعا فى نفس الظروف، ولكن الخلق قام على التنوع، والتباين.. والاختيار..

القاعدة الخامسة:

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3) علمه البيان(4)" الرحمن..

ولا يتم كل هذا بدون كتاب.. وهو القرآن قرين الاسلام.. الذى جعله تعالى فى اللوح المحفوظ، وفرض تعليمه على الخلق، وبخاصة بنى آدم الذى علم آباهم آدم الأسماء بنفسه..

وتبدأ قصة الاسلام منذ آدم عليه السلام الذى خلقه الله تعالى بيديه الكريميتين - كما بنى تعالى السموات بيديه - فنفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء، وأمر الخلق العاقل وقتها بالسجود - وهم الملائكة - وإبليس من الجن قد بلغ مبلغ الملائكة آنذاك.. ولكن ظهرت طبيعته من حيث هو مخلوق مخير.. فامتثل الملائكة لأمر السجود؛ فسجدوا جميعا، وامتنع هو مبررا هذا الامتناع بطرق عقلية لاتصلح فى هذا المقام الالهى الرفيع، وهو تعالى لم يمنع العقلانية عن الملائكة غير المخيرين، فهم يعرضون عليه تعالى ماحدث من قبل فى الأرض عندما عاث الجن فيها فسادا، وسفكا للدماء.. وهذه ملاحظة لاتبدوا الا من كل ذى عقل، ونظر ..

ولانعتقد فيما روجه مدعى الحضارة من الغربيين، وتابعهم علماء المسلمين ممن فرضوا عليهم باسم العلم، والثقافة، والاحاح الاعلامى بأن الانسان قد اخترع الدين اختراعا.. وهو ماابتدعه المؤرخ الأمريكى "هنرى برستيد" فى كتابه "فجر الضمير" الذى ألفه سنة 1934م.. وترجمه الى العربية دكتور "سليم حسن" الذى يقدم المؤلف، وأفكاره فيقول :

"- انه يدل على أن مصر أصل حضارة العالم، ومهدتها الأول.. بل في مصر شعر الانسان لأول مرة بنداء الضمير.. فنشأ الضمير الانساني بمصر وترعرع؛ وبها تكونت الأخلاق النفسية، وعن هذه الحضارة المصرية أخذ العبرانيون، ونقل الأوربيون عن العبرانيين حضارتهم، وقد قضى برستيد في كتابه على شائعة فريق من علماء التاريخ القديم ظنوا أن الصين، والهند، ثم بلاد اليونان كانت مهد الحضارة العالمية.. وعنها أخذ العالم الحديث، والواقع أن الحضارة انتقلت من مصر عن طريق "فلسطين" التي لم يكن لها فضل سوى أنها كانت نقطة الاتصال بين الحضارة الأوروبية، والحضارة المصرية، وقد وضع برستيد أسس التاريخ المادى بتقسيم تاريخ الانسانية الى عصرين بارزين: الأول عصر كفاح الانسان مع المادة، والقوى الطبيعية، والتغلب عليها فهائيا، وقدره بمليون سنة؛ والثاني عصر الكفاح بينه، وبين نفسه الباطنة حين أخذ ضميره يبزغ، وأخلاقه تتكون، وهو مأحس به منذ أن عرف كيف يدون أفكاره بالكتابة، وقدره بنحو 5000 سنة.."

وهو تقدير بشرى محض لحضارة غرقت في المادية البحتة، حتى لاتستمد جذورها من خالق الانسان، ولكنها تستمدها من الطبيعة الصماء؛ وغباء الكفر.. فالله تعالى وهب البشر حين خلقهم الأخلاق، والعلم - خاصة حين أنزلهم الى الأرض - حتى لايعرقوا في هذا الخضم الهائل من السنين دون جدوى؛ خاصة أن عمر الانسان على الأرض قصير، ولايبلغ بحال من الأحوال عمر أى شىء سخره له كالشمس، والقمر مثلا.. فأنزل تعالى الرسل معلمين، ومبشرين، ومنذرين..

ان مايدعيه برستيد، ومن يرددون معه كالبغاوات امتهان للانسان الذى كرمه الله:

"-ولقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" الاسراء 70..

بينما يقول برستيد، وأتباعه عن الانسان:

"- قد بدأ متوحشا، مجردا من الأخلاق" .. يعنى لم يدرك مرتبة الحيوان!.

ويقول خالق الانسان:

"- بل الانسان على نفسه بصيرة(14) ولو ألقى معاذيره(15)" القيامة..

"- انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا(2) انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا(3) " الانسان..

"- علم الانسان ما لم يعلم " العلق 5 ..

"- ألم نجعل له عينين(8) ولسانا وشففتين(9) وهديناه النجدين(10) " البلد..

وحفظه من السوء:

"- ان كل نفس لما عليها حافظ " الطارق 4..

"- وان عليكم لحافظين(10) كراما كاتبين(11) يعلمون ماتفعلون(12)"

الانفطار..

ولم يتركه عاريا عندما أهبطه على الأرض.. أفتركه من غير دين، وأخلاق، وضمير كما يدعى الجاهلون!..؟!

"-يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير " الأعراف 26..

وأرسل اليه الرسل بالبينات، والكتاب، والميزان(القانون، والعدل)، وأنزل اليه كل ما يحتاجه..حتى الحديد :

"-لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد في بأس شديد ومنافع للناس " الحديد 25..

ثم يسأل المؤرخ في بلاهة:

"-كيف أصبح الانسان في وقت ما صاحب وازع خلقى؟!.. "والاجابة الذى

لايعرفها المؤرخ ذكرتها فواتح سورة الرحمن التى ذكرناها من قبل..

وهذه الآيات منذ بدء الخليقة البشرية.. فلم ينشأ الانسان متوحشا، ولامتخلفا وهو مالايفهمه الماديون أمثال هذا المؤرخ، وأتباعه..فالمادة لاعقل لها، وهم كذلك، ولكي ينطلى الكلام الفارغ على السذج ممن يصدقوهم باسم العلم، ويتفقون فى تقديراتهم غير العلمية، لأن التقدير عادة مايكون ظنيا، والظن ليس من العلم فى

شئ، فهم لا يصدقون الوحي لأنه غيب، وتقديرهم الظني غيب محض، بل يهبط الى مرتبة الخرافات، والآساطير.. فهم أيضا كهان هذا العصر البائس بهم..

وعن الخلط في ذهن هؤلاء الناس.. يقول برستيد:

"-لقد حفظت الوصايا العشر في طفولتي مثل اخواني من الصبية، وما أكد لي احترامها إنما أنزلت من السموات وحيا على موسى، ولكن كشفت وأنا مستشرق مبتدئ أن المصريين كان لهم مقياس خلقى أسمى بكثير من الوصايا العشر، وأن هذا المقياس ظهر قبل أن تكتب الوصايا بألف سنة.."

وهذا ما أوقع المسلمين في برائن أفكار هؤلاء الناس الذين نالوا من الدين بهذه الأفكار؛ وهى أن قدماء المصريين كانوا موفقين أخلاقيا أكثر من وحي السماء، ولكن ألا ينبغى أن نسأل قبل هذا - من باب الاستقلال الفكرى - من أين جاءت لقدماء المصريين هذه الأفكار، والأخلاق في هذا الوقت المبكر سوى من الوحي؟!! أم كانوا - برستيد، وأتباعه - في طفولة البحث فوقفوا عند هذا الحد، وانكسرت اللعبة.. فأعياهم الرجوع قليلا الى الوراء؟!!

ومن هذا أنه يرى أن حكمة "أمينموي" المصرى قد ترجمت الى العبرية في الأزمان الغابرة، وبذيوعتها في فلسطين صارت مصدرا استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال في التوراة، وأن التقدم الحضارى في الممالك التى تحيط بفلسطين كان أقدم بعدة آلاف من السنين من التقدم العبرى، وقد انبثق عصر فجر الضمير، والأخلاق على العالم دون أن يزوج به من العالم الخارجى عن طريق منهاج خفى يسمى الالهام، أو الوحي.. بل كان منشؤه حياة الانسان نفسه، ويرجع هذا الانبثاق الى مدة ألفى سنة قبل بداية عصر وحي رجال اللاهوت..

فهل هناك أضل من مؤرخ يظن أن عصر الوحي قد بدء برجال اللاهوت (الكهنة) الذين هم في ذهنه فقط؟!!

ومن الشواهد التى استدل بها في كتابه على اختراع الدين.. نستطيع أن نستدل بها على كون المصريين قد أدركهم الله بنى في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الانسان على الأرض حيث يقول:

"-لم يكن لسكان وادى النيل في عصر ما قبل التاريخ أجداد متحضرون يرثون منهم أى ثقافة، وأن الذى يعرف قصة تحول صيادى عصر ما قبل التاريخ فى غابات النيل الى ملوك، ورجال سياسة، وعمارة، ومهندسين، وصناع، وحكماء، وأنبياء اجتماعيين فى جماعة منظمة عظيمة مشيدين تلك العجائب على ضفاف النيل فى وقت كانت فيه أوروبا لاتزال تعيش فى همجية العصر الحجرى، ولم يكن فيها من يعلمها مدنية الماضى" .. هذا عن مصر.. أما عن الرافدين(العراق) فيقول:

"-فالمدينة فى أعلى معانيها قد ولدت فى الركن الجنوبى الشرقى من البحر الأبيض المتوسط، ومع ذلك قد كانت هناك منذ البداية تقدم هام نحو المدينة فى غرب آسيا المجاورة.. وبخاصة فى بابل حيث ظهرت فى نهاية الأمر ثقافة ما تمتاز بتقدمها المطرد فى الشؤون العملية، والتجارية، والقضائية، وفى الوقت نفسه كان من عناصرها البارزة الاعتقاد بأن مصير الانسان يكمن فى قراءته للنجوم؛ حتى أن حذقها المدهش فى درس الأجرام السماوية وضع مقدمة أصبحت فى يد الاغريق أساسا لعلم الفلك.."

فهل يجهل المؤرخ أن نبى الله ادريس قد سكن مصر، بعد أن هاجر اليها من الرافدين(بابل) على أرجح الأقوال، وقام فى المصرين داعيا الى الله الأحد، وأن بلاد الرافدين هى التى دعا فيها نوح عليه السلام أيضا الى الله.. مذكرا الناس بالاسلام، ومن بعده ابراهيم عليه السلام فى نفس المنطقة(بابل)؟!.. وهل يجهل أن القرآن لم يفته ذكر هذه الحضارة التى بعث ابانها ابراهيم عليه السلام، وقد كان فيها مكذبون بالله كدأب الانسان منذ بدء الخليفة كلما قطع شوطا فى الحضارة، والمدينة كلما استبعد الدين، والأخلاق من حياته، وكلما ظهرت الكهانة، وازدهرت فيسجل القرآن سخرية ابراهيم عليه السلام من معتقداتهم المغلوطة، وعقليتهم التافهة:

— "فنظر نظرة فى النجوم(88) فقال انى سقيم(89) فتولوا عنه مدبرين(90) فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون(91) مالكم لاتنتفون(92) فراغ عليهم ضربا باليمين(93) فاقبلوا اليه يزفون(94) قال أتعبدون ماتنتحون(95) والله خلقكم وماتعملون(96) قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم(97) فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين(98)" الصافات ..

ويدعى برستيد أن الحكومة، والنظام السياسى على ضفاف النيل هو الذى عمق أثر الدين فى النفوس.. ومن ثم بدأت المظاهر الحكومية تنتقل الى عالم الالهية حتى صار الاله العظيم يسمى فى بعض الأحيان ملكا، وهو كلام مردود عليه بأن الدين قد ظهر فى المجتمعات الزراعية، أو الحضرية، والتجارية كما نبأنا القرآن الكريم عن أقوام عاد، وثمود، وقدماء وادى النيل، وغيرهم؛ وهى البيئات الصالحة لنشأة الغيبيات، وتصديقها، وهذه المجتمعات هى عادة التى تحتاج الى حكومة منظمة ترعى النظام، والحقوق، والأمن، والاستقرار، وتعيد توزيع الثروة المتراكمة بالزراعة، ومايقوم عليها.. حتى الاسلام فى البعثة الحمديّة استتب فى المدينة العامرة خلال عشر سنوات مع استحالة ذلك فى مكة المقفرة.. كما نشأت الدولة اليهودية أيام داود، وسليمان عليهما السلام فى المدينة المقدسة مع استحالة ذلك فى سيناء أيام موسى، وهارون عليهما السلام.. من أقدم النصوص لى كتبها الكهنة فى منف قدر برستيد زمنها قبل عهد الاتحاد الثانى فيما لا يقل عن 4000 ق.م. فيشير الى بعض الكلمات التى نرى أنّها قوام الدين المتزل من السماء؛ والتى لم تتغير منذ فجر وجود الانسان على الأرض مثل كلمة "القلب" وهو مانجد أن أصدق، وأشمل كتب الدين التى وصلتنا-غير محرفة- وهى القرآن الكريم لايتعامل مع أى جزء من جسم الانسان بالنسبة للهداية، والضلال سوى مع القلب الذى لاحظ برستيد، وبعض المترجمين لهذا المتن، والمتون المصرية عامة بأنّها تعنى "العقل" لدى المصريين القدماء.. حتى البحوث الفسيولوجية الحديثة ترجع الميول القلبية دائما حتى فى حالات العشق، والهوى، والغرام الى التفكير العقلى، ومن القرآن:

"-أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فأنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور" الحج 46..

"-الا من أتى الله بقلب سليم" الشعراء 89..

"-اذ جاء ربه بقلب سليم" الصافات 84..

"-كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار" غافر 35 .

"-من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب" ق 33 .

"-ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب" ق 37..

"-ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه" البقرة 283 .

"-الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان" النحل 106 .

"-ومن يؤمن بالله يهد قلبه" التغابن 11..

"-أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" محمد 24..

ومن كلمات أقدم المتون الدينية نجد من صفات الاله بتاح اله منف المسيطر على أصحاب الحرف، والصناعات والذي يعتبر عموما اله الحرف يقول القرآن:

"-علم الانسان ما لم يعلم" العلق 5..

كما يقول أقدم المتون أيضا عن بتاح :

"-الذي نطق بأسماء كل الأشياء" .. ويقول القرآن

"-وعلم آدم الأسماء كلها" البقرة 31..

ومن صفات بتاح كما يذكر المتن :

"-خالق كل من الطيب والخبيث" .. ويقول القرآن:

"-هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن" التغابن 2..

ومن مراجعة الدعوات، والصلوات المحفوظة يتبين أن عبادة بتاح كانت أقرب العبادات الى المعاني الروحية.. فارتفاع بتاح من صانع حاذق بالبناء، والتمثيل، وسائر الصناعات الى صانع مختص باقامة الهيكل المقدس الذي أصبح في اعتقادهم مثالا للعالم بأرضه، وسمائه، وكان بتاح كما جاء في احدى صلواته هو "الفؤاد، واللسان للمعبودات" .. فلا ينبعث من ذهن، ولالسان فكر، أو قول بين الأرياب، أو الناس، أو الأحياء الا هو من وحى بتاح؛ فكلمته هي الخلق، والتكوين..

ويرى برستيد أن عقيدة بتاح هي أساس مذهب الخلق بالكلمة Logos عند الاغريق الأقدمين.. فلا حاجة بالخالق الى أداة للخلق غير أن يشاء، ويأمر.. فاذا بما يشاء موجود كما شاء، ومن المحتمل جدا أن كهان تلك العصور تدرجوا الى

فهم قوة الكلمة الالهية من فهمهم لقوة الكلمة على لسان الساحر، وقوة الكلمة على لسان المبتهل للصلاة..

ونسج كهان عين شمس على متوال كهان منف تزيه "رع"، ونجريده من ملابسات الحس، والتجسيد، ولاسيما بعد تفرغهم للعبادة الروحية، وانصرافهم اليها كلما تعاضم سلطان الكهان في طيبة، وتفاقت سيطرتهم على مناصب الدولة، وهم كهان آمون.. فطغى نفوذ كهان آمون؛ فاستأثر رئيسهم بلقب "الرئيس" في أنحاء الديار، ولكنهم ذهبوا في الطغيان كل مذهب على عهد خلفائه.. فطمعوا في نفوذ الملك بعد اطمئنانهم الى نفوذ الدين..

استنكر اخناتون دسائس كهنة آمون، وتهاافتهم على المناصب، والأموال، وألقى جميع الأرباب، وأولهم الرب القديم أوزوريس، وقد عقد كل من هنرى برستيد، وأرثر ويجال مقارنة بين صلوات اخناتون، وأحد الزمامير العبرية.. فاتفقت المعاني بينهما اتفاقا لاينسب الى توارد الخواطر، والمصادفات، ولكن الحق أن بنى اسرائيل قد أخذوا كثيرا من عقائد المصريين، وشعائهم قبل عهد اخناتون بعدة قرون، وبعده بعدة قرون..

وكانت دعوة اخناتون صحوة وجيزة تبعثها نكسة سريعة من جراء الأحداث السياسية، ومن كيد كهنة آمون المخلوعين، ولأنه هجم على الشعب في أعز العقائد عليه، وهى عقيدته في أساطير عالم الأموات، وشعائر الاله أوزوريس رب المغرب، والخلود.. فانكر سلطان أوزوريس على الأرواح، وجرده من قدرة الحكم عليها بالعقاب، أو العذاب؛ ولهذا بقيت عبادة أوزوريس، وايزيس بين المصريين، كما بقيت بين اليونان، والرومان.. وكذلك نرى في كلمات أقدم الوثائق في التاريخ كلمات وحى السماء التى لم تتغير منذ بدء الخليقة، ولم يستأثر بها الوحى لقوم دون قوم انما نزلت للبشر كافة في كل زمان، ومكان، وهى من الأصول، والمبادئ في الدين(الاسلام..).

وعلى مدى فصول ثلاثة يتحدث برستيد عن قدسية الموت.. وحتمية الحياة بعد الموت في عقيدة قدماء المصريين.. والذى يفهم ممن تحدثوا عنها أنه البعث بعد الموت.. ولكن الفكرة حرفت بحيث أصبحت فكرة البعث التى عرفوها عن طريق النبي ادريس عليه السلام تتوقف عند الحياة البرزخية التى من المفترض أنها حياة

انتقالية تفصل حياة الانسان عن بعثه.. فأصبحت فكرة البعث تقتصر على حياة القبر فقط بما أعدوه من طقوس جنازية تحفظ الجسم سليما لحين عودة الروح "با" اليه مرة أخرى لتجده كما فارقته في الحياة قبل الدفن، ومأعده لهذه العودة من أسباب الحياة من أكل، وشرب، وغير ذلك من أسباب العيش.. وفكرة الروح هذه لايمكن ادراكها سوى عن طريق التنبؤ، والوحى فهى ليست شيئا مرثيا، أو مسموعا، أو محسوسا حتى يدركه انسان في هذا الوقت المبكر من تاريخ البشر على الأرض

وعندما صادف المؤلف معرفة المصريين القدماء بالقرين "كا" لم يذكر هذا المصطلح الذى أخذناه من القرآن الكريم، حتى المعرب لم يذكر المصطلح أيضا، ولكنه نقل قول المؤلف أن "كا" يظهر فى الوجود مصاحبا لكل انسان من وقت ولادته، ويرافقه فى كل حياته حتى ينتقل قبله الى عالم الآخرة..

ولايعقل أيضا أن يكتشف المصرى القديم "القرين" فى هذا الوقت المبكر دون وحى، ونوبة نطقت بالمعتقد مباشرة خاصة أنه غيب لايدرك بالحواس، ولايزال هذا المعتقد منتشرا فى الريف المصرى حتى يومنا هذا.. حيث يخشى كثير من المصريين - خاصة النساء منهم - كنس الدار ليلا، أو القاء الماء خارجها خاصة فى الظلام حتى لا يؤذى قرينه تحت الأرض.. وعن القرين يقول الأستاذ محمد صابر وهو يعدد كلمات، وعادات بقيت فى مصر المعاصرة - خاصة فى الريف المصرى - منذ عهد قدماء المصريين :

"-يعتقد عامة الشعب الآن أن لكل منا أخوا، أو أختا تحت الأرض.. فاذا ماوقع طفل، أو طفلة قالوا: اسم الله عليك أحيك، أو أختك تحتك".. وكذلك تحيل قدماء المصريين أن لكل انسان قرين .."

اذن فهى معتقد، أو عادة مصرية قديمة.. ذكرها القرآن صراحة فى أكثر من موضع، وكذلك الأحاديث النبوية.. والمصدران أصلهما الوحى؛ والوحى أفكار واحدة متصلة منذ آدم، وحتى محمد عليهما الصلاة، والسلام.. ولابد أن المصريين عرفوا القرين عن طريق الوحى من النبى ادريس عليه السلام.. يقول القرآن عن القرين:

"-ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاننا فهو له قرين(36) وأنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون(37) حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين(38)" الزخرف ..

"-وقيضنا لهم قرناء زينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم" فصلت 25 ..

ويوضح القرآن ماهية القرين أيضا، فيصرح بأنه شيطان يريد اغواء الانسان.. كما

بينته الأحاديث النبوية:

"-ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" النساء 38..

وعن تحديه للانسان، وعداوته له في الدنيا، والآخرة:

"-وقال قرينه هذا مالدي عبيد" ق 23..

"-قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد" ق 27..

ومن هذان الرمزان الخالدان في آثار قدماء المصريين.. الروح "با"، والقرين "كا".. وهما من الغيبيات بالنسبة للانسان، لايمكن ادراكهما بالعقل المجرد، أو التفكير المسترسل، وهما مالم يستطع الكهنة، وشياطينهم انكاره، أو تدليسه، أو تليسه، ولكنهم ذكروهما بكل دقة، وذكروا كل مايتعلق بهما من تفاصيل مايدلنا على خيوط الوحي، والنبوة، ولاحتمال آخر لكل ذى عقل، وفكر..

فمن حيث الروح(با) راقب الانسان الموتى - كما يقول العقاد- فرأى أنهم يفقدون النفس حين يموتون.. فوقع في حدسه أن النفس هو الروح المفارق للأجساد في حالة الموت، فهي شيء في لطف الهواء الخفي يجتجب عن الأنظار، فلا شك في ارتباط الروح بالهواء، ويدل على ذلك الكلمات التي تطلق عليها في اللغة العربية مثل: الروح، والنفس، والنسمة، وكلمة **Psyche** اليونانية معناها النفس.. كمعنى **Spirit** في اللغة الأوروبية الحديثة.. أما القرين فكيف يعلم به الانسان دون تبليغ من وحي السماء؟!..

كان المصريون من أعرق الأمم التي آمنت بالروح، ثم آمنت بالبعث، والثواب، والعقاب بعد الموت.. أما أثبت العبادات، وأبقاها فهي عبادة الأموات،

والأسلاف.. فعناية المصرى بتشبيد القبور، وتحنيط الجثث، واحياء الذكريات  
لاتفوقها عناية شعب من الشعوب ..

ويقتر المؤلف بقديم "مسرحية منف"، و"متون الأهرام" احتويتان على الصيغ  
الجنازية.. وحياة الانسان بعد الموت، و متون الأهرام نقشت في خمسة أهرام بسقارة  
التي كانت تعد جبانة منف القديمة، ويظهر من محتويات المتون - كما يقول المؤلف  
- أنها تشتمل على مادة أقدم من عصر النسخ، خاصة أن النسخ التي عشر عليها  
تشير الى فصل عن أولئك الذين يصعدون؛ وفصل خاص عن أولئك الذين يرفعون  
أنفسهم، والرفع ذكر في القرآن لادريس، وعيسى عليهما السلام.. وادريس من  
أول مابعث من أنبياء على الأرض:

"-واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً(56) ورفعناه مكانا  
عليا(57)" مريم..

وهو يرى أن هناك أفكارا في المتون بالغة الغرابة ظهرت فيها ثم اختفت بعد  
عصر المتون، ولم يصادفها في متون مصرية أخرى، وربما استمرت مستخدمة جيلا،  
أو جيلين في متون الأهرام، وهي عدم ذكر الموت للملوك الفترة المبكرة حيث يذكر  
الملك المتوفى بأنه حي يرزق، وبرستيد بطبيعته المادية لا يفهم أنها الشهادة التي يعد  
بها الله الأبرار من عباده المؤمنين، وكذلك قولهم في المتون للملك المتوفى:

"-لقد سافرت لكي يمكنك أن تعيش" .. وهي الحياة الأبدية المستمرة بلا فناء  
كحياتنا الدنيا، وفهمه السقيم في أنها اختراعا بشريا، وهو لا يفهمها لأنه لا يدري  
مالوحي، والنبوة التي كتبت هذه الأفكار متأثرة به في أعقاب ذلك النبي(ادريس)  
الذي رفع أمامهم الى السماء، ولم يمض كما يموت الناس، وهو ما مجدوا به ملوكهم  
الفراعنة طوال عصور الدولة القديمة، والوسطى، والحديثة.. فالملك أيضا لا يموت  
بل يصعد الى السماء.. وهم قد مزجوا هذا بالأساطير، وحرفوه لارضاء الملك  
الذي له سلطة تعيين هؤلاء الكهنة الذين يسجلون هذه الأفكار من الوحي،  
والنبوة ..

وقد برع هؤلاء الكهنة في تحريف الوحي لأغراضهم الشخصية في أماكن  
كثيرة من هذه المنطقة، وما حولها حتى الصين، والهند.. وكلما ابتعدنا أكثر عن هذه

المنطقة خفت حدة الوحي في هذه الأساطير التي خلقت أديانا نسميها خطأ الأديان الوضعية؛ وماهى الا وحيا تلاشى، واندثر تحت وطأة الزخم الكبير من الأساطير مثلما نجد في شرق آسيا، واليابان عبورا الى دول أمريكا الشمالية، والجنوبية، واستراليا التي دخلها الانسان خلسة، وبقي فيها بعيدا عن طرقات وحي السماء للأرض في دائرة محدودة من العالم في أرض الجزيرة العربية، والعراق، والشام، ومصر والتي يتوسطها بيت الله الحرام، وبيت المقدس اللذان بارك الله حولهما، ويقعان على طرفي قطر هذه الدائرة.. ويندهش المؤلف من كون الفكرة السائدة في متون الأهرام؛ أن الحياة توجد في السماء، وأن الحياة هي الآخرة، وليست الدنيا، ولا يفهم أن هذا أيضا هو كلام من وحي السماء الى الأنبياء المرسلين لأهل الأرض:

"-وان الدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون" العنكبوت 64 ..

كما يتعجب المؤلف من تكرار عملية التطهير التي يتعرض لها المتوفى بتكرار ممل، وهو ماعلق عليه المعرب من أنه يقابل بالضبط غسيل الميت، ودفنه في الاسلام، مما يثبت أنه أوامر وحي سماوى، ويتحدث المؤلف عن ذكر هذه المتون لحالة الخوف التي تملأ قلوب سكان الشرق القديم كلما تأملوا في أخطار عالم الآخرة، ولانحتاج الا تأكيد أن سكان الشرق الجديد أيضا كذلك، وهو ارث الرسائل الكثيرة، والثقيلة التي كانت من نصيب هذه البقعة المباركة من العالم..

ومن المتون أيضا يتحدث عن مورد الشرب في الآخرة؛ وماهو الا الحوض في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن يوم القيامة، كما تتحدث المتون أيضا بالتفصيل الممل عن اجتياز المتوفى أبواب السماء حتى يقترب بعالم الأرواح في قصور السماء(الجنة)، ولم يسأل المؤلف نفسه من أين جاء لكاتب المتون أن السماء لها أبواب الا ان كان وحيًا، ونبوة:

"-ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر" القمر 11..

"-وفتحت السماء فكانت أبوابا" النبأ 19..

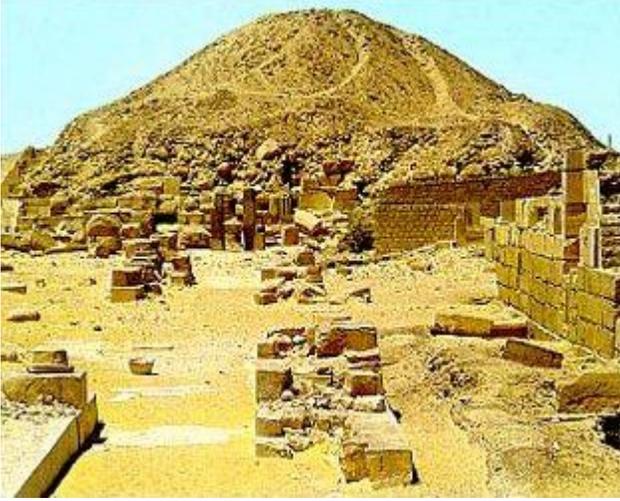
ويورد بعض العبارات من أناشيد المتون، ومانراها الا وحيًا صريحًا:

التعليق	العبارة
وفيهما ذكر جهنم في هذا الوقت المبكر جدا	*عظام كلاب جهنم ترتعد..
وفيهما ذكر لخزنة جهنم	*والبوابون واجمون..
من صفات الله تعالى في عنايته بالبشر بارسال الرسل	ومرسل *وهو رب الرسل، رسالاته..
اذا قضى -"واذا قضى أمرا فانه البقرة 117 يقول له كن فيكون"	*اذا أراد فعل، واذا لم يرد لم يفعل..

وقد ذكرت المتون قتل ست لأخيه أوزوريس ومانراها الا قصة القرآن عن ابني آدم عليه السلام؛ خاصة وأن الأسطورة تحتوى أيضا على الأختين ازييس، ونفتيس.. وازيس في الأسطورة هي أخت أوزير أيضا.. ومن هذه الأسطورة المبكرة زين الكهنة للملك مصر القديمة زواج المحارم:

"واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين(27) لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ماأنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين(28) انى أريد أن تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين(29) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (30)" المائدة.. ومن المتون الهرمية(شكل1،2) بدأ المؤلف في تعديد مظاهر الأخلاق عند المصرى القديم التى نجدها بادية ذى بدء وحيا نزل عليه من السماء، ولم يكن الانسان منذ خلق بعيدا عن المنافسة، والشجار مع من حوله من أفراد؛ ففى اطار الأسرة الواحدة تنافس الأخوة فى البيت الواحد قبل أن يخرجوا للحياة بمشاكلها، وضجيجها، وهذه طبيعة بشرية نشأت عن تميز الانسان بالعقل، والتفكير، ومن ثم فهما يختلفان من واحد الى آخر، وهو ماجاء ذكره فى القرآن عن المنافسة بين ابني آدم عليه السلام فى هذا الوقت المبكر على الأرض ..

شكل(1): هرم أوناس من ملوك الأسرة الخامسة المسمى "نفر اسوت" .. بمعنى المكان الجميل الذى اشتهر بما يعرف بمتون الأهرام، وهو ضمن مجموعة منطقة سقارة الأثرية ..



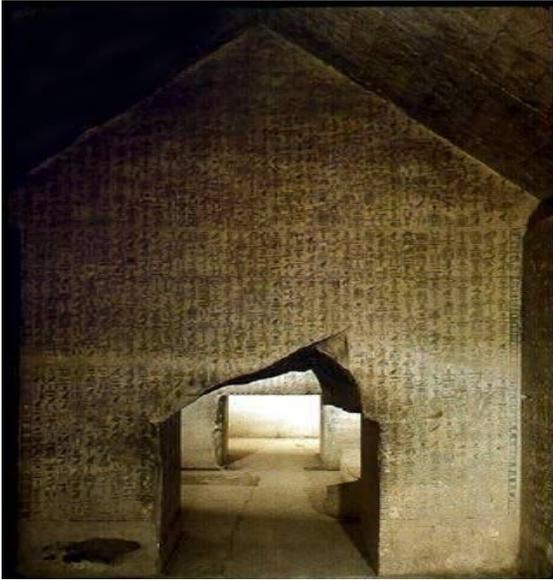
وهو يرصد النظام الأسرى، ويعزى اليه ظهور الأفكار الخلقية، ونموها.. وهذا ماحدا بالوحي أن ينشئ الانسان فى اطار أسرة مكونة من أب، وأم، وأخوة، وماينشأ عن ذلك من فضيلة البر بالوالدين، ومعاملة الجيران، والأقران بالحسنى، وارضاء العمال باعطائهم مااتفقوا عليه من أجر، والتصدق على الفقراء حولهم، واطعام الطعام، وتوزيع الكساء، والعطف على الصغير، وتبجيل الكبير، والرحمة بالحيوان، والطير، وعدم الاساءة للناس، أو استغلال الوظائف، أو الكلام القبيح، أو الكذب، وشهادة الزور، وكان هذا الوازع الخلقى راجعا الى الاعتقاد الدينى بالحساب بعد الموت، ومن الصعب اختراع كل هذا فى هذا الزمن المبكر كما يدعى المؤلف الذى تبعه الكثيرون حيث يقول:

"-اننا نعلم أن جريمة الزنا كان عقوبتها الموت فى الأزمان التى تلت عصر الأهرام، ولايبعد أن هذا العقاب كان متبعاً فى عهد الدولة القديمة.."  
وهى نفس العقوبة فيما بين أيدينا من كتب الوحي الباقية مثل التوراة، التى أيدتها السنة النبوية فى عقوبة الزنا بالرجم حتى الموت للمتزوج، أو المتزوجة..

ويقارن الحضارتين المصرية، والبابلية زمنيا فيقول :

"-ولاجدال في أن التقدم السياسى، والاجتماعى، وتطور الحضارة البشرية على وجه عام كان ظهورها كلها في وادى النيل متقدما بعدة قرون على أمثاله في غرب آسيا، والحقيقة أن الحضارة في بابل أنت متأخرة في تطورها الدينى، والاجتماعى، والسياسى عن حضارة مصر بما لا يقل عن ألف سنة.."

شكل(2): هرم أوناس حيث تظهر متون كتاب الموتى منقوشة من الداخل..



وبعد عصر الأهرام ببضعة قرون جاء في النصائح الموجهة من الملك "مري كا رع":

"-انك تعلم أن محكمة القضاة الذين يجاسون المخطيء لا يتسامحون في ذلك اليوم الذى يجاسون فيه الشرير وقت تنفيذ الحكم، ولا تركزن الى طول الأيام لأهم ينظرون الى مدى حياة الانسان كأنها ساعة واحدة، والانسان يعيش بعد الموت،

وأعماله تكوم بجانبه كالجبال، لأن الحياة الأخرى أبدية، ولا يهمل أمرها الا الغيبي..  
وفي القرآن الكريم:

"-ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة "الروم 55..

ويقول صلى الله عليه وسلم:

<<-من مات فقد قامت قيامته..>>

حتى العقاد قد وقع في هذا الخلط عندما قال:

"-كان المصريون الأقدمون يؤمنون بالاله الواحد، وكان من معتقداتهم أن  
للروح في العالم الآخر ميزان يقدر لها الحسنات، والسيئات، ولكنها لم تكن دعوة  
نبوة، ورسالة.."

ويكاد يقول هؤلاء أن الله - تعالى عما يصفون - قد أخذ فكرة التوحيد،  
والبعث من قدماء المصريين.. ثم يستطرد العقاد:

"-ولعلها جاءت في زمن لم تنهياً فيه النفوس للعلم بالوحدانية، ونبذ الشرك،  
وتعدد الأرباب.."

وكأنه يرتاب مما يقول، فكيف لم تنهياً النفوس لفكرة من اختراعها أصلاً؟!..  
ولم تمل عليها من أحد؟!.. ثم يسترسل:

"-كانت في جملتها دعوة كهان يسترون ما يعلمون، ولا يوحون للناس بأسرار  
الديانة الا بمقدار.."

ولكنه لم يسأل نفسه، من أين جاء الكهان بأفكار التوحيد، والبعث؟!..

يقول العقاد:

"-ترقى الانسان في العقائد كما ترقى في العلوم، والصناعات.. فكانت عقائده  
الأولى مساوية لحياته الأولى؛ وكذلك كانت علومه، وصناعاته.. فليست أوائل  
العلم، والصناعة بأرقى من أوائل الأديان، والعبادات، وليست عناصر الحقيقة في  
واحدة بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى.. وينبغي أن تكون محاولات الانسان في  
سبيل الدين أشق؛ وأطول من محاولاته في سبيل العلوم، والصناعات، لأن حقيقة

الكون الكبرى أشق مطلباً، وأطول طريقاً من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التي يعالجها العلم تارة، والصناعة تارة أخرى.. ويقول علماء المقابلة بين الأديان: ان هناك ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة، والأرباب.. وهي دور التعدد(آلهة كثيرة)، ودور التمييز، والترجيح(الاستقرار على اله معين)، ودور الوحدانية(الاله الواحد)..)

ومن تعزيز العقاد لهذه النظريات، وأخذها بما ندرك أن العقاد قارئ جيد للغربيين كغيره من مفكرى عصره - عصر الاستعمار، واحتلال العالم الاسلامى - كطه حسين، وسلامة موسى، وأحمد أمين، وغيرهم ممن نشأوا في هذا العصر.. حيث نقلوا لنا بأمانة متنهاية ماقاله الغرب بلا اضافة، أو حذف، أو استدراك- ناهيك عن النقد - والغريب أنهم انتقدوا كل ما هو عربى، واسلامى، ووطنى(وهى هويتهم، وهوية شعوبهم التي خرجوا منها).. فالمعروف أن التلميذ يصير أستاذاً مع الوقت، وقد يفوق الأستاذ.. ولكنهم للأسف وقفوا عند مرحلة التلمذة الساذجة.. وهى التصديق الأعمى بلا مناقشة، وكأنهم من شعوب بلا تراث، أو هوية، أو حضارات، وآثروا ألا يغادروا مقاعد الدراسة؛ وبلاهة التلقى.. فلم يتجاوزوا مرحلة الانبهار.. انبهار القروى الساذج الذى جاء لتوه من أقصى الريف لبهجة المدينة، وأصواتها الآخاذة.. فأثر أن يظل خادماً لدى أسياده يتلقى مايلقونه اليه من سقط المتاع.. دون أن يستقل بعمل يؤكد ذاته، ويؤمن مستقبل أولاده.. ويعلق الأستاذ عبد الحميد جودة السحار بقوله:

"-وقد أخذ الأستاذ العقاد فكرة ترقى الانسان فى العقائد، وترقيه فى العلوم، والصناعات من قول علماء المقابلة بين الأديان بأن هناك ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم حتى وصلت الى الوحدانية.. وهذا القول خاطيء من وجهة النظر الاسلامية.. فهو يعتمد على فكرة أن الله من خلق الانسان؛ وينفى عنه الثبات.."

ونرى أن من قال بهذا الكلام سواء أكان العقاد، أو علماء المقابلة بين الأديان الذين أخذ عنهم، أو هم معا لم يقرأوا كثيراً فى التاريخ، ولا الأديان.. ولكنه ربما تأثر بنظرية التطور التي صارت منذ ظهورها قبل نهاية القرن التاسع عشر منهجا رتبيا جعلت كل من هب، ودب يخضع لها كل مايدرسه فى أى مبحث من مباحث الحياة من تاريخ، وثقافة، وفن، وعلم، وغير ذلك؛ فظل العالم متأثراً بهذه النظرية

طيلة قرن من الزمان في كافة المجالات - رغم أنها لم تكن جديدة في فكرتها.. فقدماء الفلاسفة الاغريق، والمسلمين قد تحدثوا عنها من قبل - فمالت هذه النظرية بكل بحث في مجال من المجالات بنتائج في غير مجراها التي ينبغي أن تؤول اليه؛ حيث أصبحت تباعد كثيرا عما سبقها من مقدمات.. فوقع من أخذوا بها بسبب، وبغير سبب في أخطاء تعانى منها الحضارة، والعلم حتى الآن؛ فوضعت عبئا على المتأخرين في تصحيح أخطاء المتقدمين، كما نفعل الآن..

فاذا طالعنا القرآن الكريم أوثق، وأصدق الكتب السماوية نجده قد اشتمل على الدين، وأصل الدين، فهو الوحيد المخول له التحدث في هذا الأمر دون أى كتاب آخر، وبما أن منزل هذا الكتاب هو الخالق نفسه فهو المنوط به فقط التحدث عن البدايات أيضا دون غيره، بحيث لو تحدث غيره في هذا فهو لاشك مدعى بما لا علم له، وينبغي ألا يسمع له أحد ذو عقل، وبصيرة، وقد عرفهم القرآن منذ كان في اللوح المحفوظ، وسماهم المضلين اذ يقول:

"-ماشهدتم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا" الكهف 51..

ويقول:

"-وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار" ص 27..

"-وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعين(38) ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون(39)الدخان..

ويتحدث القرآن عن ما قبل النشأة الأولى للانسان:

"-واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة" البقرة 30..

"-ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون" الروم 20 ..

"-اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون" الحجر

"-اذ قال للملائكة ائى خالق بشرا من طين" ص 71..

"-هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا "الانسان 1 ..

"-وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" مريم 9 ..

ولأنه تعالى سواه بيديه، فهو أيضا علمه بنفسه:

"-وعلم آدم الأسماء كلها "البقرة 31..

"-الرحمن(1) علم القرآن(2) خلق الانسان(3) علمه البيان(4)" الرحمن ..

بمعنى أنه لم يكن علما مرسلا، بل كان علما بالقرآن، والمنهج؛ وهو أن يقرأ، ويتعلم بالقلم بشرط :

"-اقرأ باسم ربك الذى خلق(1) خلق الانسان من علق(2) واقرأ وربك الأكرم(3) الذى علم بالقلم(4) علم الانسان ما لم يعلم(5)" العلق..

وقد توج تعالى مخلوقاته بالانسان، فجاء على رأس الخلائق..فأسجد له ملائكته.. وجعل منهم حفظة عليه، وسخر له مافى السموات، والأرض، ولكن كان من الخلق ماأوغر قلبه كل ذلك..لم كل هذا؟!.. لهذا المخلوق الضعيف؟!.. لهذا التراب الوضعي؟!..انه كبير شياطين الجنابليس..الذى ضحى بمكانته بين ملائكة السماء فقط من أجل أن يكيد فقط لهذا المخلوق، فبدأ المخلوق الجديد على هذا الكون يعانى الأمرين من هذا الشيطان الذى تفرغ له:

"-واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين(34) وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(35) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين(36)" البقرة..

وتكتشف سورة الأعراف هذه الصورة، وتشرح الموقف بتفصيل أكثر.. حيث يرر ابليس عصيان الأمر بالسجود بمقارنة مادة خلقه بمادة خلق آدم.. فى أول بادرة يبدو فيها غباء الكفر؛ فلا هو، ولا آدم اختار مادته لتظهر وجهة المقارنة.. ثم لايكفى باظهار هذا القدر من الغباء.. فتفوح أحقاداه، ويظهر غله، معلنا

الحرب عليه، ومتوعدا اياه في وجوده، وحضرة رب العالمين دون خجل؛ أو حياء، ولا يحتاج الأمر لكل هذا الا أن تكون نفسا قد اكتتزت الشر، والعدوان:

"-قال مامنعك أن تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين(12) قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين(13) قال انظرني الى يوم يبعثون(14) قال انك من المنظرين(15) قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم(16) ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين(17) قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين(18).." )

وتورد سورة الاسراء جانبا من السخرية، وهذا الحقد الأسود الذى يمكنه هذا المخلوق:

"-قال أسجد لما خلقت طينا(61) قال أرءيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتني الى يوم القيامة لآحتكن ذريته الا قليلا(62).." )

ومن هنا أصبح لآدم، وبنيه شريكا بينه، وبين ربه، يفسد العلاقة الخالصة، ويقطع الطريق الموصل بينهما بلا هوادة، أو مهادنة، وقد اتخذ لنفسه منهجا يضل به الانسان، ويجعله زاهلا عن ربه، وخالقه؛ وهذا المنهج المبتكر هو الشرك، فقد يعبد الانسان ربه وهو مشرك، وقد يخلط عملا لوجه الله وهو يبغى منه مصلحة لنفسه، أو لمن يجب فيقع في دائرة الشرك الخبيثة التى يزينها له الشيطان بكافة الحيل، والمبررات، وصدق الله عندما يقول في ذلك:

"-وما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين" يوسف 103..

"-وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106..

كما يقول صلى الله عليه وسلم:

<<-لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما..>>

وكالعادة تلقي فرويد الشعلة مسرعا لينشر نفس أفكار برستيد في كتابه "موسي والتوحيد" سنة 1937 الذى عقد فيه مقارنة بين عقائد أختاتون، والعقائد العبرية، وانتهى في مقابلاته، وفروضه إلي تقرير رأيه المرجح لديه.. وهو أن موسي

عليه السلام تربي في مصر في كنف الوحداية، ونشأ في أعقاب المعركة بين آتون، وآمون، واستعد للنبو في هذه البيئة الموحدة فعلم بني إسرائيل كيف يوحدون الله، ويعظمون صفاته وآلاءه، وكان خروج بني إسرائيل - في رأيه - فيما بين القرن الثالث عشر، الرابع عشر قبل الميلاد، أي في الجيل التالي لانتشار التوحيد بالبلاد المصرية، واسترسل فرويد في تقديراته - وهو من بني إسرائيل - حتي ظن أن موسى عليه السلام من دم مصري، وآيس من اللاويين كما جاء في التوراة..

وكتاب فرويد "موسي والتوحيد" الذي أردفه بهذه العبارة "اليهودية في ضوء التحليل النفسي" والذي ترجمه الدكتور عبد المنعم الحفني فيعلق علي هذه العبارة بأن سبب ترجمته لهذا الكتاب أنه أبعد شئ عن تناول موسي، والبحث في التوحيد، وأقرب إلي الدعاية اليهودية، والترويج لعظمة اليهود، وعبقرية شعبهم، وشيوخ معتقداتهم، كل هذا باستخدام وسائل التحليل النفسي، ومصطلحاته لتبريره، وتعزيزه، بحيث نستطيع أن نعطي الكتاب عنوان "التحليل النفسي في خدمة القضية اليهودية".. وهذا الكتاب هو عطاء فرويد الواعي للقضية الصهيونية، ولقد استخدم منهجا، وتكتيكا يعد أرقى المناهج، والتكتيكات للوصول إلي هذا الغرض، عن طريق لوي الحقائق التاريخية، والسير بها إلي نتائج يهودية محضة، وحتى اسم الكتاب نفسه اسما عالميا.. فموسي، ورسالة التوحيد مسألان قيمان المسيحي، والمسلم.. ناهيك عن اليهودي، لكن المحتوي كان دعاية محضة لليهودية..

ويستطرد فرويد في الكتاب ذاكرا التشابه بين ديانة اخناتون، والديانة الموسوية، ويعدد هذا التشابه في ظواهر الختان، وتحريم التماثيل، والصور، وأكل لحم الخنزير وأهم من ذلك كله التوحيد ..

وكما ذكرنا من قبل سبب اعراضنا عن مناقشة الكتاب لعدم استناده إلي دلائل علمية موثقة تبعد بها عن الدعاية، والطبل، والزمير مما يسلبه صفة الحيادية العلمية، ولأن الكتاب وسيلة رديئة لتطبيق منهج علم النفس، كما يهدف إلي القصد العنصري، والسبة التاريخية، لأنه اهانة للتاريخ، وقواعده، ثم هو كشف لعالم كثر الحديث عنه - وفي مصر بالذات - بين المثقفين، وفي أباء الجامعات العربية.. خاصة وأنه سبق أن طلب المعهد العلمي اليهودي في لندن من فرويد عدم نشر الكتاب لأنه سيفضح النوايا اليهودية الصهيونية، ولكنه رفض..

ويدرك المترجم الذي عشق التحليل النفسي يوماً علي معني الظواهر المتعاقبة التي منها مثلاً أن الغالبية العظمي من المشتغلين بالتحليل النفسي من اليهود، وأن دور النشر التي تنشر لهم، وتروج لأفكارهم يهودية تماًلاً أوروبا، وأمريكا علي وجه الخصوص، وأن الخللين، والمشتغلين بعلوم النفس يهود، فهناك أسماء: فرويد، وبراهايم، وآدلر، وستكل، وفيريتزي، وربكلين، وبلولر، وفوريل، وأسياجيولي، وكرايبلين، وإيتنجتون، وجانيه، ورانك، وساخس، ولا نجد إلا عدداً قليلاً لا تحصيله أصابع اليد الواحدة من العلماء المسيحيين ..

ويعقب الاستاذ السحار بقوله:

"-وقد رأي المنكرون للرسالات من رجال هذا العصر في قول بريستيد، وويجال، وفرويد ما يؤيد إلحادهم، وأطمأنوا إلي هذه الاستنتاجات كأنما كانت حقيقة لا يأتيها الباطل من أمامها، ولا من خلفها .."

وما أصبحنا ندركه من ثوابت هذا الدين، والأديان عموماً أنها ماهي الا أصداء حرفت، أو بادت أصولها، وانمحت، فأصبحت أساطير، وأحاديث يتداولها العامة.. ليستغلها الكهنة فيحولوها لصالحهم، وصالح الطبقة الحاكمة مستغلين أن الناس مفضطرون على التدين، فيستترقوهم باسم الدين.. دين الدولة، ودين الملك.. فأقاموا المعابد لهذا الغرض، وفرضوا لها الأوقاف من زراعة، وصناعة، وتجارة مما احتاج الى خزائن للمال، والمكوس، ومخازن للغلال، والخمور، والزيت، وحظائر للماشية، كما أقاموا المذابح بجوار هيكل المدعو بالاله لكي يحصلوا على اللحوم جاهزة لغذائهم اليومي، والتي تقدم باسم القرابين للاله، وربما حصل الملك على شيء منها ..

وقد حرص القرآن الكريم على ذكر أشهر هذه الآلهة بالاسم.. فذكر تعالى: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، واللات، والعزى، ومناة، ويعل، واليم عند التحدث عن البحر - خاصة المحدود المساحة - منه، وقد كان اليم لها للبحار لدى الكنعانيين، وكثيراً ما أطلقوا عدة ألقاب على الاله الكبير عند تعدد الآلهة مثل: أبو الآلهة، ملك السماء والأرض، ملك كل الأراضي، رب الأرباب، أبو البشر، خالق

الكون، الملك، الحكيم، الحاكم المطلق، الرب الحامى، واهب الأرزاق والحبوب، حتى أن "حدد" اله الآراميين الذين استوطنوا الأجزاء الوسطى، والشمالية من بلاد الشام يعنى اسمه فى الآرامية القديمة الواحد الأحد.. وهو مانشتم منه أصداء أسماء لله صفات له تعالى عن طريق أديان نزلت عليهم من السماء بواسطة أنبياء ماتوا، واندثر دينهم، وانظمرت آثارهم التى تحول بعضها الى أساطير، وحكايات يتداولها الناس، ويغذيها الكهنة بخيالهم لمصالحهم الشخصية ..

وقد تنافس كل من الملك، والكهنة فى الاستحواذ على القوة، والنفوذ، فيقوى نفوذ الملك عند الحروب، والغزوات فيتحكم فى مصير الكهنة، والشعب - باسم اله الدولة - ويقوى نفوذ الكهنة أيام السلم، والرخاء - باسم اله الدولة أيضا - فيتحكمون فى مصير الملك، والشعب، ومن هنا فالشعب ضحية الاثنين معا فى أى وقت - باسم اله الدولة - فتتلاقى مصالحهم دائما للتحكم فيه واستغلاله، وصددهم عن أى نبى - وهو ما كان يحدث باستمرار فى هذه الدائرة من أرض الدول، والحضارات لوقوعها فى ملتقى القارات، وطرق التجارة العالمية - يظهر ليدعوا إلى الإسلام لله، وتحرير الناس من العبودية والإستغلال، وإعادة توزيع الثروة بالعدل الإلهى دون إستئثار الكهنة، والطبقة الحاكمة.. وكثيرا مانجد فى آثار هذه المنطقمة صوراً، ونقوشاً تمثل الملك وهو يتلقى الوحي من الإله(إله الدولة)، وهو ما أخذوه من سير الأنبياء الذين بعثوا فيهم تباعاً، وقد كان هذا الادعاء الالهى لاقرار شرعية الملك، وأحقية العرش..

وقد تفنن الكهنة فى التزلف للملك، وإخضاع الشعب له بكافة الصور، فادعوا أن الملك إنا للإله، وفى سبيل هذا الزعم كان لايد أن تكون السيدة المبجلة أم الملك عشيقة للإله الذى عادة مايبضاجعها من أجل أن يكون للإله أبنا على عرش البلاد دون النظر لأبيه الأسمى سوى أحقية ابنه بوراثه العرش فقط.. فزعم الكهنة أن هذا الملك، أو ذاك من الملوك ابن الشمس، أو ابن أوزوريس لايفهم منه أنهم ينكرون أبوته الجسدية المسجلة بالميراث، التى بحقها يجلس على عرش أبيه، ومن هنا نشأ التثليث الذى أخذ به النصارى بعد ذلك.. ثم تلى هؤلاء ملوكا ادعوا الألوهية.. وفرضوا هذه الألوهية البشرية على الناس.. فنشط الكهنة يعززون الملك الإله بين الناس فعاتوا فى الأرض الفساد باسم الملك الإله؛ وتعززت سلطتهم

حتى اقتسموها مع الملوك الشرعيين في بادئ الأمر.. ثم استحوذوا عليها فهاثيا بعد ذلك (كما حدث في مصر القديمة).. وقد نشأ عن هذا الترويج للأصنام، والتمائيل، وعبادتها، وبرع الكهنة - في تعزيز هذه العبادات بين الناس - من كتابة للتعاويد، والطلاسم، والقيام بأعمال السحر، والشعوذة، وادعاء القدرة على طرد الأرواح الشريرة.. ثم ترك الكهنة هذه الأعمال لطائفة من المتخصصين لينفردوا هم بالكهانة، والقيام بخدمة المعابد ذات الثروة، ومرافقة الملك، وحاشيته.. وتركوا هؤلاء المتخصصين من السحرة وغيرهم للتعامل مع العامة في حياتهم اليومية، وشؤونها من معاش، وزواج، وولادة، وموت، وغيرها، ثم أفرد الكهنة آلهة تختص بهذه الشؤون دون الاله الأكبر، وهو مأخوذ أيضا عن الوحي في اصطلاح الملائكة بشئون الناس من ولادة، وموت، وخلافه..

فاعقل الذى عرف أن الله يخلق بكلمة، ولا يخلق بمجهود من جهود الحركة المادية قد استعار هذه الفكرة السامية من شيء رآه؛ لا من شيء بحثه، واستقصاه، وأقرب الأشياء هي قدرة الساحر على التأثير بكلمة للسيطرة على الأجسام، والله أقدر من الساحر.. فاذا قدر الساحر أن يحرك الصخور بكلمة، فأولى بالخالق الأعظم أن يملك هذه القوة، ويملك ما هو أعظم منها وأدل على المضاء، ونفاذ المشيئة.. فلا جرم يشاء فيكون ما يشاء.. ومن هنا أجمع كل المنكرين للرسالات، وما جاء به الأنبياء على أن ما يأتون به ما هو الا السحر ..

ولم توضع شرائع، ولا قوانين إلا وقد أخذت عن الشرائع السماوية التي اندثرت بفعل المقاومة، والتكذيب بما نزل مع الأنبياء قبل شريعة "اورنمو" صاحب أقدم هذه الشرائع حوالى 3000 ق.م..، و"نيبور" صاحب ثاني شريعة وضعية - كما يدعى أصحابها - مدونة حوالى 2900 ق.م.. وأحدثها شريعة "حمورابي" (1728-1686 ق.م..)

والحضارة البابلية من أقدم الحضارات المروية في التواريخ.. فكما جعل المؤرخون حضارة "سكان البدارى" في صعيد مصر هي بوادر حضارة وادى النيل العريقة، وضعوا "الحضارة الشمرية" كمقدمة للحضارة البابلية، ولم تتجاوز الحضارة البابلية في الدين رسالة الديانة الشمسية السلفية، وكانت من ثم ذات نصيب في الشريعة، وقوانين الاجتماع أوفى من نصيها في تطوير العقيدة الواحدانية على التخصيص..

فالفزوات التي تروى عن الأرباب الأقدمين هي غزوات أبطال من الأسلاف الذين برزوا بملامح الآلهة بعد أن غابت عن الأذهان ملاحظتهم الانسانية، ثم تلبست سيرتهم بظواهر الكون العليا.. فسكنوا في مساكن الأفلاك، وحملت الأفلاك أسماءهم، ولا تزال.. "فمردوخ" اله الحرب هو كوكب المريخ.. الخ، ولم يؤثر عنهم ايمان بعالم آخر، أو يوم للحساب، والجزاء ..

أما قصة الخلق عندهم فهي مناسبة لموقع البلاد البابلية، واشتغال أهلها القديم برصد الكواكب، ومراقبة الأنواء، وتدلل القصة عندهم على أنها مأثورات قوم عريقين في سكنى البلاد، ويرجح ذلك على التخصيص ذكر الطوفان المفصل في بعض القصص البابلية؛ لأن الباحثين في الآثار يعتبرون أن الطوفان قد غمر ما بين النهرين الى الشمال، وأن الجبل التي استقرت عليه سفينة نوح هو الجبل المعروف اليوم باسم "أرارات"، ولم تشمل قصص الطوفان في البلاد الأخرى تفاصيل عن هذا الحدث كما في قصص بابل، فربما نقلت باختصار الى هذه البلاد ..

وكان البابليون يؤمنون بأن الانسان تمر على قسمة الموت، وطمح في خلود كخلود الأرباب.. فبحث عن ثمرة البقاء في السماء، وخذعه اله ماكر عن بغيته.. فناوله بديلا عنها ثمرة تشبهها في ظاهرها، ولكنها ثمرة الفناء، وهي ثمرة الحب التي تعطي الفناء في صورة البقاء.. ولعلها تحريف لقصة الشجرة التي نهي الله آدم أن يتناولها هو، وزوجه في الجنة:

"-وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" البقرة ..

وقد ذكر الدكتور جمال عبد الهادي، والدكتورة وفاء محمد نصوصا باللغة المسماوية القديمة تؤكد أثر الأديان المتزلة في حياة أهل الرافدين (العراق) على الرغم من كفرهم، وتكذيبهم بالأنبياء، والرسل:

الفترة	نماذج للأحكام العادلة
*عصر الأسر السومرية	منع الرشوة، وعزل الموظفين المشبوهين، رعاية

	الأرامل واليتامى، وحماية الفقراء من الأغنياء..
*عصر احياء الدولة السومرية	ضرورة دفع الدية عن الجروح التي لا تؤدي إلى الوفاة، محاولة توحيد المكاييل والموازين..
*عصر الاحياء السومري	تحديد عقوبات الجرائم والأضرار التي تلحق بالغير فجعلت القتل عقابا للقاتل ..
*عصر الاحياء السومري الثاني	من حق العبد أن يجر نفسه إذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به ..
*عصر دولة بابل الأولى (قانون حمورابي)	تجريم شهادة الزور، والإعتداء على ملكية الغير، والمسائل التجارية، وشئون الأسرة والزواج .. إلخ ...
*العصر الآشوري الوسيظ	الإعدام عقوبة الإشتغال بالسحر، للزوج ولاية كاملة على زوجته، خروج الحرائر محجبات ..

وقد إكتشفت البعثة الألمانية بين عامي 1903، 1914م مجموعة لوحات خزفية من العصر الآشوري تناولت السرقات، والرهونات، وخيانة الأمانة، والرشوة، والتنظيم العائلي من حيث الزواج، والطلاق، والميراث..

وقد ترسب الإعتقاد كما أسلفنا في البعث، والخلود، والحساب بعد الموت بما يعرف بمحاكمة الموتى في حياة المصريين حتى أصبح من رسميات الدولة، ولما إختفى إدريس عليه السلام عندما رفع إلى السماء:

"-ورفعناه مكانا عليا" مريم 57 ..

تحدثت الأسطورة أيضا عن اختفاء أوزوريس، وتفرق أشلائوه في البلاد.. فجعلوه إله للموتى في العالم الآخر يتابع محاكمة الموتى محكوما بالصدق، والعدالة من إلهة تدعى "معات" .. "Maat وهو النبي الذي وصفه القرآن:

"-إنه كان صديقا نبيا" مريم 56..

وأوزوريس جد قديم في مصر الوسطى، وقصته قصة انسان عاش عيشة  
الآدميين في زمن من الأزمان، وهو اسم من أسماء الشمس في مغربها، أو جهة الغرب  
التي اعتقدوا أنها هي عالم الأموات، وكالحضارات القديمة التي عمت الأقطار  
الشرقية في مصر، وبابل، وفارس، واهند منذ ثمانية آلاف سنة، أو تزيد كلها عبت  
الشمس، وميزتها بالعبادة في طور من الأطوار، فالشمس هي أوزوريس، وخبراء،  
ورع، وآمون، وآتون، ولكن اختلفت الأسماء لاختلاف الكهانات، والأقاليم،  
وسبقتها عبادة القمر في قبائل شتى ربطت بينه وبين الحيض، والولادة لانتظام  
الحيض في مواعيد قمرية، وسهولة هذه الملاحظة من غير حاجة الى علم الفلك،  
والحساب، يقول هيرودوت:

"-ان الاغريق تعلموا أمور الدين من المصريين"-.. ويقول السير اليوت سميث:

"-ان شعائر الهند القديمة في الجناز نسخة محكية من كتاب الموتى"-..

وكلمة "ايل" بالآرامية مرادفة لمعنى "القوى"، أو "البطل"، ثم أصبحت كلمة  
"الايل" المعرفة مرادفة لبطل الأبطال، أو البطولة المطلقة..

و يسجل د. البدر اوى 5 نقاط يتلمس فيهم أثر الدين، والرسل في أقدم  
ديانة معروفة وهي ديانة قدماء المصريين والتي تعتبر نسيج حضارى تميزت به  
حضارتهم فيقول عنها :

-من الصعب تصور أنها نبعت ذاتيا بتفكير الكهنة، أو وصول العقل البشرى  
إليها من تلقاء نفسه- خاصة في هذا الوقت المبكر - ولو كان كذلك لوصل إليها،  
أو إلى ما يشابهها كهنة العراق.. ولو في وقت متأخر.. وهو ما لم يحدث مما يرجح أن  
هذه النقاط هي بقايا تعاليم سماوية أنزلت على نبي أوحى إليه من السماء، ولم يكن  
سوى النبي إدريس عليه السلام.. هذه النقاط هي:

- 1 -نظرية الخلق..
- 2 -القدر..
- 3 -خلق الإنسان من طين..
- 4 -الروح والقرين والوفاة والبعث..

5 -يوم الحساب..

1- نظرية الخلق

من فلسفة الأشمونيين الآهوتية.. "الواحد القديم" .. فهو المبدأ الأول :

- "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" الزمر 38 ..

- "وكان عرشه على الماء" هود 7..

أما لاهوت هليوبوليس فيقول بأن الإله قد بدأ وجوده الذاتى من فوق قمة  
تل أزلى انبثق بدوره من الماء الأزلى.. وله ثلاث صفات:

1- الموجود بذاته، أو أتى للوجود بنفسه..

2- الأقدم، أو الأزل.

3- الأوحد - المنفرد بذاته - دين الجميع.

ونظريات الخلق التى تحكى عنها الأساطير ما هى إلا ومضات تشير إلى بقايا  
سماوية إندثرت، ولبسها الشيطان بمحسوسات، وتجسيدات مادية..

2- القدر

قدر الإنسان ومصيره عند مولده ردينا، أو طيبا يقع بين يدى الإله ..

3- خلق الإنسان من طين

فالإله خنوم يخلق البشر حيث يقوم بعمل الفخارى فيجلس إلى دولابه،  
ويشكل الطفل وقرينه..

- "خلق الإنسان من صلصال كالفخار" الرحمن 14..

4- الروح والقرين والوفاة والبعث

ال "كا" وهى القرين الذى يشبه الإنسان تماما إلا أنها لاترى، وإلى جانب  
ذلك ال "با" التى تخيلوها عادة كأنها طائر له وجه إنسان..

والصالحون من عامة الشعب يهتتون إلى "مقر الأبرار" التى هى مجموعة من  
الجزر تحيط بها المياه، وفيها الطعام الوفير، وأزكى منه حقل بارد ..

"- إن الأبرار لفي نعيم" الإنفطار 13..

جاء في القرآن الكريم عن القرين:

"قال قاتل منهم إني كان لي قرين" الصافات 51..

"ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين" الزخرف 26..

"ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً" النساء 38..

"وقال قرينه هذا مالدى عتيد" ق 23..

"قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد" ق 37..

وفي الحديث:

< مامن أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن >..

وعن الروح:

"-ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي" الاسراء 85 ..

وعن القبر:

"-ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون" المؤمنون 10..

5-يوم الحساب

آمن المصريون بالبعث ، وحساب المرء على أعماله أمام محكمة الموت :

"-ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا" الكهف 49 .

ويقول أحد الحكماء عن هذه المحاكمة :

"لاتظن أن هناك أمدا طويلا إلى أن تحين المحاكمة ، وأنه حتى ذلك الوقت

سينسى كل شئ فإنهم - القضاء - ينظرون إلى أن الحياة كأنها ساعة .."

"- ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة" الروم 55..

"-كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار" الأحقاف 35..

وينصب الميزان العظيم فيوضع فيه قلب الميت مقابل علاقة الحق ، ولم تأت ديانة أخرى بهذا الميزان إذ لا بد أنهم أخذوه من تعاليم النبي إدريس عليه السلام مثلما جاء في القرآن :

- "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة" الأنبياء 47

- "والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (8) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم(9)" الأعراف..

- "فأما من ثقلت موازينه(9) فهو في عيشة راضية (10) وأما من خفت موازينه فلأمه هاوية (11)" القارعة..

إن الأتقياء(الذين يعبدون أوزوريس) لا يذهبون أمواتا بل أحياء.. حياة حقيقية جديدة يحرزون فيها أجسادهم، وأرواحهم ، فلهم قلوبهم ، وأزواجهم..

- "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" آل عمران 169 ..

- "والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم" الطور 21 ..

- "أنتم وأزواجكم تحبرون" الزخرف 70 ..

- "هم وأزواجهم في ظلال على الآرائك ينظرون" يس 56..

وردت هذه العقائد في كتاب الموت بما يسمى "متون الأهرام" التي بنيت في عصر الأسرة الرابعة ، وهي عقائد أقدم من وقت كتابتها التي ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات ، وهو عصر تواجد النبي إدريس عليه السلام..

ولعل ذلك يرد على من قالوا بأن العقائد من إبتكار قدماء المصريين ، بمعنى أنهم يقولون أن الدين أيضا إختراعا بشريا..

ثم نتبع أديان العالم القديم، وأثار الوحي فيها:

فارس:

الفرس الأقدمون من السلالة الهندية الجرمانية، وموقع بلادهم قريب من دولة بابل، قريب من اقليم الطورانيين، وتقدم الفكرة الالهية على يد "زرادشت" صاحب الشريعة القومية في بلاد فارس، وأرفعهم شأنًا بين دعاة الجوسية..

ولم يكن اليهود يتكلمون عن "الشيطان" قبل السبي، أو قبل الاقامة فيما بين النهرين.. فتكلموا عنه بعد أن شبهوه "بأهرمن" الذى يمثل الشر، والفساد عند الجوس، وفي الكتب المسيحية أن حكماء الجوس شهدوا مولد المسيح، وعلموا بنبئه، فاهتدوا اليه بنجم من السماء..

تنسب "الزرادشتية" إلى زرادشت (674 - 551 ق.م) المفكر الدينى الذى ظهر فى فارس، ويعنى اسمه ذو المقطعين "معاكس الجمل"، وخلاصة ماجاء به أنه أنكر الوثنية، وجعل الخير المحض من صفات الله، ونزل باله الشر الى مادون منزلة المساواة بينه، وبين الاله الأعلى، وبشر بالثواب، وأنذر بالعقاب، وقال بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد، وحاول جهده أن يقصر الربانية على اله واحد موصوف بأرفع مايفهمه أبناء زمانه من صفات التزيه، وتولى عقائد الجوس بالتطهير، وحملها على محمل جديد من التفسير، والتعبير.. وقد حرم عبادة الأصنام، والأوثان، وقدس النار على أنها أصفى، وأطهر العناصر المخلوقة.. لا على أنها هى الخلاق المعبود..

والزرادشتية عبادة بدأت توحيدية باسم (أهورا مازدا) ذاتا روحانية خالصة مجردة من شوائب المادة لاتدركها الأبصار، ولايحيط بكنهها العقول، ثم دخلت هذه العقيدة فى رمزين ماديين محسين يشتملان على مظاهر (أهورا مازدا) على وجه التقريب، والتمثيل أحدهما سماوى وهو الشمس، والآخر أرضى وهو النار، وكلاهما عنصر متألئى مضئى طاهر مطهر لايتطرق إليه الخبث، ولا الفساد، وتتوقف عليه حياة الكائنات، وهى صفات تشبه طائفة من صفات الخالق نفسه، وترمز إليه..

قال زرادشت بأن خالق النور والظلمة، هو واحد لاشريك له، ولاضد ولاند، ولكن الزرداشتية تركت ذلك وأصبحت ترى العالم كحلبه صراع بين إله الخير، والنور (أهورا مازدا) وإله الشر، والظلام (أهرمن) وانتصار (أهورا مازدا) فى النهاية أمر أكيد..

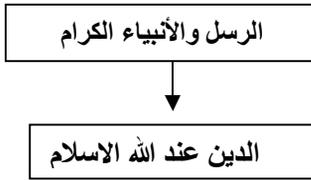
وقد أدرج الشهر ستانق الزرادشتية كمذهب من مذاهب الجوس عامة.. وهو الدين الأكبر، وكانت لهم شبهة كتاب عبارة عن "صحف" تحتوى على مناهج علمية، ومسالك عملية.. وهى التى ذكرتها سورة الأعلى بإيجاز فى القرآن الكريم:

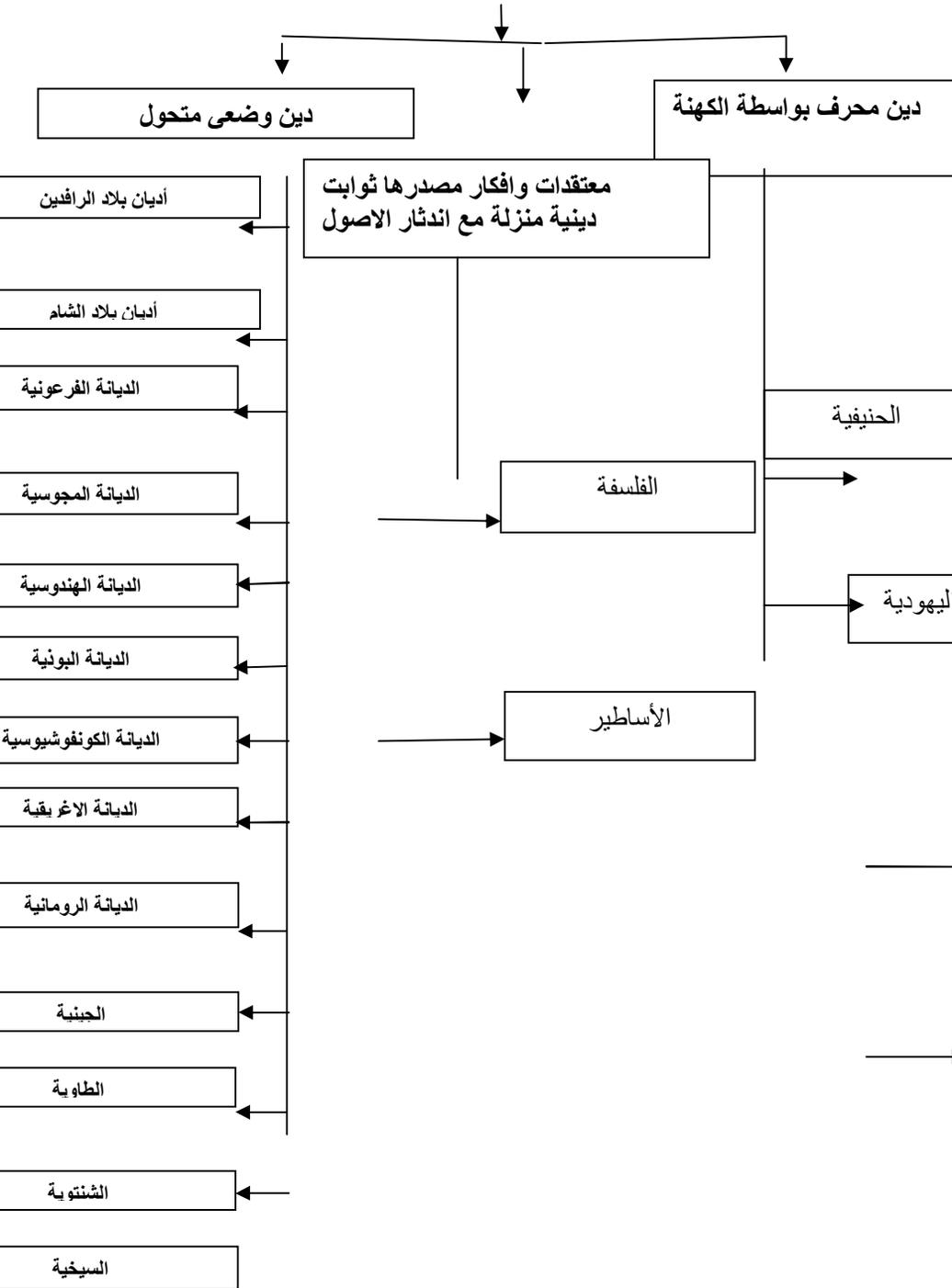
"-قد أفلح من تزكى (14) وذكر اسم ربه فصلى(15) بل تؤثرن الحياة الدنيا(16) والآخرة خير وأبقى(17) إن هذا لفى الصحف الأولى(18) صحف إبراهيم وموسى(19).."

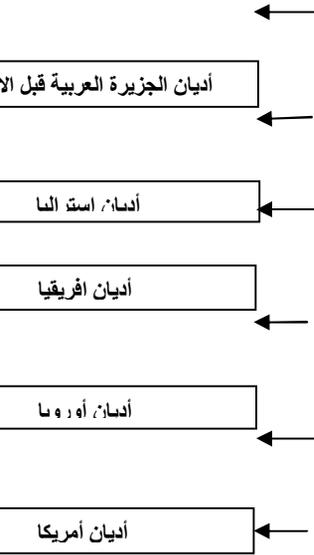
وهو يذكرها من الفرق التى نشأت بعد إبراهيم عليه السلام :

- الجوس..
- الصابئة..
- الحنيفية..

ويرجح أنما تفرعت كلها عن "الحنيفية" كتحريف لها، خاصة أن الله تعالى ذكرهم الثلاثة فى القرآن الذى نفهم منه أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما يعنى جاء بالحنيفية الاسلامية.. ثم جاء الجوس بعده موحدىن فى أول الأمر.. ثم اختلفوا، وكان تبديل الحنيفية الإسلامية "بالجوسية" ثم "الزرادشتية" وغيرها من أسباب الاختلاف على نبىهم إبراهيم عليه السلام كما فعل اليهود، والنصارى - كما ذكرنا - وبدلوا الإسلام باليهودية، والنصرانية، وكذلك فعل "الصابئة" فبدعوا أيضا بالتوحيد فى أول الأمر على طريقة الحنيفية الإسلامية.. ثم اختلفوا، وسموا أنفسهم بالصابئة،







رسم تخطيطي يوضح مصير الدين (الاسلام) وعلاقته بالصور التي أدخلتها الكهنة

لتهميش دور الدين الحقيقي في حياة العامة وتحويله لخدمة طبقتي الكهنة والحكام (طبقة المصلح) باسم الدين

وقد ذكر تعالى في القرآن الكريم كل هذه المذاهب التي إنشعبت عن الخنيفية المسلمة وقد كانوا أول الأمر مسلمين مؤمنين موحدين وهم: "اليهود" - "النصارى" - "الصابئة" - "الجوس":

"- ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد" الحج 17..

ونلاحظ بداية الآية الكريمة بالايمان، وانتهائها بالشرك ..

وهم يدعون أن المبدأ الأول من الأشخاص هو "كيومرث"، أو "زروان" الكبير.. و"الكيومرثية" يقولون أنه "آدم عليه السلام" ومعناه: "الحى الناطق.."

ولهذا فقد تفرع عن الجوسية :

1- الكيومرثية..

2- الزروانية..

3- الزرادشتية..

وظهرت "المانوية" على يد "مانى" فى القرن الثالث الميلادى، وقد امتزجت فيها الزرادشتية بالنصرانية، ورهبانيتها المغالى فيها؛ فمنعت الزواج لىمتنع نسل الانسان الذى اعتبروا وجوده لعنة فى الأرض؛ فعدم التزاوج يمنع هذه اللعنة..

ثم ظهرت "المزدكية" فى القرن الخامس الميلادى على يد "مزدك" الذى كان يهدف الى اصلاح مذهب مانى من حيث امتزاج النور بالظلمة لتنشأ الدنيا عنهما صدفة، وقد أشاع مذهبه النساء للرجال بلا زواج، أو ارتباط، أو نسب، أو انتساب للأطفال، والمال للجميع بلا ملكية، ولانظام ..

وقد أخذ أبناء الديانة المجوسية بعقيدة التوحيد بعد احتكاكهم بالمسلمين، وأصبح المجوس الذين يسمون اليوم "البارسيين" يؤمنون باله واحده.. هو اله الخير "يزدان"، ولايشركون معه "أهرمن"؛ كما فعل أسلافهم الأقدمون..

الهند:

ترجع الديانة الهندية القديمة الى أزمنة أقدم من العصر الذى دونت فيه أسفارها المعروفة "بالكتب الفيديّة" .. وهى مزيج من شعائر الهنود الأصلاء، وشعائر القبائل الآرية التى أغارت على الهند قبل الميلاد بعدة قرون، وقد كانت هذه القبائل تقيم فى البقاع الوسطى بين الهند، ووادى النهرين، ويعتقد بعض المؤرخين أن الديانة الهندية لا تخلو من قبس منقول إليها من البابلية، والمصرية.. فلم تكن فى موقعهم ذلك حضارة سابقة لحضارة مصر، وبابل، وآشور، فلا خلاف أن تاريخ الأسر المصرية أسبق من تاريخ الكتب الفيديّة، وأسبق من كل حضارة عرفها التاريخ للآريين..

وأقدم معانى الاله عندهم "المعطى"، أو "ديفا" **Deva** بلغتهم التى بقيت آثار منها فى اليونانية، واللاتينية، وبعض اللغات الأوروبية الحديثة.. فكلمة "ديو" **Dieu** الفرنسية، وكلمة "ديتى" **Deity** الانجليزية، وكلمة "زيوس" اليونانية القديمة مأخوذة من أصلها الهندى المتقدم..

وتعززت في الهند عبادة "الطواطم" بعقيدتهم في وحدة الوجود، وتناسخ الأرواح.. كما تعززت بعقيدة الحلول، وانقسموا في شرح سبيل الخلاص على نهجهم الذى لانستغربه من قوم يعظمون الحيوان.. ذلك التعظيم مثل السبيل القردي، والسبيل القطبية..

ثم ظهرت "البوذية" في القرن السادس ق.م بالهند متأثرة بالصبغة الهندوسية، فتبنت نفس مخاوفها من أن الحياة مصدر الآلام..

ويسرى القضاء على الآلهة كما يسرى على البشر، وحكمه الذى لامرد له هو حكم التغيير الدائم، والفناء، وحكم الاعادة، والابداء بواسطة القانون الأبدى Karma، وعلى هذه القاعدة قامت البوذية التى بشر بها "البوذا جوتاما" قبل الميلاد المسيحى بحوالى خمسة قرون، وقبل جوتاما آمن "البرهميون" "بالدورة" فى وجود الكون، و"الدورة" فى وجود الانسان، وقد تميزت البوذية بتبسيط العقائد لطبقات الشعب، غير طبقات الكهان، وعرض الآراء على غير المستأثرين بها قديما من سدنة الهيكل، والحراب..

وينبه الأستاذ العقاد الى مغالاة الشراح الأوروبين بهذه الفلسفة البوذية؛ حيث يتعصبون لكل ما هو منسوب الى الآرية على اعتباره عنصر الأوروبين الأقدمين، والمعاصرين، فقد رفعوها فوق قدرها، وزعموا أنها "جرأة العقل الكبرى" فى مواجهة المشكلة الكونية، ولكنها لاتحسب من الجرأة العقلية، فالبوذية كلها تمللا من وطأة الحس، والجسد، وسعادتها الكبرى ماهى الا ضيقا بالحس، وهربا الى الفناء، أو "اللاوعى" على أحسن تقدير، وهى فتح فى ميدان التصوف، أو الوجدانيات، والفضائل الخلقية ..

ولاتخلو الهندوسية من نحات أديان التنزيل فهى تضم القيم الروحية، والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، ولكنهم بالغوا فى تعدد الآلهة أكثر من أى ديانة من ديانات الكفر، وقد إختزلوا الآلهة فى ثلاثة، أو واحد ذو ثلاثة أقانيم هم: "براهما" وهو الخالق، "فيشنو" وهو يجسد الخير، والعون للبشر، "شيفا" وهو إله الهلاك، والفناء، والدمار..

وغاية الهندوسى أن تتحد روحه بالإله براهما.. فتنسخ الروح، أو تنتقل خلال الأجساد الصالحة فتتعم فيه، أو توضع فى جسد شقى فتشقى به.. فالروح خلقت من الإله ثم ركبت فى الجسد الفانى(وهذا الاعتقاد أثر من دين سماوى).. وقد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث قبل قدماء المصريين..

ويعتقد بعض علماء المسلمين أن الهندوسية كانت دينا سماويا أنزل على نبي بالهند ولعل طول العهد بمذه الديانة قد فتح الباب لإضافات، وتعديلات أوصلته إلى صورته الحالية؛ مصداقا لقوله تعالى :

"-وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" فاطر 24..

وهو دين كباقي الأديان التي حرفت فهم يلجأون للتوحيد إذ أجمعوا على تعظيم إله فيخاطبونه برب الأرباب..

وتتمتع البقرة عندهم بقداسة تعلقوا على أي قداسة، ولها تماثيل في المعابد، والمنازل، والميادين، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية، ولاشك أنها مأخوذة عن العجل المقدس آبيس لدي قدماء المصريين..

ويعتقد الهندوس بأن آهتهم قد حلت كذلك فى انسان "كرشنا"، وقد التقى فيه الإله بالانسان، أو حل اللاهوت فى الناسوت، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن السيد المسيح عليه السلام..

ثم جاءت الديانة الجينية كرد فعل لغلو الهندوسية فى التمييز، والفصل العنصري الطبقي بين الناس فقد كانت الهندوسية ساحة لصراع الطبقات (أخذ عنها ماركس صراع الطبقات فى الفكر الشيوعي الحديث بيد أنه ميز الطبقة العاملة "البلوريتاريا").. فأنكرت الجينية هذا لما له من ضرر على المجتمع.. ولكن ظلت هذه الدعوة محدودة بالنسبة للهندوسية..

ومثل مايروى النصارى عن المسيح يعتقد البوذيون أيضا أن بوذا هو ابن الله، والمخلص للبشرية من آلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم، وأن تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس على العذراء "مايا"، وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء يدعونه "نجم بوذا"، وقد قال لأمه وهوظفله إنه أعظم الناس

جميعا، وقد حاول الشيطان إغواءه فلم يفلح.. ولربما دست في التراث البوذي هذه المقولات بعد ظهور المسيحية، وربما بعد ظهور الإسلام أيضا..

ويقول عنه أتباعه أيضا أن هيئته قد تغيرت في آخر أيامه، ونزل عليه نورا أحاط برأسه وأضاء من جسده نور عظيم، ويعتقد أتباعه أنه هو الذى سيدخلهم الجنة، وأنه لما مات صعد إلى السماء؛ ولهذا فهم يؤمنون برجعته ثانية إلى الأرض ليعيد إليها البركة والسلام.. وهو مانجده في كل من التراث النصراني، والإسلامي (خاصة الشيعي).. وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم مثل "أوزوريس" لدى قدماء المصريين.. وقد ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة.. وربما أخذ النصارى الأوائل منهم الدعوة إلى الحبة، والتسامح، والتعامل بالحسنى، وحمل النفس على التقشف، والحشونة، والتحذير من النساء، والمال والترغيب في البعد عن الزواج فيما يعرف بالرهينة لدى النصارى:

"-ورهبانية إبتدعوها ماكتبناها عليهم" الحديد 27..

ظهر "المذهب السيخي" في الهند نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وبداية السادس عشر بعد إنتشار الإسلام في ربوع الهند كحركة توفيقية بين الهندوسية، والإسلام جمعت عناصر من الثقافة الهندوسية، ومن الدين الإسلامي تحت شعار "لاهندوس لامسلمون" وربما كانت دعوة للحد من إنتشار الدين الإسلامي في الهند..

الصين:

أخذت الصين من الخارج قديما، وحديثا عقائد البوذية، والجنسية، والاسلام، والمسيحية، ولم تعط أمة عقيدتها باستثناء اليابان التي أخذت عنها "نحلة كونفوشيوس"، وأهل الصين لا يخوضون كثيرا في مباحث ماوراء الطبيعة، ويوشك أن يكون التدين بينهم ضربا من أصول المعاملة، وأدب البيت، والحضارة.. فأشيع العبادات بينهم عبادة الأسلاف، والأبطال؛ ويمثلون بها عناصر الطبيعة، أو مطالب المعيشة، وقد يختارون فردا من أفراد الأسرة ينوب عن جده المعبود فيطعمونه، ويكسونه، ويزدلفون عليه، ويحسبون أن روح الجد هي التي تقبل هذه القرابين في

شخص ذلك الحفيد، ولا مخالفة بينهم، وبين أهل اليابان الا بافراط اليابانيون في تأليه صاحب العرش، واعتدال أهل الصين في تقديسه..

ولأهل الصين معلمون، ومربيون مثل "كونفوشيوس" الذى مات سنة 478 ق.م.، و"لاوتسى"، أو المعلم "لاو" الذى ولد قبله، وكلاهما يبشر بالحلم، والصبر، والبر بالوالدين، والعطف على الأقربين، والغرباء، والتحذير من العنف، والغضب، والافراط، والاسراف..

لم تواجه بنية الصين أبنائها بالعقد النفسية، ولكن بتقلبات العناصر الطبيعية التى تعودت الشعوب قديما أن تروضها بالسحر، والكهانة.. فجار نصيب الايمان بالسحر على نصيب الايمان بالدين، وذاع عن أهل الصين من ثم أنهم أقدر أمة على تسخير الطبيعة بالطلاسم، والأرصاء..

وديانة أهل الصين تدعو إلى إحياء الطقوس، والعادات، والتقاليد الدينية المندثرة، مع إضافة بعض آراء الحكيم كونفوشيوس إليها، وهى تقوم على عبادة الإله الأعظم، وعبادة أرواح الآباء، والآحداد، وتقديس الملائكة..وقد داوم كونفوشيوس على تأدية الشعائر الدينية..ويتوجه فى عبادته إلى الإله الأعظم؛ إله السماء..يصلى صامتا؛ فالصلاة وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد..والدين فى نظره أداة لتحقيق التآلف بين الناس.. ولم ترق تعاليم كونفوشيوس لدرجة الدين، ومن ثم لم يكن لها كهنوت معروف، أو طبقة من رجال الدين.. فلم يعتبره أتباعه إلهما، ولا حتى نبيا.. بل ربما كانت مجموعة من المعتقدات، والمبادئ فى الفلسفة الصينية..

تعاصرت معها الديانة الطاوية من أكبر ديانات الصين القديمة.. يؤمنون بإله أبدي لا يفنى، وجوده سابق أى وجود، وهو أصل الموجودات وروحه تجرى فيها، ويسمى "طاو"..وهو الذى إنبثقت منه جميع الموجودات، ولذا يؤمنون بوحدة الوجود إذ الخالق، والمخلوق شئ واحد(أخذ منهم بعض الصوفية فى الإسلام مذهب الحلول).. وهم يؤمنون بالقانون السماوى الأعظم الذى هو أصل الحياة، والنشاط، والحركة..

اليابان:

كان تعميم العقائد المشتركة مرتقنا بقيام الدول الواسعة مثل مصر، وبابل، والهند، والصين، وفارس، واليونان، وتضاف إليها اليابان لولا أنها في عزلتها قد أخذت أكثر مما أعطت، وقد تخلفت من جراء هذه العزلة عن بعض الأطوار التي سبقتها إليها الأمم المتصلة بالمعاملات، والمبادلات.. فتلبثت بقايا الوثنية الى مطلع العصر الحديث ..

أما "الشنوية" فهي ديانة إجتماعية ظهرت في اليابان قديما، ولا زالت الدين الأصلي فيها بدأت بعبادة الأرواح.. ثم قوى الطبيعة مثل الشمس، وإحترام الأجداد، والزعماء، والأبطال التي أدت إلى عبادة الأمبراطور الميكادو الذي يعتبر من نسل الآلهة..

ويطلق الشنتويون لفظ "كامي" على كل إله، أو شئ يسمو فوق الإنسان كالسما، أو السلطان، ويعنى اللفظ أيضا الفتنة، أو المعجرات، ونظرا لافسقاد اللغة اليابانية لصيغة الجمع فقد تعنى الكلمة عدة آلهة، وهم يشيرون بهذه اللفظة الى الإله الذي تعرفه الديانات السماوية..

وعندهم الإمبراطور، والدولة هما كل شئ، ولا قيمة للفرد في هذه الديانة بل تعد التضحية به من الأمور العظيمة.. والإهتمام بالنظافة من الأمور المقدسة، ويكرهون ما يندس الجسد، والثوب (ليست هذه من مظاهر الدين الإسلامي؟!).. وهي كديانة لاتنسب لشخص معين.. إلا أن البعض منهم يدعى أنتماء إلى سلالة "شانغ طاو لينغ" المعلم السماوى الأول الذى ظهر أيام أسرة "هان" بالصين..

اليونان :

أما تاريخ العقيدة في بلاد اليونان فقد حفل بجميع أنواع العقائد البدائية قبل "أرباب الأوليمب" الذين خلدوا في أشعار "هومير"، و"هزيود".. فعبدوا الأسلاف، والطواطم، ومظاهر الطبيعة، وأعضاء التناسل، واستمدوا عبادة النيازك، وحجارة الرواسب من جزيرة "كريت"، ولما شاعت بين الاغريق عبادة أرباب الأوليمب كان الواضح أنها أرباب مستعارة من الأمم التي سبقتهم الى الحضارة، وتنظيم العبادات..

فالاله "زيوس" أكبر الأرباب هو "ديوس" في الديانة الهندية الآرية القديمة، واسمه متداول في العبادات الأوروبية جميعا، و"أرتيمس"، وقبلها الربة "أفروديت"،

أو "فينوس" هي "عشتار" اليمانية البابلية، ومنها كلمة "ستار" بمعنى نجم في بعض اللغات الأوروبية..

ولم يكن "زيوس" كبير الآلهة خالقها، ولاخالق الكون بما رحب من أرض، وسماء.. ولكنه كان بينها كرب الأسرة بين الأبناء، والأحفاد، أو كالسيد المطاع بين الأعوان، والأتباع..

"ديميتر" هي "ازيس" المصرية كما قال هيرودوت، وكان "أكسينوفون" المولود بآسيا الصغرى قبل الميلاد بنحو ستة قرون أول من نقل الى الاغريق فكرة الاله الواحد المتزه عن الأشباه.. فعرفوا الروح، وعرفوا تناسخ الأرواح، وعرفوا أطوار التطهير، والتكفير، وحين بدأوا عصر الفلسفة كان أساسها الأول ممهدا لهم في العقائد التي أخذوها عن الديانات الآسيوية، والمصرية، وأنهم ظلوا بعد الفلسفة يدينون بالوثنية التي كانوا يدينون بها قبل الميلاد بعدة قرون ..

رغم تميز اليونان بعلو كعبهم في الفلسفة، والأدب، والفلك، وغيرها من العلوم.. فقد أخط اليونان دينيا فتركوا عبادة الله الأحد ، وراحوا يألّهون كثيرا من الآله التي يمثل كل منها جانبا من جوانب الطبيعة؛ وعقيدتهم هي مجموعة من الأساطير عبارة عن معتقدات، وديانات أحتضنتها الحضارة الأغريقية علي غرار الوثنيات التي كانت منتشرة آنذاك.. ضمنوها فلسفتهم التي يمكن اعتبارها دينهم الذي عظموا فيه العقل، والجسم الانساني، واحتوت فلسفتهم أيضا على أصداء دينية عرفوها من بلاد الشرق القريبة منهم.. وهو ماسوف نتحدث عنه بعد ذلك من أثر الوحي الالهى في هذه الفلسفة ..

وكما يقول تعالي عن:

"الذين أخذوا دينهم هوا ولعبا وعرّتهم الحياة الدنيا" الأعراف 51 ..

فقد تقرب الاغريق القدامي لإلههم الأكبر زيوس بالألعاب الأولمبية في ملعبه الذي نصبوا وسطه تمثالا ضخما لهذا الإله، وأقاموا عيدا لهذه الالعب كل أربع سنوات اعتبروه من أعظم أعيادهم المقدسة، وحرّموا الشهور القريبة من موعده فحرموا فيهم الحرب بينهم(الأشهر الحرم في الاسلام، وقبله لدى العرب)، وأطلقوا الشعلة رمزاً لخلود الآلهة عندهم، ويستقبل الراهبات اللاعيبين في تلك

الأعياد مصطفين بالملابس البيضاء، وكان الفائزون من اللاعبين يمجدون كآلهه(من) نكسات تحضر الانسان دائما).. وتقام هذه الاعياد حتي الآن في أوروبا.. ولا يقل كثير من المسلمين عنهم في تعظيم هذه الأعياد والتهليل لها، وتقليدها.. وهي من بلاءات، وفتن هذه الأيام والتي تعرض لها المتدينون اليهود أيضا في يوم من الأيام، وكانت من أسباب غضب الله عليهم ..

وعلي الرغم من المادية الاحادية التي تميزت بها الفلسفة الاغريقية.. إلا أن فلسفة أفلاطون تمحورت علي القضايا السياسية والاخلاقية، والميتافيزيقية(ما وراء الطبيعة)، واللاهوتية ، وهي التي تطورت بعد ذلك إلي "الافلاطونية الحديثة" مدعومة ببعض آراء أرسطو، والمدرسة الرواقية، وقد تأسست بالاسكندرية في ما بين 250 ق.م. إلي 550 م. وانتشرت في الفكر الأوربي اللاهوتي كله، والنصراني عامة، والفكر الصوفي الاسلامي..

#### الرومان:

وقد أخذ عنهم الرومان تعدد الآلهه أيضا ، واعتقدوا بالعرافة واستشارة الكهنة، وتولت الكاهنات أمر إبقاء الشعلة الخالدة.. ثم حدث تمازج بين معتقدات الاغريق، والرومان بعد أن أصبحت بلاد الاغريق ولايات رومانية.. فقلد الرومان الاغريق في تخصص الآلهة، وصوروا آهتهم في صور متهتكة عارية الصدر إذا كانت إلهة، أو مبرزين عضو التناسل إذا كان الإله ذكرا، كما مثلوا بعضهم في أشكال قبيحة مثل آلهة الشرق..

#### العرب:

وقد ظهرت عبادة الأصنام في جزيرة العرب بعد الطوفان في قوم عاد، وثمود، وقوم مدين الذين عبدوا الأيكة وهي شجرة من الأيكة، عدا ما كانوا يتصفون به من سوء المعاملة للناس من بحس الكيال، والميزان.. فقد كانوا يعملون بالتجارة..

وقامت في "سبأ" حضارات كبرى، وفي أماكن أخرى من اليمن، وحضر موت قبل، وبعد الميلاد.. عبد أهلها الأوثان، وقوى الطبيعة مثل الشمس، والقمر.. فقد ذكر القرآن عبادة الشمس من إحدى هذه الحضارات زمن النبي سليمان الملك عليه السلام:

"-وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله" النمل 24..

أستراليا وأفريقيا وأوروبا:

كما تتضح الوثنية الفجة لدى سكان إستراليا الأصليين، وسكان أفريقيا، وأوروبا متمثلة في تقديس الأشخاص، وبعض مظاهر الطبيعة كالعادة.. ونرى الإنسان ذو الحضارة، والبدائي سواء في العبادات الوثنية، وأنحطاط الجانب الروحي، إلا أن الإنسان ذو الحضارة قد تأثر بظهور الأنبياء ومانزلوا به من وحي.. ونلمح الوثنية كذلك في مظاهر الدين لدى شعوب أمريكا الجنوبية الأصليين قديما متمثلة في عدة آلهة، وإلهات منها مايمثل الشمس، والقمر، كما تعزر هذا الدين بالكهانة، والمعابد التي بنوها فوق الأهرامات(بناء ذو قاعدة كبيرة تصغر كلما ارتفعت عن الأرض، وتنتهى بالمعبد.. تشبه "زيجورات بابل" الى حد ما)، وربما ميزوا إلهام منهم وخصوه بالخلق، والعبادة دون غيره، وقد ظهر لدى بعضهم التضحية بأولادهم كقرايين للآلهة كما كان في بابل فيما بين النهرين..

وقصة الطوفان عند المكسيكيين المعروفين بالشيشيميين **Chichimygues**

أن العصر الأول من عصور الخليقة هو المسمى عندهم بعصر "أاناتابو".. أى عصر شمس الماء، وكذلك أهل بيرو..

## مقارنة بداية الخلق وتصور الكون

### في ديانات الدول القديمة

## مصر

يرمز المصريون القدماء الى الكون كله ببقرة تطلع من بطنها النجوم، أو امرأة تنحني على الأرض بذراعيها، ويسندها "شو" اله الهواء بكلتا يديه، وأقدم ماتخيلوه في أصل العالم المعمور أنه عالم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس، وأنجب أربعة من الأبناء هم: "شو"، و"تفوت" القائمان بالقضاء، و"جب" رب الأرض، و"نوت" رب السماء، ثم تزوجت السماء، والأرض فولد لهما "أوزوريس"، و"إيزيس"، و"ست"، و"نفتيس".. فهم تسعة، ولكن استقر الأمر لثلاثة منهم هم: "أوزوريس"، و"إيزيس"، و"حورس"..

## بابل

### (الرافين)

كانت الدنياقسمة بين "تيمات" ربة الغمر، أو ربة الماء الأجاج، وبين "ايا" الهة الماء العذب، وعنصر الخير في الوجود، وقد انهزم "آنو" اله السماء أمام جحافل تيمات؛ فلم ينتصر الا بعد أن برز من الماء بطل وليد هو "مردوخ" رب الجنود، وسيد الحروب.. ثم عمد مردوخ الى تيمات فشققها نصفين صنع من أحدهما الأرض، وصنع قبة الفضاء من نصفها الآخر، ثم قيد أسراه في هذه القبة فلا يبرحونها الا باذنه، ورفع ماشاء من الأرباب الى السماء، وقصة الخلق مقسمة الى سبعة أقسام.. كل قسم عن يوم، وآخرها خلق الانسان، وقد تغلب مردوخ على تيمات ربة الأغوار المظلمة؛ فأخذ زوجها، وخلاتقها الأحد عشر، وسلسلهم كأسارى في مملكته السماوية.. فهم المنازل الأحد عشر التي بقيت في علم الفلك الى اليوم..

فارس "الزرادشتية" أبرز مذاهب الفرس، ورواية الخليفة في مذهب "زرادشت" أن "هرمز" خلق الدنيا في ستة أدوار.. فبدأ بخلق السماء، ثم خلق الماء، ثم خلق الأرض، ثم خلق النبات، ثم خلق الحيوان، ثم خلق الانسان، وأصل الانسان رجل يسمى "كيومرث" قتل في فتنة الخير، والشر.. فنبت من دمه ذكر يسمى "ميشة"، وأنثى تسمى "ميشانة".. فتزوجا، وتناسلا، وفي بعض أساطير الجوس أن "زروان" أبو الالهين؛ اله "النور"، واله "الظلام"، ولعله صنو لاله البابليين "نون"..

## اليونان

"جيا" ربة الأرض، و"كاوس" رب الفضاء، و"ايروس" رب التناسل، والحبة الزوجية، وجعل ايروس يجمع بين الأرض، وزوجها الفضاء.. فتلد منه الكائنات السماوية، والأرضية، وآخرها "أرباب الأوليمب.."

## الهند

وهي تشبه قصة الخليقة المصرية.. فالحياة خرجت من بيضة "ذهبية" كانت تطفو على الماء في العماء، والاله الأكبر كان ذكرا، أو أنثى كما جاء عن "رع" في بعض الأساطير المصرية، وبناء العالم من صنع بناء ماهر في أساطير مصر، والهند على السواء، وتتفق مصر، وبابل، والهند على أن الاله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة.. فأمرها بأن توجد.. فبرزت على الفور الى حيز الوجود، والنشيد المرهوب الذي كان يتغنى به نساك الهند، والذي ترجمه "ماكس موللر" الى الانجليزية.. لأجواء، ولأسماء وراء الأجواء.. أهي هاوية الماء؟.. التي ليس لها قرار؟.. لم يكن ثمة نهار، ولاليل، ولم يكن الا "الأحد" يتنفس حيث لأنفاس، ولاشئ سواه.. ومن القشرة في تلك النذرة قام..

## الصين واليابان

ينسب الخلق عندهم الى اله السماء "أزاناجي - نوميكوتو"، وزوجته، وأخته الهة الأرض "أزانامي - نوميكوتو" .. فولدا جزر اليابان، وألقحها ببذور الآلهة، وجاء أبناء اليابان الآدميون من سلالة هذه الآلهة.. فكلهم في النسب الأعلى - وليس الميكاد وحده - الهيون.. وقد وحدوا عبادة الأسلاف في الربة "أميزاسوا - أموكاي" التي يعتقدون أنهما لم تخلق الكون، أو الانسان.. بل سبقها عشرات الألوف من الأرباب، وصار إليها الأمر برضوان من خالق السموات، والأرضين، وينسبون الخلق الى "أزاناجي" في رواية، وقد أعجب بالشمس من بين أبنائه.. فبوأها عرش السماء، واله السماء هو "الاله" الذي يصرف الأكوان، ويدير الأمور، ويرسم لكل انسان مجرى حياته، ويداول تركيب الوجود من عنصرين هما "ين" .. السكون، و"يانج" .. الحركة..

الدول القديمة مقارنة بداية الخلق وتصور الكون في ديانات

<p>مصر</p>	<p>يرمز المصريون القدماء الى الكون كله ببقرة تطلع من بطنها النجوم، أو امرأة تنحني على الأرض بذراعيها، ويسندها "شو" اله الهواء بكلتا يديه، وأقدم ماتخيلوه في أصل العالم المعمور أنه عالم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس، وأنجب أربعة من الأبناء هم: "شو"، و"تفوت" القائمان بالقضاء، و"جب" رب الأرض، و"توت" رب السماء، ثم تزوجت السماء، والأرض فولد لهما "أوزوريس"، و"ايزيس"، و"ست"، و"تفتيس" .. فهم تسعة، ولكن استقر الأمر لثلاثة منهم هم: "أوزوريس"، و"ايزيس"، و"حورس" ..</p>
<p>بابل (الرافين)</p>	<p>كانت الدنياقسمة بين "تيمات" ربة الغمر، أو ربة الماء الأجاج، وبين "ايا" الهة الماء العذب، وعنصر الخير في الوجود، وقد انهزم "آنو" اله السماء أمام جحافل تيمات؛ فلم ينتصر الا بعد أن برز من الماء بطل وليد هو "مردوخ" رب الجنود، وسيد الحروب.. ثم عمد مردوخ الى تيمات فشقها نصفين صنع من أحدهما الأرض، وصنع قبة الفضاء من نصفها الآخر، ثم قيد أسراه في هذه القبة فلا يبرحونها الا باذنه، ورفع ماشاء من الأرباب الى السماء، وقصة الخلق مقسمة الى سبعة أقسام.. كل قسم عن يوم، وآخرها خلق الانسان، وقد تغلب مردوخ على تيمات ربة الأغوار المظلمة؛ فأخذ زوجها، وخلانها الأحد عشر، وسلسلهم كأسارى في مملكته السماوية.. فهم المنازل الأحد عشر التي بقيت في علم الفلك الى اليوم..</p>
<p>فارس</p>	<p>"الزرادشتية" أبرز مذاهب الفرس، ورواية الخليقة في مذهب "زرادشت" أن "هرمز" خلق الدنيا في ستة أدوار.. فبدأ بخلق السماء، ثم خلق الماء، ثم خلق الأرض، ثم خلق النبات، ثم خلق الحيوان، ثم خلق الانسان، وأصل الانسان رجل يسمى "كيومرث" .. قتل في فتنة الخير، والشر.. فنبت من دمه ذكر يسمى "ميشة"، وأنثى تسمى "ميشانة" .. فتزوجا، وتناسلا، وفي</p>

	<p>بعض أساطير المجوس أن "زروران" أبو الالهين؛ اله "النور"، واله "الظلام"، ولعله صنو لاله البابليين "نون" ..</p>
اليونان	<p>"جيا" ربة الأرض، و"كاوس" رب الفضاء، و"ايروس" رب التناسل، واحة الزوجية، وجعل ايروس يجمع بين الأرض، وزوجها الفضاء.. فتلد منه الكائنات السماوية، والأرضية، وآخرها "أرباب الأوليمب" ..</p>
الهند	<p>وهي تشبه قصة الخليفة المصرية.. فالحياة خرجت من بيضة "ذهبية" كانت تطفو على الماء في العماء، والاله الأكبر كان ذكرا، أو أنثى كما جاء عن "رع" في بعض الأساطير المصرية، وبناء العالم من صنع بناء ماهر في أساطير مصر، والهند على السواء، وتتفق مصر، وبابل، والهند على أن الاله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة.. فأمرها بأن توجد.. فبرزت على الفور الى حيز الوجود، والنشيد المرهوب الذي كان يتغنى به نساك الهند، والذي ترجمه "ماكس موللر" الى الانجليزية.. لأجواء، ولاسماء وراء الأجواء.. أهى هاوية الماء؟.. التى ليس لها قرار؟.. لم يكن ثمة نهار، ولاليل، ولم يكن الا "الأحد" يتنفس حيث لأنفاس، ولاشء سواه.. ومن القشرة فى تلك النذرة قام..</p>
الصين واليابان	<p>ينسب الخلق عندهم الى اله السماء "أزاناجى - نوميكوتو"، وزوجته، وأخته الهة الأرض "أزانامى - نوميكوتو" .. فولدا جزر اليابان، وألقحها ببذور الآلهة، وجاء أبناء اليابان الآدميون من سلالة هذه الآلهة.. فكلهم فى النسب الأعلى -وليس الميكاد وحده- الهيون.. وقد وحدوا عبادة الأسلاف فى الربة "أميزاسوا- أموكاى" التى يعتقدون أنها لم تخلق الكون، أو الانسان.. بل سبقها عشرات الألوف من الأرباب، وصار اليها الأمر برضوان من خالق السموات، والأرضين، وينسبون الخلق الى "أزاناجى" فى رواية، وقد أعجب بالشمس من بين أبنائه..</p>

<p>فيوأها عرش السماء، واله السماء هو "الاله" الذى يصرف الأكوان، ويدير الأمور، ويرسم لكل انسان مجرى حياته، ويداول تركيب الوجود من عنصرين هما "ين" .. السكون، و"يانج" .. الحركة..</p>
-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

ملاحظات على محتويات الجدول:

هناك ثوابت اسلامية، ومفاهيم أصلها الوحي، والدين من المستحيل أن تكون ابتكارات بشرية في هذا الوقت المبكر من وجود الانسان على الأرض:

\*عنصر "الماء" هو القاسم المشترك في معتقدات كل البلاد القديمة عن بداية الخلق، وهو نفس ما أخبر به القرآن الكريم عن كون الماء بداية المخلوقات:

"-وكان عرشه على الماء" هود 7..

\*اقتران عنصرى "السماء"، و"الأرض":

"-أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" الأنبياء

..30

\*اقتران عنصر "الخير" بعنصر "الشر" المتمثل في الشيطان:

"-ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا" النساء

..119

\*سنة "التزاوج" في الكون من أجل الاستمرار، والتوالد، والتكاثر، ومنها اقتران الذكر بالأنثى رمزا "لآدم"، و"حواء" كأصلين للبشر عن طريق التزاوج أيضا، وخلفاء الله الأعظم في أرضه:

"-وإذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة" البقرة 30..

"-ومن كل شىء خلقنا زوجين" الذاريات 49..

\*دور "الكلمة" فى الخلق اللحظى بالأمر:

"-الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون" آل عمران 47..

"-انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم" النساء  
171 ..

\*تورط البشر جميعا في "عبادة الشمس" بأمر الشيطان لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:

"-الشمس تخرج بين قرني الشيطان" .. وقوله تعالى:

"-وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم"  
النمل 24..

"-لاتسجدوا للشمس ولالقمر واسجدوا لله الذى خلقهن" فصلت 37..

علم الله تعالى  
وعلم البشر

يقيس المفسرون علم الله تعالى بعلمنا نحن.. فعلم الله تعالى ليس له فواصل  
زمنية كعلمنا.. فالله تعالى يري مالا نري نحن لقدرتنا المحدودة، والمحددة بقواسم  
زمنية.. فعلمنا لا يتجاوز اللحظة التي نحن فيها.. بينما علمه تعالى علما مطلقا ليس  
له حدود، أو حواجز زمنية.. فعندما يقول:

"-ابني جاعل في الأرض خليفة" البقرة 30..

فتجاوز علمه تعالى الزمان؛ خاصة أنه تعالى:

"-فعال لما يريد" البروج 16..

بمعني أنه يملك العلم اللامحدود، والقدرة على تنفيذ ما يريد..

ويقول تعالى فيما نفهم منه عدم محدودية علم الله تعالى مثلنا في مقارنة تلفت  
النظر..

"-انهم يرونه بعيدا(6) ونراه قريبا(7)" المعارج..

فهو تعالى يتحدث عن يوم القيامة الذي يراه تعالى رأى العين - كما نقول  
عن علمنا نحن - فهو يراه في علمه اللامحدود، فلا فرق في علم الله تعالى بين ماكان،  
وماسيكون.. ومن ناحية أخرى فقد خلق تعالى الانسان بطباع هذه الأرض التي  
أوجدها، وخلقها فعلا عندما خلق الأرض، وأنه تعالى أنفق أربعة أيام في خلقها  
تمهيدا لهذا المخلوق، ولم بينها كما بني السموات:

"-والسمااء بنيناها بأيد وانا الموسعون(47)والأرض فرشناها فنعم  
الماهدون(48)" الذاريات ..

"-قل أنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك  
رب العالمين(9) وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة  
أيام سواء للسانين(10)" فصلت..

وكما خلق الأرض.. خلق الانسان أيضا خلقا اقترن بالتسوية الأولية له:

"-فإذا سويتته" ص 72..

"-خلق الانسان من صلصال كالفخار" الرحمن 14..

"-ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين" المؤمنون 12..

"-وبدأ خلق الانسان من طين" السجدة 7..

فطباع هذه الخلقه هي جموح للمعرفه، وتطلع للمجهول بقدرته المحدوده بهدف تعمير هذه الارض، خلقه لها شهوة الأثره، وقدره علي اثاره التنافس، وغرس بذور صراعات، وعداوات، ورغبة في الاستحواذ وهو ما بدا لهذه الخلقه في الجنة من التزوع نحو ما حرم عليه، ومنع عنه:

"-فكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين.."

إذن لم يبذل ابليس كبير جهد في اغواء هذه الخلقه وجعلها تأكل من الشجرة المحرمة بما جبلت عليه من اجتياز الجهول، و شهوة الأثره، وحب المعرفة حتي لو كانت وبالا عليها..

وينحو المفسرون - غالبا - منحي التوراة في أن الجنة كانت علي الأرض، فإن كانت علي الأرض فلم غضب عليهم ربهم سبحانه وتعالى، وأخرجهم منها، فهم علي جنة أرضية، وتعاملوا معها بأخلاق أرضية.. فلم الطرد إذن؟!.. ولا عبرة بالتزول في لفظ القرآن.. ومن يأتى الاعجاز القرآنى في التصريح التالى:

"-لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم" التين 4..

وهو التقويم الخاص بالملا الأعلى، والقريب من عظمته، وعلياته.. ولكن اذا نزل هذا المخلوق الى الأرض؛ فهناك تقويم آخر:

"-ثم رددناه أسفل سافلين" التين 5 ..

والقرآن الكرمى يحتوى على كثير من الآيات التى نستشف منها علم الله السابق لعلمنا.. فيقول مثلا:

"-يأيتها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك" الممتحنة 12..

فهن فى علمه تعالى مؤمنات قبل مبايعه النبى صلى الله عليه وسلم على الايمان.. ويقول أيضا:

"-لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسول من أنفسهم يتلو عليهم آياته  
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين" آل  
عمران 164 ..

فعندما أعلنوا اسلامهم للرسول صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعلمون شيئاً  
عن الايمان، ولكنهم مؤمنون في علم الله تعالى المحيط، وهو مايتضح من قوله تعالى  
لرسوله الكريم:

"-ماكنت تدري ماالكتاب ولا الايمان" الشورى 52..

## المعاملات فى الاسلام (الأموال والثروات)

ان القرآن الكريم عد قارون من الكافرين، والنصوص القرآنية كثيرة في شأن تأثيم أمثال قارون، وفي مجال واحد هو مجال المال، والاكتناز:

"-والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" التوبة 34.

"-ويل لكل همزة لمزة (1) الذي جمع مالا وعدده (2) يحسب أن ماله أخلده (3) كلا لينبذن في الحطمة (4) وما أدراك ما الحطمة (5) نار الله الموقدة (6)" الهمزة..

ان القرآن الكريم عندما أراد التحدث عن الناس، ومراتبهم.. قال بالدرجات، والحديث القرآني بالدرجات نوعان رئيسيان:

النوع الأول: درجات في الحياة الأرضية، مثل:

"-نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" الزخرف 32.

"-وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم" الانعام 165.

النوع الثاني: درجات في الحياة بعد البعث، والحساب، مثل:

"-أفمن اتبع رضوات الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون" آل عمران 162، 163.

"-ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون" الأنعام 6.

"-ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون" الاحقاف 19.

والنوع الأول يتناول بيان تفاوت القدرة بنوعيتها؛ قدرة الجسد، والمزايا، وقدرة الرزق، والمال، والبشر فضل الله بعضهم بمواهب، ومزايا، وخصائص حتي تستقيم الحياة، وتتكامل عناصر القوي المعمرة المنتجة، وهبة الله مزايا للبعض.. لا يعني تفويضا بالكبر، والبغي، والافساد.. لأنها ودیعة، وأمانة، ومستولية تسخر من أجل رضي الله، وجنته في الآخرة، ويورد القرآن أمثلة لمراد الله فيما يهب من رزق، ومال:

"-آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير" الحديد 7.

"-وانفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين" المنافقين 10.

"-والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم" النور 33..

ومن هذا ندرك مفهوم حقيقة العطاء الالهي للانسان دون تفرقة بين البشر علي أساس من نسب، أو مال، أو جاه، أو قدرة، ودون الانسياق وراء بعض المفسرين الذين مالوا أو عبّاد السلطة، والجاه، والمال، والذين جمدت فتاواهم الابداع الاسلامي عند عصر الخلفاء الراشدين، وكانت حربا استعان بها أصحاب السلطة، والمال علي القلة من الائمة المجتهدين الصادقين.. فشردوهم، وعذبوهم، وقتلوهم دون تسخير سلطتهم، وما لهم في عمارة الأرض، ومصالحة البشر من رعاياهم فوق هذه الأرض، وحاشا لله أن ينسب إليه المنتطعون ميلا نحو جنس، أو لون، أو طائفة، أو طبقة، أو ذوي حسب، ونسب، أو ذوي جاه، ومال دون الأخرى فهو:

"-رب الناس.."

وهو..

"-ملك الناس.."

وهو..

"-إله الناس.."

وليس كما ادعي عليه اليهود - سبحانه عما يصفون - وادعوا نسبتهم إليه من دون الناس..

"-وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم" الحجرات 13..

"-ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض" القصص 28 ..

والطائفية، أو الطبقة الوحيدة التي يؤكدتها القرآن هي طبقة التقوى، والعمل الصالح من أجل المجموع:

"-ان أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات 13..

ولا خشية من استبداد هذه الطبقة لأنها بطبيعتها غير مستبدة.. ولا ترجوا فيما تفعل غير وجه الله، والا فقدت صفتها، ووجودها، ولأهميتها فقد حددها تعالى في مطلع القرآن الكريم.. ملخصا اياها في ست نقاط خلال آيتين من سورة البقرة :

"-ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين(2)"

"-1الذين يؤمنون بالغيب"

"-2ويقيمون الصلاة"

"-3ومما رزقناهم ينفقون(3)"

"-4والذين يؤمنون بما أنزل اليك"

"-5وما أنزل من قبلك"

"-6وبالآخرة هم يقنون(4)"

وكيف يجيز عقل سوي أن الذي خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها يميز بعد ذلك، ويفاضل بين الخلق بسبب ما خلقه فيهم من عقل، وقوة، وفقر، وغني:

"-وهو بكل خلق عليم" يس 76..

"-ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" الملك 14..

"-وما ربك بظلام للعبيد" فصلت 46.

"-وما يستوي الأعمى والبصير(19) ولا الظلمات ولا النور(20) ولا الظل ولا الحرور(21) وما يستوي الأحياء ولا الأموات(22)" فاطر..

"-قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" الزمر 9..

"-أفجعل المسلمين كالجرمين ما لكم كيف تحكمون" القلم 35 ..

ومن الآيات يدلنا القرآن - كتاب الله - أن التفضيل محال من الله بين خلقه..  
فالناس لديه سواء حتي من أوكّل رزقهم منه بأحد البشر مثل الراعي للرعية، أو  
الأب للأسرة، أو الأكبر للأصغر.. الخ:

"-والله فضل بعضكم علي بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم علي  
ما ملكت إيمانهم فهم فيه سواء" النحل 71..

فالتسوية هنا تنفي التفضيل تماما.. فكلاهما مرزوق من الواحد الرزاق، والمفضل  
ما هو سوي وسيط، ووكيل مستخلف علي ما للغير من رزق، فيورد الوكيل له  
نصيبه غير منقوص؛ ورغم أن البشر عند الله سواء إلا أنهم متفاوتون في الرزق،  
ويرزق من يشاء منهم بغير حساب في أكثر من آية في القرآن في سور البقرة،  
وآل عمران، والنور.. ففي البقرة 212 :

"-والله يرزق من يشاء بغير حساب.."

لقد أخذت الآية علي إطلاقها، ونزع معناها من السياق الذي يقول:

"-زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا  
فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب" البقرة 212.

فهكذا نري من السياق أن عجز الآية ليس له صلة بالمال، والرزق، ولكنه  
جزء التقوي، والإيمان في النهاية، وإلا لأصبحوا مثل الذين كفروا - والعياذ بالله  
- الذين زين لهم الشيطان الحياة الدنيا..

وفي آل عمران وردت في الآيتين 27، 28 :

"-قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتترع الملك ممن تشاء وتعز من  
تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علي كل شئ قدير(27) تولى الليل في النهار  
وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء  
بغير حساب(28)"

قد يتصور البعض من بلهاء الفكر ، والتفكير أن النص هنا بالرزق من غير  
حساب.. واضح، وصریح؛ ويعزز اعتقاده السقيم بأن الرزق مطلق لبعض الناس،  
وهو ما يتنافي مع القدرة، والحكمة، ودقة الخلق، وتدبيره من إيلاج، وإخراج،

ولكن من يتأمل النص بفكر مفتوح، يجد أن عجز الآية جاء لتأكيد أن الله يأتي بالرزق من حيث لا يحتسب المرزوق، وليس كما يفهم ذوي العاهات، والحسابات أن كلمة "بغير حساب" تعني الاطلاق، والكثرة بلا حدود.. أهذا يتفق مع اسم الله تعالي: "العدل" .. فهو ليس عادلا.. بل هو العدل نفسه، فهل يعقل أن هذا العدل يجعل من هو ذو فقر مدقع، ومن لا يستطيع احصاء أمواله لكثرتها؟!.. أهذا يليق بجلال الله، وحكمته التي يدبر بها الكون، ومن ثم الخلق، والرزق؟ ..!

فهو تعالي كما يخرج الحي من الميت؛ يرزق من لا يملك أسباب الرزق بحسابات ذوي العاهات، والحسابات، وهو ما أكد عليه تعالي في الآية 37 من نفس سورة آل عمران عندما يرزق تلك الفتاة الصغيرة المنقطعة للمعبد، والعبادة، ولا تلمس أسباب الرزق كما يفعل الحسابون، ويندهش لهذا نبي الله زكريا عليه السلام حتي أنه ليجد لديها من أنواع المأكولات، والمشروبات مالا وجود له في السوق، أوالفصل من العام كما يقولون:

"-كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا" آل عمران 37..

فيتسأل النبي عليه السلام:

"-قال يا مريم أني لك هذا؟" آل عمران 37..

فترد الصغيرة المنقطعة لله.. وتؤكد:

"-قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب" آل عمران 37..

وهنا يدرك نبي الله عليه السلام أن الصلة الحقة بالخالق لا تجعل المخلوق يحتاج لشيء، وأن الرزق ليس بالسبب.. فيبادر بالقرار ليؤكد هذه الصلة بينه وبين ربه:

"-هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء" آل عمران 38..

إن زكريا عليه السلام لديه ما يؤرقه:

"-قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا ولم أكن بدعائك رب شقياً(4) وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً(5) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً(6)" مريم..

وفي سورة النور ما يؤكد أن الرزق بغير حساب هو جزاء حسن الأعمال كما يتضح من سياق الآيات:

"-في بيوت أذن الله ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالعدو والآصال(36) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار(37) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب(38).."

فجزاء العمل الصالح:

1. أحسن مما عملوا.

2. ويزدهم من فضله تعالي.

3. ويرزقهم بغير حساب لمن يشاء.

وبغير حساب تأتي أيضاً من قدر الله للبعض بالاثراء لأتفه الأسباب دون البعض الآخر:

"-يسسط الرزق لمن يشاء ويقدر.."

فعندما يترل الله الرزق من السماء؛ لا يعطيه الله للبشر بالتساوى، ولكنه يتفاوت بين الناس.. فيعطى لبعضهم الكثير منه، وعادة هم قلة، ويعطى لغيرهم ما يقيم حياتهم، ويبين تعالي حكمته من ذلك في المثل الذي ضربه لنا في القرآن عن قارون الذي بين حكماء قومه مراد الله سبحانه، وتعالي في اثرائه بكل هذه الأموال، وأن مصدرها هو الله حيث يصف تعالي ضخامتها:

"-وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولوا القوة" القصص..

ولكنه يتجاهل كل هذا، وينسب لنفسه فقط الفضل في ذلك، ويقول:

"-انما أوتيته على علم عندي" القصص..

ولكنه لا يدرك بغباء الكفر، وغرور الشيطان أن هذه حجة عليه.. فهى  
حكمة الله فى خلقه الذين يملكون العلم الذى يستطيعون به جمع المال، وصيانتة،  
وتنميتة، واستثماره.. ثم صرفه، وتوزيعه بالعدل بين من لا يستطيعون ذلك، وهم  
كثير..

ومن الأعمال التى تحض عليها الآيات القرآنية، وترغب فيها.. الانفاق..  
لتحقيق الحكمة من الرزق الإلهي لانسان، أو شعب، ومن أكثر النصوص القرآنية  
فى هذا الأمر ثلاث:

"(1) يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من  
الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه" البقرة  
267.

والأمر صادر للمؤمنين بالانفاق:

أ من طيبات ما كسبوا..

والطيب غير الخبيث، أما الكسب فهو نتيجة طلب الرزق الذى وفقهم الله  
إليه بشرط الكسب الطيب، والانفاق من هذا الطيب، وليس من الخبيث الذى  
يعنى أن مصدره خبيث (حرام)، أو ردىء لا يرضى به اذا أعطى له..

ب- وما أخرج لهم من الأرض ..

شاملا ثمار النبات، وأنواع الحجارة، والمعادن، والبتروال وغيرها، وقد جمع  
تعالى مصدري المال الرئيسيين فى هذه الآية وهى خيرات الأرض، وجهد البشر  
الذين ينبغى الانفاق منهما دون تخصيص، أو استثناء، بحيث لا يفهم هذا الحق للغير  
كصدقة، أو إحسان من فضل قدرة، أو مال.. بل هو يشارك من ليس له قدرة،  
ولا مال.. ولا تقل الجودة فى النفقة عما احتفظ به، أو ينوي الاحتفاظ به لنفسه،  
وهذا ينبع من قاعدتين قام عليهما الخلق:

1. ملكية الله المطلقة لكل شئ:

"-الله ملك السموات والأرض وما فىهن وهو على كل شئ قدير" المائدة 5..

"-وفى السماء رزقكم وما توعدون" الذاريات 22..

2. المشاركة البشرية العامة للملكية الخاصة لخير الأرض، والقدرة (بين من يملكون، ومن لا يملكون:)

"-وفي أموالهم حق للسائل والمحروم" الذاريات 19 ..

"-آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير" الحديد 7.

"-والذين في أموالهم حق معلوم(24) للسائل والمحروم(25) المعارج..

فالانفاق مقترن بالايمان بالله، والرسول، وهو ما استخلف الله المؤمنين فيه، فأنابهم عنه، ووكلمهم في استثماره، بحيث يصير الوكيل آثماً إن عصا الأمر، وامتنع عن الانفاق، اعتقاداً منه أن ما لديه ملكية خاصة، ولكنها ملكية مشتركة بين البشر تختلف نسبتها بين الناس..

"-وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين" يس 47..

وينوه تعالى في هذه الآية عن فكرة بثها الشيطان في نفوس القادرين من الكافرين، ومن شاكلهم من المؤمنين، وهي تطرح بالتساؤل:

-كيف أعطي من منعه الله من الرزق؟ ..!

فلو كان يستحق المال، أو الخير لأعطاه الله.. وكأنه - والعياذ بالله - يشارك الله في مشيئته، ويتنصل بكل بساطة من حق الفقير، والمعوز في ماله، فقد خرج الوكيل المستخلف علي المال عن مقتضيات، وواجبات الوكالة؛ استئثاراً، واختلاسا للمال موضوع الوكالة الأمر الذي يجرم الوكيل، ويجعله في ضلال مبين..

والانفاق في الاسلام هو تحقيق الكفاية المعيشية لكل فرد من أفراد المجتمع على النحو الذي يخرجهم من دائرة الفقر الى حد الغنى، والاستغناء، بمقيار "حد الكفاية"، لاحد الكفاف.. بحيث يكون كل فرد قادراً على الانفاق على نفسه، وعلى من يعول حتى يلحق بالناس، وقد اختلف الفقهاء في تحديد حد الكفاية، أو الغنى الذي يجرم بعده السؤال.. فمنهم من قصره على قوت اليوم الواحد، ومنهم من مده الى توفير كفاية عام، ومنهم من بالغ في التوسع لحد توفير كفاية العمر كله،

واعتقد أن كفاية العمر كله ماهي الا توفير العمل له، ولمن يعول سواء اعتمدت الدولة على كبار أغنيائها في توفير فرص العمل.. أو قامت هي بذلك بالاعتماد على علماء الأمة من الفنيين، والخبراء، أو الاثنيين معا ..

هذا مع توافر نظام حماية تأمينية ضد العجز، والمرض، والشيخوخة، والموت.. ومالم توفر له الدولة ذلك فله حقه في بيت المال حتى يعمل.. أو يوفر له بيت المال شراء أصل رأسمالي يدر له دخلا دائما يغتنى به، ولا يقتصر حد الكفاية على ضرورات الحياة من مأكلا، وملبس، ومسكن.. بل تمتد الى توفير الرعاية الطبية، والتعليم الأساسى، وحتى تيسير الزواج..

وكما قسم تعالي الأرزاق.. فهناك أرزاقا أخرى قسمها أيضا:

"-الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور(49) أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما أنه عليم قدير(50)" الشوري ..

"-ومن آياته خلق السموات والأرض وأختلاف ألستكم وألوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين" الروم 22.

"-لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" المائدة 48.

وكما تختلف الأرزاق.. يختلف البشر أيضا؛ وتتنوع صور هذا الاختلاف هو الذي يشعل الحياة بالحركة:

"-وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم في ما آتاكم " الأنعام 165.

"-نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" الزخرف 32.

"-ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل علي العالمين" البقرة 251.

فالأصل في الخلق الاختلاف شكلا، ولونا، ولسانا، وقدرة..

والأصل في الحياة البشرية التنوع، والتعدد، والتدافع..

والأصل في عطاء الله التباين المتداخل في الارزاق.. كي يقوم التكامل بين البشر؛ وتدور عجلة الحياة..

ولكن اذا كان الأمر كذلك في هذا الاختلاف ليحدث الدفع، والعمران.. فلم يتركه تعالى للصدفة، والظروف.. ففرض القرآن، والسنة تدخل ولى الأمر بقواعد ثابتة دائمة، وأخرى متحركة، متغيرة لتنظيم، وتأمين، وضبط الالتزام البشرى المتبادل؛ ومن هنا يتم التشدد مثلا في أمر الزكاة.. وهو ما شهدته التاريخ الاسلامى عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة من حرب ضروس بسبب ايمان الخليفة الأول أبو بكر رضى الله عنه، وأرضاه بمسئولية ولى الأمر عن الزكاة - التى تخص جميع المسلمين، وجمعها كاملة غير منقوصة، وقد وصمها المؤرخون "بالردة"- أى الكفر والعياذ بالله - حيث كان فهمهم للدين فى ذلك الوقت خارج مقتضيات السياسة، والمصلحة الفردية الضيقة.. فاعتبروا مانع الزكاة "كافر".. وهو ما تماونوا فيه بعد ذلك، وأهملوه.. عندما دخلت السياسة، والمصلحة الفردية الضيقة فى الدين بعد حكم "الراشدين" الذى تسللت اليه الفتن فى عهد الخليفة الثالث رضى الله عنه باتساع الدولة، والفتوحات..

وهم الذين أفاض القرآن فى الحديث عنهم، وعن نواياهم فى حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهم "المنافقون"، و"مرضى القلوب".. بيد أن التزام الرسول بالدعوة فى الأساس أطمع هؤلاء الناس، ومن هؤلاء من أوحى إلي "عثمان بن عفان" بأن ولاته(وأغلبهم من بنى أمية أقارب عثمان الذين مالوا بالدين، والدعوة نحو السياسة، واستقطاب الأتباع، والمؤيدين بالمال، والمناصب، ثم قيام دولة بنى أمية، وتوريث الحكم بعد مقتل عثمان، وبعد على بن أبى طالب) يكفون عن جمع زكاة الأموال الباطنة من نقد، وذهب، وعروض التجارة على أن يوكل الناس فيها إلي أمر دينهم، وقصر جباية الزكاة على الأموال الظاهرة، وقد دخلوا عليه بثلاث حجج:

1. لقد كثرت الأموال في المجتمع الإسلامي بعد الفتوحات؛ بحيث لم تعد بالناس حاجة إلي الشح، والبخل، وامسك اليد..

2. يجد الولاة مشقة في متابعة الأموال الباطنة في بيوت الناس، ومتاجرهم..

3. تتعرض الأمة بسبب جباية هذه الأموال لخرج كبير، وضرر شديد..

وقد أدى هذا القرار مع الزمن، وموت الصحابة، وتُعد الناس عن عصر البعثة إلي فتح ثغرات في جدار الإيمان المتكامل.. اتسعت يوماً بعد يوم لتحي في النفس البشرية من جديد شهوة الأثرة، والاستحواذ.. الأمر الذي أدى إلي تضخم الفروق بين دخول الأفراد، ومن ثم المجتمعات، وشيوع الحقد، والتمزق، والعداء حتي بين أفراد الأسرة الواحدة.

في مقال للأستاذ "محسن محمد" بجريدة الجمهورية الصادرة صباح 23 من مارس 2006 ينعي فيه خسارة الأسهم العربية في يوم واحد - أى في الدول العربية المختلفة - مامقداره 250 مليار دولار نتيجة هبوط أسعارها في البورصة، وهو رقم يعادل بالضبط الأرباح العربية من ارتفاع أسعار البترول في العام السابق.. أى ماكسبه العرب في عام خسروه في يوم واحد، والغريب في الأمر أن أسعار الأسهم انخفضت في هذا اليوم - الثلاثاء 16 من مارس 2006 - في بورصات السعودية، ومصر، والكويت، والأردن، وتونس، والامارات.. وهو مايبين مدى ارتباط الأسواق، والأسهم العربية، وتوافر الأموال بكميات كبيرة لدى أفراد يكثرونها في البورصات، والبنوك..

ومن مقال للأستاذ عبد اللطيف فايد بجريدة الجمهورية الصادرة يوم 10 من يونيو 2004 يتحدث فيه عن شركات يستثمر فيها ملوك البترول من الحكام العرب خليجيون، وسعوديون تتعرض الآن للانهيار، وملاحقة مديريها، ودخول بعضهم السجن، وهذه الشركات هي: "والت ديزني"، و"أنرون"، و"شل"، و"ارمالات"، وهي من الشركات التي اعتمدت في العقدين الأخيرين على تدفقات عوائد البترول العربية من الحكام العرب، الذين سيجرى عليهم ماجرى للهنود الأحمر حينما أخذ منهم الأمريكان الأرض، والثروات الخام، وباعوا لهم الخرز، والوعود، والأوهام.. ثم الابادة حيث تقلص عدد الهنود الأحمر من 10 مليون الى

200 ألف هذه الأيام، وهم الذين احتفظت بهم أمريكا للاستفادة منهم عندما أحاطوهم بأسيجة في المناطق الجبلية كمزارات سياحية لانسان ما قبل أمريكا.. فهل بدأ هذا العصر في المنطقة العربية "بصدام حسين" الذى احتفظوا به في قفص للفرجة، والسياحة للمقربين فقط، والكل في المنطقة ينتظر.. الرئيس في القفص الصغير، ودولته، وشعبه في القفص الكبير كأسيجة الهنود الحمر.. ثم "القذافي".. ثم..

وليس هذا هو السفه العربى الوحيد حيث جرى العرب بشراقتهم الطائلة وراء تقليعة أوروبية أمريكية هي "البورصة" - التى تشبه لعبة القمار - التى أنشأوها في بلادهم المتخلفة مئات السنين عن أوروبا، وأمريكا، أو أودعوا هذه الثروات في بنوك هذه البلاد ليدعموا اقتصادها، والناس في بلادهم يتضورون جوعا، والشباب منهم لا يستطيعون الزواج، لأنهم لا يجدون العمل..

وليت هؤلاء قد فعلوا هذا واكتفوا به.. بل منهم من يقوم بالتبرع لجهات حيوية في هذه الدول.. فقد تحدث الأستاذ السيد البابلي في جريدة الجمهورية الصادرة صباح 23 من مارس 2006 نقلا عن صحيفة "الفينانشال تايمز" البريطانية أن شخصية عربية معروفة قامت بالتبرع بمبلغ 40 مليون

دولار أمريكى (حوالى 240 مليون حنيه مصرى) لجامعتى "هارفارد"، و"جورج تاون" الأمريكيتين.. كما نشرت هذه الشخصية اعلانات على صفحة كاملة حول هذا التبرع في صحيفتى "نيويورك تايمز"، و"الواشنطن بوست" بأمرىكا اضافة الى عدد من الصحف البريطانية ..

كما تبرع "أمير الكويت" بعد تحرير بلاده من العراقيين بمليون دولار "لحديقة حيوان لندن"، وكذلك "آل مكتوم" في الامارات الذين يمتلكون العديد من اسطبلات الخيل في لندن، ويحتكرون مباريات سباق الخيل.. فهل يعتبر هؤلاء الأشخاص في عداد المسلمين؟.. أم في عداد المنافقين من الذين أسلموا ولم يصح اسلامهم؟.. أم من المشركين الذين لا يؤدون زكاة ما لهم لله، ولكن لأمرىكا، وبريطانيا.. وقد قال تعالى فيهم صراحة:

"-فويل للمشركين (6) الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون(7)"

فصلت ..

ولعله كان ضحية أحد من تصدى لتفسير القرآن من المشايخ الأغنياء حتى أدرك هذه الآية.. وقع من حيص بيص.. فكيف يؤدي المشركون الزكاة؟!.. ان الزكاة لا يؤديها سوى المسلمين.. ونسى آيتي سورة يوسف:

"-وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" يوسف 103 ..

تتلوها الآية الأخرى:

"-وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" يوسف 106 ..

فاللمال دورة يدور فيها دون توقف.. ثم يراكمه صاحبه، أو يكرهه، أو ينفقه انفاق السفه، والتبديد في رشاوى، وشراء ذمم، ومجاملات لولى الأمر من أجل مصالح صاحب المال فقط مثل قارون الذى ضربه القرآن مثلا لهذه الفنة الصالة:

"-ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم" القصص 76..

"-كلا انها لظى(15) نزاعة للشوى(16) تدعو من أدبر وتولى(17) وجمع

فأوعى(18)" المعارج..

"-والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم(34) يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بما جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كثرتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون(35)" التوبة..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

<<-ليس محتجر حق بعد ثلاث سنوات..>>

والمحتجر من وضع يده على أرض موات لا يملكها أحد، أو أقطع اياها من قبل ولى الأمر بهدف الافادة منها، وتعميرها؛ وقد كثرت أيام الخليفة عمر بن الخطاب هذه الأراضي بأيدي المسلمين، ولما تبين له أن الكثيرين لم يعمروها كأراض صالحة للزراعة؛ قال قياسا على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

<<-من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له..>>

فهى ثروة معطلة، ومحجورة بلا استفادة لصاحبها، فحبس خيرها، وثمرها بما ينفع الناس على نفسه، وعلى غيره.. فلا استفاد.. ولا أفاد.. وتبطل هذه القاعدة الاسلامية الزعم بوجود ملكية كلية مغلقة على انسان معين، لأن حق الملكية فى الاسلام مرتبب بمدى استخدام هذه الملكية، واستثمارها بما يفيد المجتمع ..

روى أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى امرأة، وفى يد ابنتها مسكتان من ذهب، فأشار الى الذهب قائلاً:

<<-أتعطين زكاة هذه؟..

-قالت: لا..

-قال: أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار..>>

وهو ما يوافق الآية الكريمة التى تحذر من كثرة الذهب، والفضة دون انفاق، والكثرة هنا ما تتجاوز حدود الزينة، ولفت الأنظار، والبشرى لاتكون بالعذاب، ولكنها سخرية من أنما ستكون معهم أيضاً فى جهنم، كما كانت معهم فى الدنيا فكانت تجعلهم من سرور، وحبور، أما فى الآخرة ستكون عليهم وبالاً، وآلة من آلات التعذيب، والتسكيل.. فتسخن لأنهما جيدة التوصيل للحرارة، فتكوى بها الجبهة، والجنبين، والظهر، وهى المواضع التى كانوا يقابلون بها المحتاجين، والمعوزين بالاشاحة بالوجه أولاً، ثم تجبهم، ثم الاعراض عنهم بالظهر، حتى لا يعطيه شيئاً..

وهذا ما حدا بفقهاء الشريعة من كافة المذاهب اذا وصفت حلى المرأة - وهى محرمة على الرجال - بالاسراف بحيث كانت دليلاً على وجود فضل مال، وجبت عليها الزكاة استناداً لقوله صلى الله عليه وسلم:

<<-كلوا واشربوا والبسوا فى غير سرف ولا مخيلة..>>

وليس أدل على ذلك من خشية أبى حنيفة اذا أعفيت حلى النساء من الزكاة أكثر الناس من اقتنائها ليتخلصوا من زكاتها، الأمر الذى يكسب المال على أجساد النساء من غير نفع ..

وفى جريدة الجمهورية بتاريخ 17 من نوفمبر 2005 آخر مصادر من احصاءات اتحاد المصارف العربية من أن العالم العربى يضم وحده 200 ألف

مليونير.. يملكون 4800 مليار جنيه، وهو مايساوى 800 مليار دولار.. كما تصدر منظمة العمل العربية احصائية أخرى تحذر من أن ربع سكان الوطن العربي يعيشون تحت خط الفقر، وأن القضاء على البطالة فى العالم العربى يحتاج سنويا الى 3 ملايين فرصة عمل..

ان استثمار هذه الأموال، أو استثمار حتى زكاتها الشرعية.. التى تبلغ 120 مليار جنيه من شأنه أن يقضى على البطالة قضاء مبرما.. فضلا عن أن زكاة المال لا تتوقف عند هذا المبلغ.. لأن الزكاة تفرض على كل من يزيد ماله على ما قيمته 84،4 جرام من الذهب.. ويحول عليه الحول.. ويؤكد د. اسماعيل شلبى أستاذ الاقتصاد الاسلامى بجامعة الزقازيق أن العالم العربى لو أخرج فقط زكاة الركاز لحقق اكتفاء ذاتيا، ولقضى على البطالة.. حيث تصل النسبة فى الركاز الى 20 %، ومن شأن مردودها أن يقيم مشروعات عظيمة.. وعلى سبيل المثال أنه يمكن ببساطة زراعة أرض السودان لتصبح سلة الغذاء للعالم الاسلامى من خلال العمالة المصرية، والأموال العربية..

كما كشفت تقارير غير رسمية رصدها الأستاذ جلاء جاب الله فى جمهورية 11 من يناير 2007 أن سفهاء المصريين دفعوا حوالى 5 مليارات من الجنيهات رسوما فى احتفالاتهم بليلة رأس السنة.. وبالطبع صرف هذه المليارات أصحاب الملايين، والمليارات الذين يستطيعون دفع 5-50 ألف جنيه للفرد فى سهرة واحدة.. فى الوقت الذى ناشد فيه محافظ القاهرة رجال الأعمال، والجمعيات الأهلية لبناء 4 من دور الضيافة لأطفال الشوارع خصصت لها المحافظة 4 قطع من الأراضى الفضاء.. ولم يتقدم أحد.. ويعلق الكاتب أن مرضى الفشل الكلوى، ومرضى الكبد الوبائى يتزايدون يوما بعد يوم.. كما أن هناك مشاكل الزواج التى ترتبط بها قضية الاسكان، والبطالة، والتشغيل، ولقمة العيش الشريفة ..

والرزق فى الأرض متنوع، وكثير.. وقد يقل، ويشح فى زمن معين، وينضب، ويعز فى مكان معين، ولكنه ينمو، ويربو فى البر، والبحر، ولهذا لا يعترف الأمر الالهى للبشر لما أقاموه بينهم من حدود ابتدعوها، وأقاموها فيما بينهم، وجعلوها دولا لأنظمة أحاطوها بالأسلحة، والجيوش التى تحول بين البشر، والعبور من الأرض المجدية، والمنذرة بالموت الى الأرض الغنية بالخيرات التى يستحوذ عليها نفر

نهم طامع أبدا في المزيد من ترف الثراء، والاستحواذ، وسطوة الجاه.. فيحتكرون، ويجيعون الملايين المستضعفين الذين يشاركونهم الحياة على الأرض الى حد الموت، أو التخلص منهم جوعا، وعطشا، وحرمانا من أبسط مظاهر الحياة.. حتى أن المؤسسات العالمية المتخصصة مثل "منظمة الأغذية والزراعة"، و"المجلس الاقتصادي" التابع للأمم المتحدة تؤكد أن المزيد من اكتشاف الثروات الطبيعية في الأرض، واجادة تطويرها، وحسن استخدامها، وتوزيعها كفيلا لمواجهة النمو السكاني المطرد للبشر لآلاف من السنين، وهو ما أكد عليه القرآن كأصل للتشريع للبشر، وقاعدة أساسية في توزيع الثروات.. إذ يلام المستضعفين من المؤمنين على تقاعسهم، واستسلامهم للأمر الواقع، وتشبثهم بالمكان فلا يهاجروا، ويضربوا في الأرض حيث الرزق الوفير:

"-ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها" النساء 97..

ويعزز هذا الاتجاه الضرب في الأرض للرزق، أو الجهاد، أو اكتشاف الثروات الطبيعية مع اتباع قاعدة الاستخلاف، ونفع الناس.. بل يعتبر أيضا استجلابا لمرضاة الله، وطمعا في أجره تعالى في الآخرة:

"-ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدرکه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما" النساء 100..

وقد حدد القرآن خمس مبادئ ينبغي للانسان السير عليها في هذا الشأن بما ضربه لنا كمثل للجنوح، والشهوة، والأثرة، والبغي، والاستعلاء على الناس تبيها، وغرورا؛ وهو قارون الذى كان من قوم موسى وقد عرفها الحكماء من قومه، ولم يخلوا عليه بتذكيره بما:

- 1- "لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين(76)..)
- 2- "وابتغ في آتاك الله الدار الآخرة.."
- 3- "ولاتنس نصيبك من الدنيا.."

4- "وأحسن كما أحسن الله اليك.."

5- "ولاتبع الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين(77)" القصص ..

والمال في الاسلام أحد ثلاثة:

1- موروث..

2- مكتسب..

3- لاموروث، ولا مكتسب.. ولكن الله أغدقه مباشرة على أفراد، أو مجتمع

مثل.. الأثمار، والآبار، والبتول، وأعشاب البرية، وثمار الغابات، وخيرات البحار ..

فالمال شهوة مجنونة، وزينة مشيرة للفتن:

"-وتأكلون التراث أكلا لما (19) وتحبون المال حبا جما(20)" الفجر..

"-انما أموالكم وأولادكم فتنة" الأنفال 28، التغابن 15..

"-ان الانسان لربه لكنود(6) وانه على ذلك لشهيد(7) وانه لحب الخير

لشديد(8)" العاديات..

"-زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المنقطرة من الذهب

والفضة والخيول المسومة والأنعام والحراث ذلك متاع الحياة والله عنده حسن المآب"

آل عمران 14..

أولا: المال الموروث:

حرص القرآن الكريم على تنظيم الموارث بقواعد محددة لعملية انتقال حيازة

المال بين الأصول، والفروع؛ وبالتفصيل مؤكدا على حقيقة الرؤية الاسلامية من

خلال المصلحة العامة لمجتمع المورث، والورثة طبقا للقاعدة:

"-انما المؤمنون أخوة" الحجرات 10..

ضمن القرآن الكريم حق المورث في استثناء مايشاء من ماله - في حدود

الثلث - كوصية يختص بها وريثا معيناً درءاً لخطر، أو اشباعا لحاجة، أو تلبية

لضرورة، أو التماسا لصدقات مابعد الموت.. بشرط ألا تضرب بالورثة، أو تشير بينهم

العداوة، والبغضاء:

"-فان كان له أخوة فالأمة السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين" النساء

..11

وقد وضع الله الوصية، والدين في سلة واحدة، وأضفى عليها نوعا من الحماية، والأولية.. وذلك باستقطاعهما ابتداء قبل توزيع الارث، وانطلاقا من قاعدة أخوة المؤمنين، والاحسان بعد الاسلام، والايامن.. ثم يأتي أمر الله للمسلمين المؤمنين:

"-وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً" النساء 8..

وهي قاعدة تكسر حدة الشهوة، والاستئثار لدى الورثة، وتبدد شرور الحقد، وآثام الحسد؛ رغم ماخاض فيه البعض من ضعاف العقول، ومرضى الاستحواذ، والأثرة، والنفاق لذوى الأموال، والنفوذ بأن النص منسوخ ..

ثانيا: المال المكتسب:

الأصل في الكسب هو عائد العمل سواء أكان بدنيا، أو ذهنيا، أو مهنيا، أو تجاريا.. وشرطه أن يكون محررا، ومجردا من كل اثم.. ومن الاثم:

1- الاغتصاب، والسرقه..

2- ربح ميسر(بدون عمل أو جهد..)

3- مقابل بغاء، أو تستر على اثم..

4- فوائد ربا..

5- عوائد التجارة من غش، أو حبس، أو احتكار، أو مبالغة في تحديد القيمة

بلا أساس..

6- تخسير الوزن..

7- التزيين، والتضخيم، أو بسبب التنبؤ بغلاء السعر في المستقبل..

8- الرشوة، والهدية في مقابل خدمة..

9- المال العام..

10- شح الصدقة، والزكاة بمال مستحق لم يتم اخراجه، أو تأخر اخراجه..

11 - استرداد مال صدقات الزوجة بامساكها لتفتدى نفسها به:

"-وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا" البقرة 231..

ثالثا: لاموروث ولا مكتسب:

وهو مما خلق الله لعباده في الأرض من مياه بكافة مصادرها؛ أنهار، أمطار، آبار، بحار، وما تخرجه الأرض من معادن، وبتروول، وغاز.. فضلا عما تخرجه من أشجار، وأعشاب، وثمار، وحبوب للأكل، والرعى للحيوان، وكلها ملك لله.. منحها لخلقها من أجل الانتفاع بما ينص القرآن:

"-هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا" البقرة 29..

"-الله ملك السموات والأرض وما فيهن" المائدة 20..

"-ألم تر أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زراعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم" السجدة 27..

"-وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" الحديد 25..

وحق الانتفاع من أهداف الخلافة في الأرض، وتمام الانتفاع مشروط:

"-يأبىها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام" المائدة 95 ..ومشروط بحق المجتمع الفورى، وحصول الفائدة من الانتفاع:

"-وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" الأنعام 141..

ومشروط بألا يحقق باطلا.. مثل شراء ولاية الأمر، والتأثير على أهل الحل،  
والعقد من الأمة:

"-ولتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا أموال الناس  
بالاثم وأنتم تعلمون" البقرة 188..

ولاعبرة بادعاء البشر ملكية خاصة على أجزاء من الأرض، وأنواع من  
خيرها؛ وهو ادعاء يقوم على الأنا، وشهوة الأثرة، لأنها ملكية ربانية، ولا يدعى أحد  
من البشر خلق أى منها:

"-ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" الزمر 38..

"-أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون(36) أم عندهم خزائن ربك أم  
هم المصيطرون(37)" الطور..

إذا :

-المال لله.

-الانسان بالنسبة للمال: وكيل، ومنتفع.

القاعدة:

"-لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" آل عمران 92..

والبر في اللغة ضد العقوق.. وقد حدد الله البر في قوله :

"-ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله  
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى  
والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا  
عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس" البقرة 177..

وتلخصه الآية فى خمس نقاط:

1. الايمان (عقيدة).
2. الزكاة والصدقة (عمل).
3. الصلاة (عمل).

4. الوفاء بالعهد (عمل).

5. الصبر (عمل).

وهي تبدأ بالعقيدة، وتنتهى بالاستشهاد في سبيل العقيدة..

-الإنسان نفسه مال.. مقولة اقتصادية غربية معاصرة ..

-وفي الشريعة: الإنسان :

1-خليفة الله في أرضه ..

2-ويد الله التي تعمر الأرض، وتستحوذ على النعمة، ونفقها في مصارفها ..

-والانفاق نوعان :

1- لسد الرمق، وشراء الحاجات اليومية المعيشية ..

2- الإدخار، والإستثمار ..

-والإنفاق مشروط بنص الآيات:

"-يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا

يجب المسرفين" الأعراف 31 ..

ولا تستهجن الآيات الزينة للإنسان في غير اسراف.. فلا زهد، ولا تقشف،

ولا رهينة في الإسلام :

"-ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" الحديد 27 ..

فلا تحمة.. ولا امتلاء.. ولا تبذير.. ليس خوفاً من النفاذ، ولكن لأن هناك

من هو محدود القدرة في الحصول على هذه الكميات من الأكل، والشرب،

والزينة ..

<-من كان عنده فضل مال فليأت به على من لا مال عنده..>

<-والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن من بات شبعاً وجاره جوعان

وهو يعلم..>

والإتران هو :

"-والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً" الفرقان 67 ..

والقصد في الإنفاق هنا سواء على نفسه، وأهله، أو على المحتاج . .

"-كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب

المسرفين" الأنعام 41..

فلا اهلاك للنفس، والأهل، ولا اغداق على المحتاج حتى تبطره النعمة، ولكن يمكن افادة أكثر من محتاج.. والا دخل المنفق هنا في دائرة السفه الذى يوجب الحجر، وهذه الوفرة يطلق عليها حالياً "الفائض" .. وكان المسلمون الأوائل يسمونها "الفضل" .. كما ذكر نص الحديث، ويقول عنه القرآن "العفو":

"-ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو" البقرة 219 ..

-وهناك طريقتين للتعامل مع فضل المال:

1. الادخار. .

2. الاستثمار. .

والادخار نوعان:

-ادخار للظروف الطارئة مثل: الحج، والزواج، والعلاج، والبطالة.. الخ، وهو

محمود حيث لا يبعد عن إقامة حياة كريمة للانسان. .

-الاكتناز بغرض حبسه عن المجتمع استحوذاً، وآثرة.. وهو مكروه، وملعون

لتضييق الحياة بذلك على الناس، وحرمانهم من ثمرات تدوير هذا المال.. وجامع

المال لأجل الجمع عادة ما يكون ذو أمراض أخلاقية خطيرة، فهو خطر على المجتمع

أخلاقياً، ومالياً.. إذ أن الفرد عادة في خدمة مجتمعه:

مناع للخير معتد أثيم(12) عتل بعد ذلك زنيماً(13) أن كان ذا مال وبينين

"(14) ن..

وهو في غفلة من أمره:

"-ألهكم التكاثر(1) حتى زرتم المقابر(2)" التكاثر..

"-ثم لتستلن يومئذ عن النعيم" التكاثر 8..

"- وانفقوا من مازرقتاكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها" المنافقون 11..

"-أرأيت الذى يكذب بالدين(1) فذلك الذى يدع اليتيم(2) ولا يحض على طعام المسكين(3) فويل للمصلين(4) الذين هم عن صلاتهم ساهون(5) الذين هم يراءون(6) ويمنعون الماعون(7)" الماعون ..

وهنا يسوق تعالى طائفة أخرى من سوء أخلاق هؤلاء حيث لا يصلون الا ليراهم الناس؛ طلبا لرضاهم، والثناء عليهم، وليس لرضى الله تعالى.. كما أنهم اذا أنفقوا يعايرون الناس، ويتيهون عليهم بالصدقات، وهو منهى عنه:

"-ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس" البقرة 262..

ثم تأتى الطامة الكبرى بدخول صفوة المجتمع.. وهم رجال الدين فى رذيلة الاستحواذ بأكل أموال الناس بالباطل :

"-يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل" التوبة 34..

والنتيجة الحتمية لهذا:

"-ويصدون عن سبيل الله" التوبة 34..

يؤدى الجمع إلى النهب، وخداع العباد باسم الدين، فيصد عن سبيل الله من هداية، وارشاد للناس، فهذا الواعظ (وقد دخل وعاظ المسلمين الآن فى زمرةم بجدارة).. الراهب قد اكتسب بطنه، وتشحم، ومن يعظهم يعيشون على الرمق.. فهل يصدقون مواعظه؟!..!

ولو اكتسب بعض التجار ثرواتهم فى خزائهم، وامتنعوا عن اخراجها، واستخدامها فى انتاج السلع الضرورية للمجتمع لشحت هذه السلع فى الأسواق، وارتفعت أسعارها الى جانب اتساع نطاق البطالة، وانتشار موجات الاجرام،

والفتن، والثورات.. وقد حرصت الدول الرأسمالية بالذات على وضع القوانين المانعة للاحتكار، والاكتناز، ومن قبلهم حظر الاسلام هذا الاتجاه:

"-والذين يكتزون الذهب والفضة.."

"-ولا ينفقونها في سبيل الله.."

"-فبشرهم بعذاب أليم.."

ويركز القانون في الآيات على ثلاث كلمات:

"-يكتزون.."

"-ولا ينفقونها.."

"-فبشرهم بعذاب.."

وهؤلاء هم البشرى بالعذاب كما كان لهم البشرى في حياتهم دائما بمصائب الناس من جراء كثرتهم، وعدم انفاقهم..

وقال صلى الله عليه وسلم:

<<-لا يحتكر الا خاطيء..>>

<<-من احتكر حكره يريد بها أن يغلب على المسلمين فهو خاطيء..>>

وعن عمر رضى الله عنه قال:

"-من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام، والافلاس.."

وكان في خلافته رضى الله عنه يشرف بنفسه على الأسواق، ويقول:

"-لاحكرة في سوقنا لا يعمد رجال بأيديهم فضول مال من ذهب الى رزق من

أرزاق الله يتزل بساحتنا فيحتكرونه علينا.."

وعن ابن عمر قال:

"-من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله، وبرىء الله منه.."

وعن معقل بن يسار قال:

"-من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة.."

وقد يشتري المال بسطوته كرسى السلطة؛ كما اشترى معاوية، وابن العاص أعلى مراتب السلطة الاسلامية بخراج مصر، والشام، وأخذوا البيعة لخلافة وراثية في بني أمية، وكانوا أول من أقاموا الدولة الاسلامية على أساس من الحزبية السياسية الشمولية، بدلا من شورى أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى.. كما حاولت ملكة سبأ من قبل شراء سلطاتها، وعرشها من نبي الله سليمان عليه السلام وهي تجر به ان كان نبيا أم ملكا مدعيا:

"-وانى مرسله اليهم بمهدية فناطرة بم يرجع المرسلون" النمل 35..

وكما كان ولاية العثمانيين يفعلون بعد احتلال سليم الأول لدول الوطن العربي من ارسال الهدايا، والأموال للسلطان في الأستانة كى يظل في حكم الولاية مرهقا المحكومين بمزيد من الضرائب، والاتاوات مضيقا عليهم أسباب معيشتهم..

ومن مقال الأستاذ عبد الله نصار في جريدة الجمهورية الصادرة في 19 من أكتوبر 2006 الذى يورد تقرير "منظمة الشفافية الدولية" عن دراسة هامة أجرتها عن الرشاوى، والفساد في الصفقات التجارية، وقامت باستطلاع آراء 11 ألف شركة، وممثليها في 126 بلدا حول العالم..

تقول الدراسة أن شركات دول مثل روسيا، والصين، والهند، والبرازيل تلجأ الى دفع رشاوى للفوز بالصفقات الكبيرة، وكشفت المنظمة عن فضائح، وفساد.. مثل تجاوزات شركة "هاليبرتون" الأمريكية، وحصولها على عقود مشبوهة، وفضائح أخرى مثل ماجرى في برنامج "النفط مقابل الغذاء" للأمم المتحدة في حصار العراق، تضمنت تقديم رشاوى بنحو 1،18 مليار دولار، وتورط 2400 شركة حول العالم في هذه القضية..

وتؤكد المنظمة أن الشركات الدولية لاتستطيع الحصول على المناقصات، أو الصفقات الا بتقديم الرشاوى.. ولكن هناك شركات من السويد، وسويسرا، والنمسا كانت أقل الدول ميلا الى تقديم الرشاوى..

ويكشف التقرير عن السبب الحقيقي للفساد، والافساد في الدول النامية.. وهى الشركات الكبرى، والدول الغنية التى تصدر كل الكوارث الى الدول الفقيرة، والنامية ليس فقط بعدم فتح أسواقها أمام الصادرات من هذه الدول.. بل انها تقدم الرشاوى، والاتاوت لفتح هذه الأسواق بالدول النامية بطرق ملتوية.. حتى تظل السيطرة لهذه الدول على الدول الفقيرة، والنامية ..

وقد نبه تعالى على أثر المال، وخطره على الأفراد، والمجتمعات بصفة عامة:

"-انما أموالكم وأولادكم فتنة" الأنفال 28، التغابن 15..

ويدل على ذلك مارآه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وجد الأنصار فى بلدهم، وبين أهليهم، وأموالهم.. بينما المهاجرون الذين نجوا بدينهم يعانون الغربة، والحاجة، والقلق على ماخلفوه فى مكة من أهل، ومال على الرغم من مآخاة الرسول - كحل مؤقت- بينهم (المهاجرين، والأنصار).. الا أنهم مازالوا فقراء، والأنصار مازالوا أغنياء؛ يزدادون غنا فيشير على الأنصار فى أموال بنى النضير :

<<-ان شئتم قسمت أموال بنى النضير بينكم، وبينهم - المهاجرين - وأقمتم على مواساتهم - مشاركتهم - فى ثماركم، وان شئتم أعطيتها للمهاجرين دونكم، وقطعتهم عنهم ماكنتم تعطوهم من ثماركم ..>>

فرد عليه الأنصار ليؤكدوا صدق إيمانهم، وامتداد كرمهم:

-بل تعطيتهم دوننا، ونقيم على مواساتهم..

فيتزل وحى السماء مصدقا على نظرة الرسول الكريم نحو عدالة توزيع الثروات فى مجتمع المدينة، وبيان أن هذه الثروة التى طرأت عليهم ليست غنائم حرب بذلوا فيها مشقة ركوب الخيل، وتجريد السلاح، والقتال، ونيل الشهادة.. بل هى فى الهى كرزق رده اليهم من الرعب الذى ألقاه فى قلوبهم من هيبه رسول الله:

"-وألقى فى قلوبهم الرعب" الحشر 2..

"-ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير" الحشر 6..

ولا ينبغي تقسيمه بينهم قسمة الغنائم - كما يريدون - فيكون الخمس للرسول، وذوى القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والأخماس الأربعة الأخرى من نصيب المقاتلين كما يحدث في الحروب، والغزوات.. فيقول تعالى:

"-وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولراكب ولكن الله يسלט رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير(6) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب(7) للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون(8) والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون(9) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم(10)" الحشر..

وقد أقرت كقاعدة فى التشريع بين فيها تعالى الفىء، وصفته، وحكمه، ومصارفه:

"-ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل" الحشر 7..

لماذا؟!..!

"- كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم" الحشر 7..

فتعطى كلها للفقراء المستحقين، وليس أدل على ذلك من أن الرسول الكريم لم يقصرها على الفقراء من المهاجرين فقط.. بل ورد فى الخبر أنه أعطى منها أيضا اثنين من الأنصار ذوى حاجة..

و الوسطية، والاعتدال هى التى تميز قواعد الاسلام عامة؛ دون تطرف، ولا تعصب.. فهو ضد الاغراق، والانغلاق، والتسيب، والاسراف، والتكبر، والخيلاء:

"-لايكلف الله نفسا الا ماآتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا" الطلاق 7..

"-والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما" الفرقان 67..

وروى الطبراني عن ثوبان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله عليه وسلم:

-مايكفيني من الدنيا؟..

<<-ماسد جوعك، ووارى عورتك، وان كان لك بيت يظلك فذاك، وان

كانت لك دابة فيخ..>>

فلك من ضرورات الحياة المأكل، والملبس، ولا بأس من امتلاك بيتا، أما الدابة، أو السيارة بلغة العصر، وكمالياته من أجهزة ترفيهية، ومصايف، ومنتجات فهو زيادة في الانفاق، وترف لايجوز في مجتمع يفتقر فيه المسلمون الى المطعم، والمصنع، والمستشفى، أو دار للعلم..

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

<<-كل شيء فضل عن ظل بيت، وكسر خبز، وثوب يوارى عورة ابن آدم؛

فليس لابن آدم فيه حق..>>

<<-يجاء بابن آدم كأنه بذج(ولد الضأن تصغيرا وتحقيرا) فيوقف بين يدي الله،

فيقول تعالى:

-أعطيتك، وخولتک، وأنعمت عليك.. فماذا صنعت؟!..!

فيقول:

-يارب جمعته، وثمرته، فتركته أكثر مما كان فأرجعني آتك به..

فيقول له:

-أين ماقدمت؟!..!

فيقول:

-يارب جمعته، وثمرته، فتركته أكثر مما كان فأرجعني آتك به.. فاذا عبد لم

يقدم خيرا.. فيمضى به الى النار..>>

والعقاب الشديد لمن خان الأمانة التي أعطاها الله له كوكيل، ووسيط له تعالى ليؤتيها الغير؛ فخص بها نفسه دون أصحاب الحق فيها؛ فزاد ترفه، وتنعمه.. وان كان تعالى ليحب أن يرى أثر النعمة على عبده، الا أنه يخشى عليه من زيادتها، وعدم انفاقها فتطغيه، وتفسده، حيث يعلم تعالى فطرته التي فطره عليها:

"- كلا بل لا تكرمون اليقيم(17) ولا تحاضون على طعام المسكين(18) وتأكلون التراث أكلا لما(19) وتحبون المال حبا جما(20)" الفجر ..

"- ان الانسان لربه لكنود(6) وانه لب الخير لشديد(7)" العاديات..

"- كلا ان الانسان ليطغى(6) أن رآه استغنى(7)" العلق..

وهذه الآيات هي التي جعلت صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن عمر لا ينامون الليل قبل أن يخرجوا كل مارزقهم الله من يومهم الى فقراء المسلمين..

والترف، والتنعم من أخطر ما يصاب به الانسان حيث تزيده كبرا، وخيلاء، ومن ثم غرور المال، والفساد، والافساد؛ فلا يأمر بمعروف، ولا ينه عن منكر:

"- واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه وكانوا مجرمين" هود 116..

"- واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" الاسراء 16..

ولذلك:

"- يا بني آدم خذوا زينتكم عن كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" الأعراف 31..

"- من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم" الحديد 11..

"- خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم(103) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم(104)" التوبة..

"-مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" البقرة 261..

"-الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" البقرة 262..

"-يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة" البقرة 254 ..

"-للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم" البقرة 273..

في مجال الانفاق من أجل الحرب، والرباط بالمال، والنفس؛ منع النبي صلى الله عليه وسلم صحابيا من الاشتراك في إحدى الغزوات، وردده على أبويه ليجاهد في رعايتهما..

وفي الانفاق عموما حذف رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا آتاه ببيضة من ذهب يتصدق بها، وهي كل ما يملك لنفسه، وأهله، وهو يقول:

<<يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة.. ثم يقعد يتكفف الناس.. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى..>>

وهو ما أمر به سبحانه في كتابه العزيز:

"-يسألونك ماذا ينفقون قل العفو" البقرة 219..

والعفو هو ما يفضل عن الأهل، ويزيد عن الحاجة..

وقال صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك عندما جاءه يريد أن ينخلع من ماله كله:

<<-أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك..>>

وقال:

<<- من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له.. >>

<<- لا بأس بالغنى لمن اتقى .. >>

- وعن سعد بن أبي وقاص قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: يا رسول الله بلغ بي الوجع ماترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني الا ابنة لى.. أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا، قلت: فالثلثى؟.. قال:

<<- الثلث.. والثلث كثير.. انك ان تذر ورثتك أغنياء؛ خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس.. وانك ان تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله عز، وجل الا أجرت بها؛ حتى ماتجعل في فم امرأتك .. >>

ومن هنا كان مبدأه صلى الله عليه وسلم:

<<- ابدأ بمن تعول.. >>

وهو الزوجة، والأبناء، وقد يكون الأب، والأم، وأقرباء، وغرباء..  
والانفاق نوعان..

أولهما: أحد أركان الاسلام.. وهو مصرف الزكاة..

ثانيهما: مصرف يحبه الله، ورسوله، وهو مصرف الصدقة:

"- خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" التوبة 103 ..

شدد الله تعالى في أمر الزكاة بأسلوب مباشر في خمس وثلاثين آية من القرآن، بينما لا يتجاوز عدد آيات صيام رمضان السبع آيات، وعدد آيات فريضة الحج نحو أحد عشر آية..

وكما في الصلاة - وقد اقترنت غالباً بالزكاة في كثير من الآيات - خلا القرآن الكريم من تحديد قاطع للقدرة المالية الملزمة لمن تجب عليه الزكاة كفرض تعبدى ملزم.. ولم يحدد الحق سبحانه، وتعالى قدر الزكاة، أو نسبتها من المال.. وتركت للرسول صلى الله عليه وسلم كولى أمر المسلمين يستوحى قواعد الزكاة

من واقع الظروف الاقتصادية، والاجتماعية للمسلمين في عصره.. فيمكن للصلاة أن تكون بوحى الهى بحكم رضى الله المشرع عن الشكل الذى يرضى عنه، والهبة التى تليق بعظمتته.. أما الزكاة فقد يكون الجزاء الحسن منه تعالى، والأداء من البشر للبشر فيدخل فيها رسوله تعالى الى البشر بالتقدير، والتشريع.. وانسحب هذا على صحابته الكرام عند تغير الظروف الحياتية، والمالية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا عمر بن الخطاب يخضع الخيل للزكاة، بعد أن كان الرسول يعفى منها أصحابها.. ثم يعدل بعدهم الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان نسبة الزكاة المقررة على الخيل منذ أيام عمر بن الخطاب فى غير ما حرج.. ومن هنا فلا بأس من تحريك أموال الصدقات صعودا، وهبوطا مع ضخامة المال، وقلته ما يرفع عن فقراء المسلمين مذلة الحاجة اذا ولى الأمر ذلك..

ويقدر بعض الاقتصاديين أدنى حصيلة يمكن جمعها وفق احصاءات عالمية عن دخل مسلمى العالم كأفراد فوق حد الكفاف سنة 1984 مبلغا قدره نحو 57 مليار دولار.. تستطيع به أى منظمة ترعى فقراء المسلمين سداد الكثير، والكثير من احتياجاتهم من الغذاء، والكساء، والايواء ..

يقول صلى الله عليه وسلم:

<<-أمرت أن آخذ من أغنيائكم لفقرائكم..>>

<<-أبعوني فى ضعفائكم، انما تنصرون، وترزقون بضعفائكم..>>

<<-يامعاذ أعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم.. فترد

على فقرائهم..>>

-وقال أبو سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أصنافا من المال حتى

رأينا أن لاحق لأحد منا فى فضل..

وهذا يعنى أن حصيلة الزكاة وديعة هبة لدى الأغنياء، وأن أداءها دينا لله على الغنى؛ وقد أسقط أبو حنيفة، والشافعى ملكية الغنى فى قيمة الزكاة فى المال يوم الاستحقاق، وأبطلا تصرفه فيه بالبيع، أو الهبة على أساس أنه باع ما لا يملك..

وعن عائد الزكاة؛ يقول صلى الله عليه وسلم:

<<- من أدى زكاة ماله؛ فقد ذهب عنه شره.. >>

وعن نوعيتها يقول:

<<- ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمان: من عبد الله وحده، وعلم لا اله الا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بما نفسه، رافدة عليه كل عام.. ولم يعط الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشرط اللثيمة، ولكم من وسط أموالكم، فان الله لم يسألكم خبره، ولم يأمركم بشره.. >>

ويعين تعالى وسطية الانفاق:

"-والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما" الفرقان 67 .

زكاة الفطر:

قال الفقهاء في حكمها: هي سنة واجبة، وليست سنة محبة.. حيث أن صوم رمضان معلق القبول حتى تؤدي؛ فقال عنها صلى الله عليه وسلم:

<<- صدقة الفطر طهارة للصائم من اللغو، والرفث، ورفقا بالفقراء في يوم الفطر لاغنائهم بما عن السؤال في هذا اليوم.. >>

الكفارات:

خلق تعالى الانسان حرا، مختارا، وترك له أمر الكفر، والايمان، وتركه أيضا يأخذ من الايمان بقدر طاقته الروحية التي ركبت فيه:

"-ونفس وماسواها(7) فألهمها فجورها وتقواها(8) قد أفلح من زكاها(9) وقد خاب من دساها(10)" الشمس ..

والحر المختار عادة مايقع في الخطأ؛ سهوا، أو عمدا.. وقد أخذ المشرع العصري فكرة العقوبات البدنية، والمالية، والنفسية من التشريع السماوى لكفائه في الردع، والتبصر قبل الوقوع في الخطأ، ثم استفادة المجتمع من العقوبات المالية يجعلها لفقرائه لرفع مستوى معيشتهم باستمرار، وهو ماأسماه الفقهاء بالكفارات استلهاما من لفظ القرآن:

"- لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم" المائدة 89..

"- يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليدوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام" المائدة 95..

"- وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" البقرة 184..

"- وأتموا الحج والعمرة فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أمنتكم فمن تمتع من العمرة الى الحج فما استيسر من الهدى" البقرة 196..

"- والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير (3) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (4)" المجادلة..

وقال صلى الله عليه وسلم:

<<- الصدقة تطفيء المعصية كما يطفىء الماء النار .. >>

الصدقة العامة المنشورة :

يتوهم كثير من المسلمين أن أوجه الانفاق في الاسلام لا تتجاوز الزكاة بنوعيتها: المال، والفطر.. فمن بين سور القرآن 114 ورد في 37 منها تذكير الله تعالى الدائم ببر الفقراء، واستغرق الحديث عن ذلك 97 آية؛ وهذه طائفة منها:

"- انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" التوبة 60 ..

"-ماسلككم في سقر(42) قالوا لم نك من المصلين(43) ولم نطعم المسكين (44)" المدثر..

"-ماأغنى عنى ماليه(28) هلك عنى سلطانية(29) خذوه فغلوله(30) ثم الجحيم صلوه(31) ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه(32) انه كان لا يؤمن بالله العظيم(33) ولا يحض على طعام المسكين(34) فليس له اليوم هاهنا حميم(35) ولا طعام الا من غسلين(36) لا يأكله الا الخاطون (37)" الحاقة ..

"-وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى" الليل 18..

"-ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم وهم أجر كريم" الحديد 18 ..

"-ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم" التغابن 17..

ويأتى عمرو بن الجموح، وهو شيخ كبير، وذو مال عظيم ليتوجه لرسول الله بالسؤال: أين نضع أموالنا؟.. وفيما ننقها؟.. وتزل الآية الكريمة:

"-يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فان الله به عليم" البقرة 215..

وقال صلى الله عليه وسلم:

<<-السخى قريب من الله.. قريب من الناس.. قريب من الجنة.. بعيد عن النار، والبخيل بعيد من الله.. بعيد من الناس.. بعيد من الجنة.. قريب من النار، ولجاهل سخى أحب عند الله تعالى من عابد بخيل..>>

<<-أيما مسلم كسى مسلما ثوبا على عرى.. كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع.. أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلم على ظمأ.. سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم..>>

<<-ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقرائهم، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا، وعروا الا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا، ويعذبهم عذابا أليما..>>

ومن هنا ندرك أن قيام الأغنياء بسد عجز الفقراء وظيفة اقتصادية اجتماعية، وهي ليست مجرد اطعام الجائع، ولكنه أيضا التزام فرضه الله على الأغنياء ليحد من شهوة الأثرة، وحب المال، والاكنتاز، والتضخم، ومن ثم البغى، والفساد، والافساد..

وفي مصر وحدها ثلاثة أمثلة صارخة؛ أولها: أيام الاحتلال البريطاني عندما وجدت مصانع الاستعمار الانجليزي، ومعه حفنة من المرابين المصريين أن تجعل مصر مزرعة للقطن، بعد أن خسرت مزارع القطن الأمريكي بعد الثورة الأمريكية بصرف النظر عن مصلحة البلاد، والعباد طالما أنهم يجنون منه الثراء الفاحش، والنهب المحرم..

وثانيها: ماحدث تحت اسم الانفتاح.. فتحكم في مصر، وسياساتها حفنة من التجار، والمصرفيين، والسماسرة؛ ونهبوا مدخرات البنوك، وأغرقوا البلاد في طوفان من الاستهلاك الرخيص، في الوقت الذي سعوا فيه الى تدمير قلاع الصناعة النامية بها، وتوظيف زراعتها في انتاج الثمار، والمحاصيل التي يعود عليهم تصديرها بالربح الخرافي المهول مثل الفراولة، والكنتالوب.. دون توفير محاصيل رغيف العيش من قمح، وذرة..

وثالثها: عندما قنن النهب، والسرقعة بعد هذه المرحلة ليصبح النهب، والسرقعة حقا مباحا لمن أراد أن يشتري السلطة، والسلطان باسم القانون الذى وضع ليخدم هذه الطائفة، ومصالحها.. التى طغت في البلاد.. فأكثرت فيها الفساد ..

وأشار تقرير البنك الدولى ذو العلاقة الوثيقة بالعاصمة الأمريكية فى مارس 1986 الى أن العالم يعانى التدهور الاقتصادى، والعجز المالى، والمجاعات رغم وفرة الانتاج الغذائى العالمى، وتفوقه على معدل النمو السكانى.. وهذه نتيجة حتمية لعدة أسباب عالمية، ومحلية؛ مثل التفاوت الكبير فى ثروات الدول، والأفراد فى الدولة الواحدة، والهيمنة المالية، والاقتصادية لقلّة من الدول المتقدمة علميا، وصناعيا على غالبية الدول المتخلفة رغم ثراء قدرتها الزراعية، والتعدينية؛ بسبب تواطؤ قلة وطنية رأسمالية، متطلعة الى الاثراء على حساب شعوبها، وافتقارها القاتل الى الغذاء، والعلاج، وقد قرأنا كثيرا عن ملوك القمح الفائض الذى يرقونه فى

أوروبا، وأمريكا، والزبد، واللبن الذي يلقونه في البحار، والمحيطات، والبن الذي يرصفون به الشوارع في البرازيل، واللبن الذي سكبوه بمصر في الترع دون التبرع به، أو بيعه بسعر التكلفة (وهؤلاء مسلمون).. اصرارا منهم على الشراء الفاحش، وحرمان، واذلال المحتاجين شعوبا، وأفرادا.. ونعلم الآن ماتم به أمريكا من أزمة اقتصادية يتنبأ أكثر المتفائلين من الاقتصاديين بأنها بداية النهاية، وتتبعها الآن أوروبا التي جهعا الله في اتحاد، تسقط فيه أكثر من دولة بالانحياز الاقتصادي، والافلاس لتقوم باقي دول الاتحاد لنجددنا حتى تفلس هي الأخرى، ناهيك عن ثورات الشعوب التي تدفع من أموالها، وضرائبها، وجاء الدور على لصوص مصر، وباقي دول البترول، يقول تعالى:

"-ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير" آل عمران 180 ..

نشرت الجمهورية في عددها الاسبوعي الصادر في 15 من فبراير 2007 عن التحقيق الذي يجريه "مكتب مكافحة الاحتيال البريطاني" في لندن عن تورط 2200 شركة في فضيحة دفع رشاوى مالية لنظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين في ظل "برنامج الغذاء مقابل البترول" الذي أشرفت عليه منظمة الأمم المتحدة..

وقد تمت الرشاوى في صورة تضخيم قيمة التعاقدات بنسبة 10 % ، ومن بين الشركات التي شملها التحقيق شركات "جلاسكو سيمشككين"، و"زينيكا وايلي" الكيماوية، وشركة "ماين أند جونسون" للبناء، وهناك توصية بضرورة التحقيق مع عضو البرلمان البريطاني "جورج جلاوى" بتهمة خرق العقوبات المفروضة على العراق بحصوله على أموال بترول من صدام..

وفي دولة الاسلام يوجد المشركون، والكتائبون، وربما أسرى من الأعداء يأبى الله على المسلمين ألا يبخلوا عليهم من فضل الله:

"-لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان يحب المقسطين" الممتحنة 8..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع الأسير الى المسلم قائلا: أحسن اليه..

وإثني تعالى على الأبرار الذين:

"-يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا(7) ويطعمون الطعام على حبه مسكيا ويتيمما وأسيرا(8) انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا(9)" الانسان..

الجزية والعشور والخراج :

الجزية: هي أشبه بضريبة الدفاع، والخدمات الأمنية، والمعيشية، وهي أول ضريبة تصاعدية في العالم تطبق بمقدار 48 درهما على الموسر، 24 درهما على متوسط الدخل، 12 درهما على ماهو دون ذلك، ويعفى منها الفقراء..

العشور: تعتبر كضريبة تعتمد على نسبة العشر لجباية المال، تفرض على حاصلات الزروع، وعمليات البيع، والشراء، وكانت تفرض على الأراضي المملوكة للمسلمين حربا، واقتاعا، واستصلاحا، كما فرضت على الأراضي التي أسلم أهلها، وهم عليها دون حرب، وكذلك فرضت على التجار الأجانب غير المسلمين عند قدومهم الى ديار الاسلام برا، أو بحرا على أن تكون مرة واحدة في السنة حتى لو تكرر قدومه..

الخراج: وفرضت على الأراضي المفتوحة، ولم يوزعها ولى الأمر اقتاعا، او منحة على المسلمين، وفق الوحي الالهي بقسمة غنائم الحرب:

"-واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذی القربى والیتامى والمساکین وابن السبیل" الأنفال 41 ..

تلك الأرض التي اعتبرت في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ملكا عاما للمسلمين، بدأت قصتها بعد فتح العراق، وتفاقت بعد فتح الشام، ثم بلغت الذروة بعد فتح مصر..

ففي العراق طلب الحاربون من سعد بن أبي وقاص أن يقسم بينهم أربعة أخماس الأرض التي فتحوها بسيوفهم اعمالا لنص القرآن، وكذلك طلب الحاربون

من أبو عبيدة بن الجراح في الشام، ثم طلبوا ذلك من عمرو بن العاص بعد فتح مصر، وامتنع الأمراء الثلاثة للجيوش الفاتحة عن تلبية طلب الفاتحين، بتقسيم الأرض عليهم.. ولم يتشاور القادة فيما بينهم، بل اتفقوا أن يردوا الأمر الى الخليفة عمر بن الخطاب ..

ويجمع الفاروق عمر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشاورهم في الأمر.. فيشير عليه عبد الرحمن بن عوف بالتقسيم، فيقول النابغة الحقوقي عمر رضى الله عنه:

- فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت، وورثت عن الآباء، وحيزت؟!.. ما هذا برأى..

ويلحون عليه في التقسيم؛ فيبدى رأيه من وجهة أخرى:

-لست أرى ذلك.. والله لا يفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نيل، بل عسى أن يكون كلا على المسلمين.. فاذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها؛ فما يسد به الثغور؟!.. وما يكون للذرية، والأرامل بهذا البلد، وغيره من أهل الشام، والعراق؟!..!

ويكثر القوم على عمر قائلين:

-أتقف ماغنمناه بأسيفنا على قوم لم يحضروا، ولم يشهدوا، ثم لأبناء أبنائهم ولم يحضروا؟!..!

ويصر عمر قائلاً: هذا رأى..

قالوا: استشر، فيدعوا اليه المهاجرين الأول، فاختلقوا، ويطالب المقتسمين بالحسم قائلين: لتتسع دائرة الشورى ياأمير المؤمنين.. فيرسل الى عشرة من كبار الأنصار، خمسة من الأوس، وخمسة من الخزرج.. فيستشيرهم عمر:

-أني لم أزعجكم الا لتتشاركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم، فاني واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرن بالحق، خافني من خالفني، ووافقني من وافقني.. ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هو هواي، معكم من الله كتاب ينطق بالحق، فو الله لمن كنت نطقت بأمر أريده ماأريد به الا الحق..

قال الأنصار:

-قل نسمع يا أمير المؤمنين..

قال عمر:

-قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم، واني أعوذ بالله أن أرتكب ظلما، لئن كنت ظلمتهم شيئا، وأعطيه غيرهم لقد شقيت، ولكني رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم، وأرضهم، وعلوجهم.. فقسمت ماغنموا من أموال بين أهلها، وأخرجت الخمس؛ فوجهته على وجهه، وقد رأيت ان أحبس الأرضين بعلوجها، وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها.. فتكون فينا للمسلمين المقاتلة، والذرية، ولمن يأتي بعدهم.. رأيتهم هذه الثغور؟.. لا بد لها من رجال يلزمونها.. رأيتهم هذه المدن العظام كالشام، والجزيرة، والكوفة، والبصرة، ومصر؟.. لبد لها من ان تشحن بالجيوش، وادرار العطاء عليهم.. فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرضون، والعلوج؟..!

قال كبار الأنصار:

-الرأى رأيك.. فنعم ماقلت، ورأيت.. ان لم تشحن هذه الثغور، والمدن بالرجال، ويجر عليهم مايتقون به رجع أهل الكفر الى مذهبهم..

ولكن لازال الناس يصرون على التقسيم؛ فلزم عمر الصمت ثلاثة أيام لايتكلم في ذلك.. حتى طلع على الناس معلنا رفضه، وتعليله لهذا الرفض من واقع القرآن، والسنة عن حقيقة الاسلام في شأن المال، والملكية، وحتمية النظر المستقبلي في عدالة توزيع الثروات..

وقد سجل لنا أحد منظري، ومؤرخي الاقتصاد الاسلامي مبدأ الفاروق عمر بن الخطاب المستند الى روح الشريعة الممتدة الى يوم القيامة(وقد أخذ بهذا المبدأ حديثا برنامج الأمم المتحدة للبيئة من حيث توزيع الثروات الطبيعية بين الحاضر، والمستقبل بما يسمى التنمية المستدامة التي تسمح باستخدام الثروات الطبيعية في الوقت الحاضر بما لا يتخطى حق الأجيال القادمة في هذه الثروات، وحتى لا يستفد الجيل الحالى كل الثروات الطبيعية دون الأجيال القادمة):

"-ابن قتيبة وجددت حجة.. قال تعالى في كتابه:

"-وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسלט رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير(6) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب(7) -" وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسלט رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير(6) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب(7).." ثم قال سبحانه:

"-للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون(8).." ثم لم يرض عز، وجل حتى خلط بهم غيرهم فقال:

"-والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون(9).." فهذا فيما بلغنا - والله أعلم - للأنصار خاصة، ثم لم يرض الله حتى خلط بهم غيرهم فقال :

"-والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم(10).." فكانت هذه عامة لمن جاء من بعدهم، فقد صار هذا الفء بين هؤلاء جميعا، فكيف نقسمه هؤلاء، وندع من تخلف بعدهم بغير قسمة؟!..!!

وهنا أجمع المسلمون على رأى عمر الذى كتب لقادته بترك الأرض لملاكها دون تقسيم؛ ليصبح خراجها من أهم مصادر الدخل لجهاز الحكم الاسلامى.. دون النظرة المحدودة، وضيق الأفق، وتقديم المصالح الشخصية على المصالح العامة.. وهو ما أودى بالمسلمين، وحياتهم، ومستقبلهم فيما يعانون منه من الفقر، والهوان فى أنحاء العالم؛ معارضين الحقائق الثابتة:

"-وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها" هود 6..

"-وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم" العنكبوت 60..

"-ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم" الأنعام 151..

"-ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم" الاسراء 31..

ولكن هذا جناه الأغنياء، والقادرين على الفقراء، وغير قادرين.. يشاركهم بعض فقهاء المسلمين من الذين جاروهم في هذه الجناية، بل أفتوهم، وزينوا لهم التمتع بالأموال، والسفه في انفاقها بعيدا عن المحتاجين لهذه الأموال ..  
يقول صلى الله عليه وسلم:

<<-ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا الا بما يصنعه الأغنياء ..>>

وبين اعلان الصدقة، واخفائها فائدة في كل منهما، فقد يؤدي الاعلان الى التنافس بين المنفقين، أو يوصى المنفق زوجته، أو اولاده، أو أحد ذويه في العلن باخراج الصدقة لتعوديهم على الانفاق، واشعارهم بالسعادة التي تنتاب المنفق، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر عائشة بأن تذبح شاة، وقد يكون في السرية ما يرفع الحرج عن المحتاج خاصة ان كان هذا المحتاج مثلا موسرا، ولكنه في ضائقة مؤقتة، وقد يجب المنفق السرية فيما ينفق كأن يعطى الأرملة مثلا، أو احدى قريباته دون اثاره حفيظة زوجته، أو اولاده.. يقول تعالى:

"-ان تبدو الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون بصير" البقرة 271..

"-الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يجزون" البقرة 274 ..

يقول الحديث القدسي عن رب العزة:

{-الفقراء عيالى.. والأغنياء وكلاتي.. فمن منع مالى عن عيالى أذقته نارى،  
ولاأبالي..}

ويقول الرسول الكريم:

<<-أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا.. فقد برئت منهم ذمة الله..>>  
<<-ياأبا ذر: اذا اشتريت لحما، أو طبخت قدرا فأكثر مرقته، واغرف لجارك  
منه..>>

<<-تمادوا.. فان الهدية تذهب حر الصدر..>>

<<-تمادوا.. تحابوا..>>

حق المسلمين في المصادرة والتأميم:

يقول الرسول الكريم:

<<-المسلمون شركاء في ثلاث: الماء، والكأ، والنار.. وثمنه حرام..>>

والماء مفروغ منه، أما الكأ فهو المرعى، ولا تستأثر به جماعة دون الأخرى،  
والنار تسحب الى مواد الطاقة في العصر الحديث من بترول، وكهرباء، وفتح، عدا  
الطاقة الشمسية التي أعطاها الله كاملة للمسلمين هي ومصادر الطاقة الأخرى،  
فاستفاد بها غير المسلمين، حتى أنهم يفرضون عليهم اقامة مشاريع الطاقة الشمسية  
في أراضيهم التي حباها الله بالضيء طول العام بحجة أن الشمس لكل البشر..

وقد تنزل كارثة ببلد كالجفاف مثلا.. فيضطر أهله الى مصادرة جميع ماتحت  
يد الأغنياء من تجار، وأمراء، وغيرهم من مال، أو طعام، وخلافه بمهدف اعادة  
توزيعها على الناس بالتساوى لحفظ حياتهم دون الاحتكار، وارتفاع الأسعار،  
وأخطار السطوة الباغية لشهوة الأثرة، والاستحواذ..

وقد يضطر الناس الى الاستفادة بأرض، أو منجم، أو مصنع بسبب جهل، أو  
انشغال، أو تربص بغرض الاثراء من خلال الحبس، والاحتكار بترع الملكية  
الخاصة، وتعويض صاحبها التعويض المناسب، وتوجيهها نحو الملكية العامة بما يسمى  
الآن بالقطاع العام لفائدة المجتمع من هذه الأرض، أو المنجم، أو المصنع.. وذلك  
بناء على القاعدة القرآنية:

"-كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم" الحشر 7..

والقاعدة النبوية:

<<-لا ضرر ولا ضرار في الاسلام..>>

جىء لرسول الله بسارق ليقيم عليه الحد، وقد بدا عليه الجوع، وهزال الجسم، واذ حاوره النبي فيم سرق؟!.. تبين أنه كان جائعا لم يذق الطعام لأيام، فقال صلى الله عليه وسلم:

<<-لا قطع في مجاعة مضطر..>>

<<-كل المسلم على المسلم حرام.. دمه، وماله، وعرضه..>>

وكتب الخليفة عمر لأحد عماله يقول في جائع سرق من بيت المال:

"-ليس عليه قطع.. له فيه نصيب.."

وروى في سيرة عمر الخليفة أنه ألزم أهل ماء دية رجل استسقاها فمنعوه حتى مات عطشا.. فقد قتلوا نفسا زكية بغير حق، فليس لأحد حق في ماء الله ليسقى، أو يمنع..

وقال لقوم اشتكوا اليه أعرابا في الصحراء لم يعطوهم دلوًا، ولارشاء، ولم يدلوهم على الماء:

"-ألا وضعت فيهم السلاح..!"

ولكن الاستثناء أن الشعب هو الذى يؤمم، ويصادر للمجموع، وليس لفرد بعينه.. فهي مصلحة مرسلّة مطلقّة لعموم المجتمع.. فالمال مال الله، والناس بلا استثناء مستخلفين عليه، وأيديهم عليه أيد مؤقّنة مهما توارثوا شراء الفتاوى الضالّة، والمضلة، والتي أفسدت جمال العهود الاسلامية، وجعلت من بعض المسلمين مثلاً سيّئة صدت الناس عن سبيل الله.. رغم ميراثهم القيم من أحكام خلفاء رسول الله الراشدين، وغيرهم على المال العام الذى يخص كافة المسلمين.. فعندما علم عمر بن الخطاب أن الصحابي بلال بن الحارث المزني لا يقوم بزراعة كل الأرض التي أقطعها له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستدعاه اليه، وبادره قائلاً:

-أراك لا تطبق ما في يدك..

-أجل يا أمير المؤمنين..

-أنظر ماقويت عليه منها فأمسكه، وما لم تطق، وتقو عليه.. فادفعه الينا نقسمه  
بين المسلمين..

-لأفعل والله..

-والله لتفعلن ..

عطل بلال حق المجتمع في أرض لا ينتفع بها، ولا ينفع بها غيره، فوجب نزعها  
من أجل الجموع الذي لا يجد مثلها، وعمر أمير المؤمنين جميعا يشعر شعورا حارا  
بمسؤوليته عن هذا الجموع الذي يسهر على مصالحه، والتوسعة عليه، وفي النهاية -  
بحسه الاقتصادي، والديني- هو مال معطل لا يستفيد منه صاحبه، ومن ثم فسوف  
لا يستفيد بيت المال من خراجها أيضا..

وبدأ به في تفقد أحوال الرعية يعلم من مصادره أن كبار الملاك ترعى  
خيولهم، وقطعانهم وحدها فيما يملكون من شاسع أراضي المرعى دون أنعام صغار  
الملاك، فيبعث برسالة الى عامله على "الربذة" يقول فيها:

"-يا هني (اسم عامله) أضمم جناحك على الناس، واتق دعوة المظلوم فانها مجابة،  
وأدخل رب العديمة (صاحب القطيع الصغير من الابل)، والغنيمة (قطع الغنم)،  
ودعني من نعم عثمان، ونعم ابن عوف فانهما ان هلكتا ماشيتهما رجعا الى نخل،  
وزرع.."

وعندما عاتبه صحابي من بني ثعلبة أجابه بلسان الحق القوي، فقد ولاه الله  
من أجل هؤلاء الضعفاء، وهو يعمل لهم، ومن أجلهم:

"-الضعيف أولى بحماية ولي الأمر.."

وبهذا يصبح عمر بن الخطاب المصدر الرئيسي للتشريع الاقتصادي في العالم  
منذ 14 قرنا من الزمان، فهو بذلك يضع المجتمعات أمام مسؤوليتها نحو إعادة النظر  
باستمرار في دخول الأفراد، وتطور طوائفه المختلفة صعودا، وهبوطا، والا أصيب  
بفوضى الاحتكار، وتكدس الثروات، ثم الفساد، والفتن التي تؤدي الى الانهيار  
المادي، والأخلاقي للمجتمع ككل.. وفي هذا يقول:

"-مامن أحد الا وله في هذا المال حق.. الرجل، وحاجته.. والرجل،  
وبلاؤه.."

وقد أباح الامام الفقيه "العز بن عبد السلام" للقائد "سيف الدين قطز" مهاجمة قصور المماليك عندما دقت طبول الحرب مع التتار، واستجدى منهم المال، والحلى لتجهيز الجيش، فخلعوا، وانكروا مالديهم من نعمة، وقد طبقت هذا المبدأ عدة ولايات أمريكية في العصر الحديث كضرائب تصاعدية على الحلى، والتحف، واللوحات، والتمائيل لمشاهير الفنانين التي يقتنيها، ويكثرها أصحاب الملايين، وهذه الضرائب أقل ماكان يمكن أن تنتجه قيمة هذه المقتنيات الباهظة لو استثمرت في مشروعات انتاجية تعود بالفع على العاملين فيها، وسائر أفراد المجتمع، وهو ماحرصت عليه أغنى دول العالم، وأكثرها التزاما بالملكية الفردية، وحرية حركة رأس المال لمواجهة مابالنفس البشرية من نوازع الأثرة، والاستحواذ دون صالح المجتمع، وأمانه، وسلامه الاجتماعي ..

عمر وادارة الأزمات الاقتصادية (عام الرمادة):

وكان الله قد ابتلى يثرب، وكل بلاد الحجاز، ونجد، وقهامة بجذب شديد اتصل لنحو تسعة أشهر، أهلك الزرع، والضرع، بعد أن جفت الآبار، وامتنع الماء في أعقاب الثامن عشر من الهجرة، وفي ولاية عمر ليتعلم الناس - حتى قيام الساعة - من هذا الفكر العملاق كيفية مواجهة الأزمات القاتلة، وكيفية ادارتها، واجتيازها، والعبور بالناس الى بر الأمان، بأقل الخسائر من الأنفس، والممتلكات..

ماهى الاجراءات التي اتخذها هذا المسؤول مرهف الحس، والشعور بما حمله من أمانة، وعلى وجه السرعة، وبنفسه؛ دون النظر الى وضعه الاجتماعي فقائد، وأمير.. فيحمل الدقيق، والسكر، والزيت لبيوت المسلمين.. بعد أن بعث لولاته على الشام، ومصر، وفارس، والعراق يستغيثهم بما هو أكثر من حق بيت المال من زكاة، وخراج، وعشور، وصدقات.. مستندا الى الآية:

"-وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والساثلين  
وفي الرقاب" البقرة 177..

كما عمد الى النص القرآني يستلهم منه المحرمات، وخصصها، ومن المحرمات الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وخصصتها:

"-فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان الله غفور رحيم" النحل 115..

وعندما تأخرت عليه قوافل الأمصار راح يقدح ذهنه فيما يتخذ من اجراءات أكثر من ذلك كي يخفف عن الناس وطأة الأزمة، فيطلع عليهم ليلغي حدود ملكية الطعام مهما قل، فتلك ظروف تحتم على كل فرد من المجتمع اقتسام اللقمة فلا يأكل منها حتى يشبع، وجاره جوعان لايجد اللقمة.. فيقول:

"-لو لم أجد للناس مايسعهم الا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم.. فيقاسمونيهم أنصاف بطونهم.. حتى يأتي الله بالحياة فقلت.. فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.."

"-ننطم ماوجدنا من الطعام.. فاذا لم نجد أدخلنا على أهل كل بيت عدتهم.. فشاركوهم في طعامهم.. فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.."

وجادله بعض المسلمين في انتزاع كسرة الخبز من الفم حتى تقسم على فمين.. فيقول:

"-الغنى اليوم من مازال في يده ليوم واحد كسرة خبز واحدة، ونصفها يسد حاجته يوما.. ومازاد عن الحاجة يصير فضلا يجب أن يخرج هذا الغنى الى الفقير.."

وهو في هذا يستلهم قول الرسول المعلم:

<<-من كان عنده طعام اثنين.. فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة.. فليذهب بخامس، أو سادس..>>

هذا هو عمر الخليفة يأولياء أمور المسلمين.. الذي كان لا يأكل في بيته عام الرمادة، فيخرج بما يأكل الى الناس حتى يشاركوه طعامه فيخفف عنهم، وليرى الناس أن خليفتهم لا يخص نفسه بشيء لايجدونه..

الربا:

وعن الربا، وفوائد الديون القاتلة.. يتحدث الأستاذ محسن محمد في الجمهورية الصادرة في الرابع من أغسطس 2005 عن رجل من الاسكندرية باع هو، واخوته كل مايملكون لانشاء مصنع للنسيج ينتج قماشا للتنجيد.. يكاد يشبه ماتصنعه ايطاليا؛ وذلك عام 1982.. يحتوى المصنع على 3 ماكينات نسيج ايطالية، ويعمل به 16 عاملا.. ولأنه يهوى هذا العمل فانه يتابع تطوره في العالم.. فوجد ان الألمان قد سبقوا الايطاليين في هذا المضمار.. فقرر شراء ماكينة المانية، وعندما وجد مالديه من سيولة مالية لايكفى لشراء الماكينة.. اتجه الى الاقتراض من بنك التنمية الصناعية، في وقت كانت فيه البنوك تبحث عن مقترضين.. فأقرضه البنك 330 ألف جنيه عام 1991 معطيا اياه فترة سماح سنة يبدأ بعدها دفع الأقساط ..

تتدخل الحكومة في تلك الأثناء لتضعف ضريبة المبيعات الى 17 % .. ورغم استيراده الماكينة قبل فرض الضريبة الا أنهم أصروا على تحصيل الضريبة.. ثم تجد أحداث تزيد من أعباء الرجل بقيام حرب الخليج، وماتبعه من كساد سوق التريكو، وتبدأ المأساة مع البنك.. قام الرجل بسداد 294 ألف جنيه من أصل المبلغ، وبقي عليه 36 ألف جنيه عجز عن سدادها.. فطلب مهلة من البنك حين تحسن الأحوال الاقتصادية، وقبل البنك بشرط أن يوقع شيكات بالمبلغ، وفوائده.. وعندما لم يقيم بسدادها في وقتها.. تقدم البنك الى النيابة التي أمرت بالقبض عليه.. ليضطر هو للاختفاء.. فتسوء حالة المنصع، وتتضاعف الفوائد، وغرامات التأخير.. حتى صار المبلغ البسيط (36 ألف) مليوني جنيه.. توسل اليهم من محبته عن طريق الوسطاء ليعتبروه متعثرا مثل رجال الأعمال الكبار، وتخفيض الفوائد.. ووافق البنك بشرط بيع الماكينات الأربعة مقابل سداد الدين، وحتى لايسجن يبع الماكينات، مع المصنع بمبلغ 415 ألف جنيه.. أخذها البنك مقابل دينا قدره 36 ألف جنيه.. أفلس الرجل.. أغلق المصنع.. شرد 16 عاملا.. ضاعت 16 أسرة.. والسبب فوائد البنوك التي وضعنا فيها مدراء من أذئاب اليهود المرابين؛ الذين يتقاضون الملايين بزعم أنهم خبراء، وماهم الا خبراء تخريب الاقتصاد الواعد الذى نجحت فيه دولا كثيرة مثل الهند، والصين لاهتمامها بالمصانع الصغيرة المنتشرة في البيوت، والقرى ..

ويعلق الكاتب بقصة مماثلة من بريطانيا عندما تقدم زوجان لاقتراض مبلغ **5750** جنيهها استرلينا من أحد البنوك، وعندما تأخر في السداد تضاعف المبلغ الى **384000** جنيهها خلال **15** سنة بالفوائد، واصر البنك على تحصيل هذا المبلغ الذى يصل **30** ضعفا من أصل الدين.. ولكن القضاء أنصف الزوجين باعفائهما من سداد هذا المبلغ الكبير، كما أيدت محكمة الاستئناف في لندن الحكم، وحرصت الزوجين على دفع هذه الفوائد المبالغ فيها.. فدفع البنك بوجود اتفاق وصفته المحكمة بأنه اتفاق غير محترم اذا كان بهذا الاستغلال.. هذا في لندن.. فهل نحن منتهون؟ ..

تلك هي البنوك يا حكماء المسلمين.. ذلك هو الربا، والظلم .. الذى يدمر، ولايعمر، وقد رفضته المحكمة في البلاد التى فرضته على المسلمين، واستمراة المسلمون.. ويقع الحكم في ذلك بغير نصوص محددة في الشريعة.. فهو من باب المصالح المرسله، ومن الممكن احتسابه من باب جور البنوك، والقائمين عليها من استغلال حاجات الناس، وعلى الدولة التدخل للحد من سطوة هذه البنوك، والقائمين عليها لمصلحة الناس، واقتصاد البلاد..

الفتن.. وأشراط يوم الدين(\*)

حديث عبد الله بن عمر المشهور رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم :

"-تقاتلكم اليهود.. فتسلطون عليهم؛ ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله.."

واعجاز الحديث في كلماته المرتبة ؛ فيقول: "تقاتلكم اليهود" .. فقد جاءوا الى فلسطين لقتال المسلمين.. تصديقا لقوله تعالى :

"-وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقيفا" الاسراء 104 ..

فلما جاءوا لم يضيعوا وقتا.. أعلنوا دولتهم سنة 1948.. ودخلوا "سيناء" مهاجمين "مصر" في غضون 8 سنوات سنة 1956 بعد خروج "الانجليز" منها الذين تنازلوا لهم عن "فلسطين" التى وعدوهم بها من قبل(وعد بلفور 1917)

ليعلنوا دولتهم بدعم أوروبي - أمريكي.. ثم كرروا الاعتداء بعد 11 عاما في 1967 ليس على مصر وحدها هذه المرة.. بل تخطتها الى "سوريا"، و"الأردن" في وقت واحد.. فتسلطنا عليهم بعد 6 سنوات في 1973.. وقد أخذ منا مدى "الفاء التعقيبية" ست سنوات في الاعداد، والتجهيز.. وقد تأخذ "ثم" وقتنا أطول قليلا لاجلاتهم، أو اذلالهم؛ واخراجهم من المسجد الأقصى عندما يهاجر المسلمون الى دينهم مرة أخرى بعد التيه، والشتات الطويل الذى فرض على بنى اسرائيل من قبل عندما تخاذلوا، وجبنوا عن دخول هذه الأرض المقدسة.. وذلك بعد أن تصفو قلوب المسلمين بعد توحدهم، وتخلصهم من أطماع الدنيا، والتنافس عليها ليستطوعوا سماع النداء (نداء الحجر).. بمعنى أن الله سيسخر لهم قوى الطبيعة في هذه الحرب.. مع بقاء بعض بنى اسرائيل في فلسطين بعد هذه الحرب كما تتحدث الآيات:

"-عسى ربكم أن يرحكم وان عدتم عدنا" الاسراء 8..

ولنا وقفة عند أحاديث الدجال التى قال عنها الامام النووى نقلا عن القاضى: هذه الأحاديث فى قصة الدجال حجة، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى.. من احياء الميت الذى يقتله.. ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب معه، وجنته، وناره، وهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت.. فيقع كل ذلك بقدره الله تعالى، ومشيتته؛ ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل، ولا غيره، ويبطل أمره.. ويقتله عيسى عليه السلام.. وما أرى الا أن عصره قد بدأ بفتنة الاستعمار الغربى للمسلمين منذ قرنين من الزمان.. وحتى الآن.. فهم يفعلون كما يفعل.. وأفعالهم تفتن المسلمين عن دينهم؛ رغم علمهم بأنهم كفار.. فسوف لا يظهر هذا الدجال الا منهم، ولم يرددهم عن فتنتهم الا عيسى عليه السلام الذى يدعون الايمان به حتى أنهم يؤهونه، وسيبدأ عليه السلام بقتل هذا الذى يمثلهم وهو المسيح الدجال.. وربما جعل الله تعالى هذا الشرف لعيسى عليه السلام ليس لأنه رفع، فقد رفع الله ادريس عليه السلام قبله:

"-واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (56) ورفعناه مكانا عليا

(57) "مريم..

ولكنه - عيسى عليه السلام - قام يوما ما بمعجزات من هذا القبيل:

"- اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهينة الطير باذن فتنفخ فيها فتكون طيرا باذن وتبرئ الاكمه والابرص باذن واذ تخرج الموتى باذن" آل عمران 110..

وقد أجرى تعالى هذه المعجزات على يد عيسى عليه السلام مؤيدا بثلاث:

1. روح القدس (جبريل عليه السلام)..

2. العلم..

3. الاذن من الله تعالى ..

وسوف لا يكون المسيح الدجال مؤيدا بهذه الثلاث، ولذا سمي دجالا..

وهناك اجتهادات قيمة يجب أخذها في الاعتبار لبعض الباحثين (1) المعاصرين تدل على النظر الناقد، والعميق في النصوص الواردة، ومطابقتها للواقع المعاصر:

فقد قسم علماء السلف الصالح علامات الساعة إلى قسمين:

علامات صغرى، وعلامات كبرى.. والعلامات الصغرى كثيرة جدا منتشرة في كتب الصحاح؛ ومنها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: (إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويكثر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتي يكون خمسين امرأة القيم الواحد). [رواه البخاري].

يقول العلم: يقصد به العلم الديني الحقيقي.

ويقل الرجال، ويكثر النساء: من جراء الحروب العالمية التي حدثت بين أقوام يأجوج، ومأجوج في أوروبا، وآسيا منذ خمسين عاما، حيث قضت علي الملايين من الرجال (2).

عن أنس أيضا أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (من أشرط الساعة أن يتباهي الناس في المساجد) أي يتباهون في عمارتها، ونقشها، وتزويقها، كما يحدث اليوم..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما النبي صلي الله عليه وسلم يحدث إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ قال: (إذا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة). [ رواه البخاري.. ]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يمر بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه). (رواه البخاري). وذلك بسبب تكاليف الحياة، والمعيشة وتعقيداتها.. انطلاقا من كون الرجل هو رب الأسرة، والمسؤول عن الانفاق عليها، ورعايتها، وبسبب الفتن الدنيوية التي تشد الناس إليها بقوة..

عن زياد بن لبيد رضي الله عنه قال: ذكر النبي صلي الله عليه وسلم شيئا فقال: (ذاك عند أوان ذهاب العلم، قلت: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا إلي يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأراك من أفقه رجال المدينة، أوليس اليهود، والنصارى يقرأون التوراة والأنجيل، لا يعملون بشئ مما فيه(3).. (ابن ماجة - كتاب الفتن)..

في ابن ماجه، والحاكم عن أبي أمامة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قوله عن الدجال: (يصيب الناس في زمنه جفاف، فقيل يا رسول الله فمما يعيش الناس إذا كان ذلك؟ قال: التسبيح، والتكبير، مجري ذلك منهم مجري الطعام)..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (يحشر الناس علي ثلاث طرق: راغبين، وراهبين، أثنان علي بعير، وثلاثة علي بعير، وأربعة علي بعير، وعشرة علي بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقييل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا)..

ألفاظ هذا الحديث الشريف تتعلق بأمرين :

الأول اختراع وسائل نقل تتسع لأكثر من راكب واحد، وتكون بديلا عن وسائل النقل المعروفة قديما.. كالجمل، والخيول، وفي هذا تأكيد لحديث رسول الله

صلي الله عليه وسلم: (ليتركن القلاص، فلا يسعى إليها) أي الجمال فلا يستعملنها..

والأمر الثاني يتعلق باختراع الكهرباء.. لأن الكهرباء شكل من أشكال النار(الطاقة)، وهي التي يجتمع عليها الناس في منازلهم، وأماكن عملهم بالليل والنهار.. كما نشاهد اليوم، ومما جاء في علامات الساعة أيضا حديث: >>تشبهت النساء بالرجال، والرجال بالنساء<<.. وأن الدول الحديثة تستعين بأعداد كبيرة من النساء الى جانب الرجال في أعمال الشرطة، والأمن من أجل استتباب الأمان في بلادها كما نري اليوم..

وأما العلامات الكبرى فهي:

عن حذيفة الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلي الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال:(ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسي بن مريم، وأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلي محشرهم).. (رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه..)

فالدخان هو إشارة إلي ظهور صناعات جديدة، ومعامل كبيرة ينطلق من أبراجها الدخان بكثرة، وكذلك ظهور اختراعات حديثة تعتمد أساسا في تشغيلها علي مواد قابلة للأشتعال كالبترول، والفحم الحجري ينتج عن احتراقها الدخان أيضا، ويشير أيضا إلي عدم جدوى الأسلحة القديمة في الحرب، والقتال، واختراع أسلحة جديدة ينتج عنها الدخان، وآخر هذه الاسلحة الفتاكة القنابل الذرية، فالدخان هو ميزة هذا العصر فلذلك يمكن تسميته عصر الدخان..

والدابة: هي وسائط النقل الحديثة كالتائرات، والقطارات، والسيارات، والبواخر التي حلت بديلا عن وسائل النقل القديمة.. مصداقا لقوله تعالي في سورة التكوير:

"-وإذا العشار عطلت" التكوير 4..

أي استغناء الناس عن الجمال، وغيرها من الحيوانات في ركوبهم، وسفرهم، وتنقلاتهم، واستبدالها بمخترعات حديثة أقوى، وأسرع كما يقول تعالي:

"-وخلقنا لهم من مثله ما يركبون" يس 42..

ثم نصل الى حقيقة المسيح الدجال.. والدجال هو ما يسمى اليوم بالاستعمار، أو الرجل الأبيض كما ذهب بعض الباحثين المعاصرين(1)..

عن نعيم والحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال في فتنة الدجال)انما أحدثكم هذا لتعقلوه، وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه، فاعملوا عليه، وحدثوا من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر فانه من أشد الفتن(4)).

وروي عمران بن حصين رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:(ما بين خلق آدم إلي قيام الساعة خلق أكبر من الدجال) صحيح مسلم..

وعن سفينة مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: [ ألا لم يكن نبي قبلي إلا قد حذر الدجال أمته].. لهذا كان اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر شديدا لدرجة أن أكثرهم اعتقد أنه سيرى الدجال في حياة النبي صلي الله عليه وسلم، أو في زمن أصحابه الخلفاء الراشدين من بعده..

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فانصرفنا من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم رحنا إليه فعرف ذلك فينا فقال:( ما شأنكم؟.. فقلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفي عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي علي كل مسلم، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا ، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما ليته في الأرض؟ فقال أربعون يوما، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، فقلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا.. اقدروا له

قدره ، قلنا: يارسل الله وما اسرعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي علي القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذري، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون محلين ليس بأيدهم شئ من أموالهم، ويمر بالخرية فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا شابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتي رمية العرض ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ..)

فاذا درسنا هذا الحديث الشريف دراسة موضوعية نخرج بالنتائج التالية:

أولاً: كل من استمع الى هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أن الدجال قريب منهم يسكن بساكن النخيل في المدينة المنورة، وذلك بسبب الشروح الكثيرة التي ضمنها الرسول صلى الله عليه وسلم أوصاف الدجال، وأحواله، واقتراب موعد ظهوره، وخروجه..

ثانياً: عند ظهور الدجال، وخروجه، وحلوله في بلاد المسلمين، سينشأ بينه وبين المسلمين جدال، ونقاش حول أمر يدعو له ويعمل من أجله بقوة.. لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ( إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم..)

ثالثاً: يصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه شاب ققط أى شعره أجمع رجوعة مكروهة، وعينه اليمنى طافئة، أو طافية، أو مسوحة.. أى ذهب نورها..

رابعاً: أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم حين مشاهدته، وادراكه أن نقرأ عليه فواتح سورة الكهف(كما أشرنا من قبل).. وفواتح سورة الكهف هي:

"-وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً(4) ما هم به علم ولا لأبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا(5).."

كى يعلم الدجال صدق القرآن الجيد في معلوماته، واخباره الغيبية التي تتعلق بمستقبل البشرية، والمتعلقة أيضاً بحقائق خروج المسيح الدجال، ونهايته.

خامساً: يخبرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: أن الدجال حين يخرج من مكمنه يتزل في بلاد الشام، والعراق؛ أى يغزوها، ويحتلها وهذا ما حدث بعد

الحرب العالمية الأولى حين زحفت جحافل الغرب على البلاد العربية في المشرق،  
والمغرب(5)..)

سادساً: يصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم سرعة الدجال في سفره،  
وانتقاله بأنها تعادل سرعة الريح.. وهذا الوصف اشارة الى استعماله وسائل نقل  
سريعة، وقوية يستغنى بها عن وسائل النقل القديمة المعروفة..

سابعاً: ويصفه أيضاً أن لديه امكانيات، ووسائل تمكنه من انزال المطر، وزراعة  
الأرض زراعة جيدة، وانبات محاصيل ذات مواصفات جيدة أيضاً، وأنه نتيجة  
اعتماده على وسائل متطورة، ومتقدمة في مجالات الري، والزراعة، وتربية  
الحيوانات الداجنة سينعم بخيرات لا حدود لها، وهذا الأمر ذكر في روايات أخرى  
بأن الدجال حينما يخرج؛ يخرج معه جبال من خبز، وجبال من فواكه، وجبال من  
الخضرة، وجبال من ثريد، أى تتبعه خيرات الأرض يتصرف بها حسب أهوائه..

ثامناً: ثم يخبرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: أن البلاد، والشعوب التي  
تقاطعه، وتحالفه، وتقطع صلتها به؛ تهل بلادها فيصبحون ليس بأيديهم شئ من  
أمواتهم، وخيراتهم وهذا اشارة إلى الحصار الإقتصادي الذي يقممه الدجال ضد  
الدول التي تختلف معه بنظام حكمها، وبآرائها السياسية، ومواقفها الدولية ، ولأن  
خيرات الأرض بيديه يتصرف بها حسب أهوائه، وميوله الإستعمارية..

تاسعاً: يعلمنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: أن الدجال لديه امكانيات  
تساعده في استخراج كنوز الأرض، وخيراتها من الذهب، والمعادن الأخرى،  
والبترول.. يقول عليه السلام: ( يمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك) . وأن  
الدجال هو أكثر الناس فائدة من استخراج هذه الكنوز، وأنه يحملها إلى بلاده لينعم  
بخيراتها، ويستفيد وحده منها، وإن هذه الأراضي المليئة بالخيرات، والكنوز تكون  
مهملة من قبل أصحابها الحقيقيين بسبب جهلهم، وتحلفهم العلمي..

عاشراً: ثم يصور لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم صورة حقيقية عن  
تقدم الدجال في مجال الطب.. لدرجة أنه يقوم بإجراء عمليات جراحية يكون  
الإنسان خلالها كالميت تماماً، وبعد انتهاء العملية، ونجاحها يعود الإنسان أكثر

حيوية، وأكثر نشاطاً، وقوة (ثم يدعو رجلاً شاباً، فيضربه بالسيف فيقطعه، ثم يدعو فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك..)

وجاء في حديث تميم الدارى أنه رأى الدجال مقيداً بالسلاسل فى دير، أو كنيسة فى جزيرة، وقال :

(فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلقاً وأشدّه وثاقاً مجموعة يدها إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد). هذه الصورة عن حال الدجال التى صورها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تدل على واقع الدجال قبل خروجه من جزيرته.. حيث أنه يقع تحت تأثير الكنيسة، ومكبل بأغلالها وأنه حينما ينطلق ويخرج يعمل من أجل نشر تعاليمها، وبوحياها..

لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم: (فإن خرج وأنا فيكم فأنا حجيجه)..  
وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً :

(فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف) التى تتضمن انذاراً من الله إلى الدجال ينذره فيه بسوء العاقبة، وتدمير حضارته، ومشيداته العظيمة إذا استمر بدعوته إلى عبادة الله المخلوق عيسى ابن مريم عليه السلام:

"-وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً.."

وفى حديث حذيفة بن أسيد عن الدجال قال:

(-يخرج فى نقص من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين.. فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طى فروة الكيش..)

وهذا الحديث فيه اشارة إلى سوء أحوال المسلمين يوم خروج الدجال من جزيرته، وكنيسته.. وأن الدجال يسيح فى الأرض فلا يترك شبراً منها إلا وصل إليه، وعابنه.. عدا مكة، والمدينة.. فلا يستطيع دخولهما (يرد كل ماء، ومنهل إلا المدينة، ومكة حرمهما الله تعالى عليه) فلا يدخلهما..

وفى حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(-إنه لم يكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإنه مكتوب بين عينيه كافر.. يقرأه كل مؤمن كاتب، أو غير كاتب، وإن من فتنة أن معه جنة، وناراً.. فناره جنة، وجنته ناراً..).

وفي هذا إشارة إلى كمالياته، ومغرباته الدينوية، في حديث حذيفة السابق الذى يوضح كيف أن الدجال يسبح في الأرض من أجل نشر دينه، وعقيدته، والتبشير بهما، لكن هنالك إشارة خفية ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم تتعلق بدراسته السرية لموارد الرزق، وكنوز الأرض، وخيراتها المتواجدة في تلك البلاد التى يزورها، ويقصدها:

(-يرد كل ماء، ومنهل..).

وفي حديث الباهلى رضى الله عنه الذى أكد فيه عظم فتنة الدجال، وأنه لم تكن مثلها فتنة منذ أن خلق الله آدم أول رسول للبشر، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كاتب وغير كاتب، في هذا الحديث الشريف وضح النبي صلى الله عليه وسلم: أنه بالرغم من وضوح كفر الدجال، وبيان خطته بدعوة الناس إلى الإيمان، والإعتقاد بالمسيح على أنه الرب، والإله؛ مع هذا الوضوح في دعوته الباطلة، وأن المسلمين لا يمكن أن ينخدعوا بمثل هذا الكلام.. فالمتعلم، وغير المتعلم منهم يعلم علم اليقين أن دعوة الدجال باطلة، وكفره ظاهر للجميع كأنه مكتوب على جبينه، ومطبوع عليه، مع هذا فقد أكبر النبي صلى الله عليه وسلم فتنة المسيح الدجال، وعظمتها لما يملك الدجال وقتها من الحيل، والألاعيب المموهة.. وكذلك لما يملك من إمكانات، وخيرات، وكنوز، ومخترعات حديثة، وتفوق علمي في كل مجالات الحياة المدنية، والعسكرية مما يساعده على إقناع الشعوب، وكافة الناس بالأخذ بفكره، ومعتقداته، والوقوف إلى جانبه، والإستعانة بعلمه، ونظرياته، ومخترعاته، والاعتماد على مساعداته المادية في كل مجالات الحياة..

من هنا جاء خوف النبي صلى الله عليه وسلم من أن تتأثر أمته بهذه الحضارة المزيفة التى يدعو إليها الدجال، ويعمل من أجلها.. خاصة أنها تكون في تلك الأيام أحوج ما تكون إلى تلك المساعدات، والمخترعات، والتجهيزات المتطورة.. وبجاجة أكبر إلى علومه المتقدمة في كل مجالات الحياة العامة، والخاصة، نظراً لتفككها،

وتراجعها عن ركب الحضارة بسبب انشغالها بتوافه الأمور، وافتقارها إلى علماء حقيقيين في شتى العلوم الدينية، والدينيوية..

ثم يذكر الباهلي رضى الله عنه:

(-أن الدجال يأتي بسبعين ألف من اليهود يحملون أسلحتهم، وسيوفهم..).

وفي هذا الكلام اشارة الى مساعدة الدجال لليهود، واعتمادهم عليه في العودة الى فلسطين - وطنهم المزعوم - واستعمارها.. ولذا يتساءل "حاييم وايزمان(6)" في مذكراته:

"-مأساب حماس الانجليز لمساعدة اليهود في فلسطين؟!.. ويجب أن تدين الانجليز هو الذى ساعدنا في تحقيق آمالنا، لأن الانجليزى المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود الى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الانجليزية أكبر المساعدات في هذه الناحية.."

ولا يخطيء وايزمان اذا قال ان كل مسيحي يؤمن بالكتاب المقدس - وكلهم يؤمنون به بلا شك - عقيدته الأساسية هي ملكية اليهود لفلسطين.. ولم يح الزمن، ولا الأحداث هذا الاعتقاد، ففي العصر الحديث يعلق الدكتور المسيحي الأمريكى "جبرى فالويل(6)" على اتفاقية كامب ديفيد في احدى محاضراته:

"-بالرغم من الآمال الوردية، وغير الواقعية تماما التى أبدتها حكومتنا الأمريكية حول اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر، واسرائيل.. فان هذه الاتفاقية لن تدوم.. ولكن أنا، وأنت نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقى في الشرق الأوسط الى أن يأتى اليوم الذى يجلس فيه الاله المسيح على عرش داود في القدس.."

وماندعوه "الدجال" يقولون عنه "الاله المسيح" .. ملك اليهود، ومانراه هذه الأيام من قيام اسرائيل بتهويد القدس، واتخاذها عاصمة لهم، ومحاوله هدم المسجد الأقصى، بعد محاولات اقتحامه المتكررة لاقامة هيكل سليمان الا تمهيدا لعودة ملكهم الدجال.. أما العرب، والمسلمين فقد لازوا بالفرار من التاريخ، وأصبحوا خارجه تماما..

وقد استغلت السياسة الدولية بقيادة أمريكا التشنجات الدينية الاسلامية(طالبان، وبن لادن) في محاولة لترويض، ومباركة العالم العربي، والاسلامى لصالحها من أجل احتلال أفغانستان، والعراق الاسلاميتين.. في الوقت الذى راحت تشجع فيه نفس التشنجات الدينية داخل مجتمعاتها المسيحية بالنظر الى حالة الدروشة في المجتمع الأمريكى المتمثل في صفوف الانجليكيين، والتصاقهم بالحركة الصهيونية، وبالذولة الاسرائيلية باعتبارها ضرورة تاريخية لعودة ظهور المسيح عليه السلام(7)..

ومن خلال الأحاديث الشريفة التى تضمنت وصف "حمار الدجال" نستخلص منها الآتى:

أولاً: في حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وصف الحمار على الشكل الآتى:

(-تحت الدجال حمار أقمر طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً يتناول السحاب بيمينه ويسبق الشمس إلى مغربها) > كثر العمال >..

في هذا الحديث إشارة واضحة إلى "الطائرة" التى هى من مخترعات الدجال فى آخر الزمان، فلفظ حمار "أقمر" أى لونه "فضى" .. وهذا هو لون الطائرة، و"أذناه الطويلتان" هما "جناحا الطائرة"، وما تبقى من ألفاظ الحديث لا ينطبق إلا على الطائرة، لأنه لا يسبق الشمس إلى مغربها إلا الطائرة.. وقد نوه القرآن الكريم الى الطائرة التى ستكون أداة من أدوات من يكفر بالرحمن ليظهروا بها على الناس:

"-ومعارج عليها يظهرون" الزخرف 33..

ويتحدث القرآن فى آيات أخرى عن تجاوزنا طبقات الجو العليا بهذه الطائرة التى سنشترك معهم فى ركوبها، ولكنه يتعجب من جحود الكافرين لهذه الهبة من الله:

"-لتركن طبقاً عن طبق(19) فما لهم لا يؤمنون(20)" الانشقاق..

ثانياً: وروى أبو نعيم عن أبي حذيفة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(-يصف حمار الدجال: يخوض البحر لا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيبلغ قعره فيخرج الحيتان ما يريد..)

وهذا الحديث يشير إلى اختراع "البواخر العملاقة" منها ما هو مخصص "لصيد الحيتان" بأدوات صيد قوية تغوص في أعماق المحيطات، ومنها ما هو مخصص "لنقل البضائع وشحنها"، وهذا النوع مزود "بروافع آلية" (أوناش) من أجل تحميل البضائع إلى السفينة، وتفريغها منها، والبواخر هي وسيلة النقل التي خرج بها الدجال من جزيرته إلى شتى أنحاء العالم، وقد وصفت بأن صوحتها يصل إلى الخافقين من شدته، ويخرج الدخان من حلقة، ولكل منها غاطس لا يزيد عمقه عن قعر المرسى في الميناء..

ثالثا: الوصف الأخير لحمار الدجال ينطبق على القطارات التي كانت تعتمد في سيرها على الفحم الحجري، وهي وسيلة النقل البرية الأساسية التي كان الدجال يعتمد عليها في تنقلاته البرية الداخلية في البلاد التي وصل إليها واستعمرها، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن هذا الحمار (يأكل الحجارة - أي الفحم الحجري - ويسبقه جبل من الدخان - أي يخرج دخانه الكثيف من مقدمته - ويركب الناس في جوفه - أي بداخله - وليس علي ظهره)، وهذا مصداق قوله تعالي في سورة التكوير:

"-وإذا العشار عطلت" التكوير 4 ..

أي أن في آخر الزمن.. زمن خروج الدجال، وزمن عودة اليهود إلى فلسطين يستغني الانسان عن ركوب، واستعمال الجمال.. بسبب اختراع وسائل نقل أقوى، وأسرع..

نستنتج من ذلك كله أن الدجال بشكل عام هو شعوب أوروبا الغربية، وأمريكا(8).. وبشكل خاص هو سكان الجزر البريطانية الذين خرجوا من بلادهم بعد عصر الاكتشافات الجغرافية الذي بدأه الأمير هنرى ابن ملك البرتغال، وساحوا في الأرض يكتشفونها، ويبحثون عى خيراتها، ويستعمرونها، وقد وزعوا الارساليات التبشيرية في كل أنحاء الأرض لتدعوا الى عبادة المخلوق، ولتشيع أن المسيح ابن الله، وأن لله ولد هو عيسى بن مريم:

"-وقالوا اتخذ الرحمن ولدا(88) لقد جنتم شيئا ادا(89) تكاد السموات  
يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا(90) أن دعوا للرحمن ولدا(91)"  
مريم ..

## الهوامش

(\* ) يوم الدين هو يوم يعز فيه الدين، ويحكم به بين الناس يوم القيامة، فمن  
أشراطه أن يعز دين الله في آخر الدنيا كما عز في أولها.. يعني في أول الخلق..

(1) نذير المرداني في مقال نشره علي موقع الجماعة الأحمديّة الرسمي (2005)  
تحت عنوان "حقيقة المسيح الدجال"، والأحمديّة.. حركة غنوصية محدثة مؤسسها  
ميرزا غلام أحمد قاديان(وقاديان بالهند من أعمال البنجاب) وقد تسمي لهذا

بالقاديانية أيضا؛ وقد عاش فيما بين 1839، 1908.. والغوص في الحركات الدينية (يهودية - مسيحية - إسلام) هي فلسفة صوفية؛ واسم علم علي المذاهب الباطنية غايتها معرفة الله بالحدس.. لا بالعقل، وبالوجد.. لا بالاستدلال، ولكنها تقول ياهين للخير، والشر علي طريقة الأديان الفارسية التي جمعها الاسلاميون تحت أسم الجوسية..

وتقول الأحمديّة بتجسد النبي، والمسيح في القادياني؛ وأن المسيح لم يصلب، ولم يرفع.. ولكنه مات في الظاهر، وخرج من القبر، وهاجر إلي الهند، وقبره في سرى نكر..

(2) وكثرة النساء هنا هي كثرتهم في الحياة العامة، ومشاركتهم الرجال في كل صغيرة، وكبيرة.. مع عزوف الرجال عن ذلك الى حد ما، كما أن الكلام لا يخص المسلمين فقط.. ففري أن الجيوش في إسرائيل، والدول الغربية تضم كثيرا من البنات، والنساء بأعداد كبيرة، وفي مهام قتالية حتي بلغت 40% في إسرائيل، أما القيم الواحد لخمسين امرأة مانجده من أعمادهن الآن علي الشهادات، والوظائف أكثر من اعدادها لتكون أنثي، وأم.. فالحديث للاحصاء العددي فقط، ولسن أزواجا للرجل بالضرورة..

(3) وهو القرآن الآن بالنسبة لنا، فمثلا القرآن يقول ان الشمس تدور حول الأرض لأن الله سخرها للأرض، ولكننا نقول بعكس ما يذكر.. لأن الغرب المسيحي الدجال قال ذلك، ونحن نصدق الغرب دون تفكير.. فلماذا نفكر؟!.. وهم يقومون لنا بهذه المهمة..

(4) قال الباحث في مطلع بحثه: ان الخطأ الشائع بين عامة المسلمين أن ذكر موضوع الساعة، وظهور المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها انما هو ضرب من اضاعة الوقت، والجهد، وانصراف عما هو أهم، لذلك نجد أن من النادر ورود ذكر هذه المواضيع علي السنة علماء اليوم.. ان المطلع علي دراسات علماء المسلمين من السلف الصالح يجد أن مواضيع الساعة كانت بالنسبة اليهم في غاية الأهمية، لدرجة أنهم أفردوا مجلدات خاصة بها، وأمروا أن تعمم، وتدرس لأطفال المسلمين حتى تستوعبها أجيال المسلمين.. كما أن قراءة أخبار

الساعة، وما يتصل بها من مواضيع له بالغ الأثر في تصحيح سلوك الناس، وتحسين أعمالهم، والبعد عن قراءتها، والتفكير فيها ينسى على طول الزمن تلك الحقائق من الأذهان، وتقلصها في النفوس، فيقع الاستبعاد لها، والاستخفاف بها، أو الإنكار لوقوعها ممن لا علم عندهم، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن؛ فيقول: "قولوا اللهم اني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من قنطة الحيا والممات" .. قال مسلم: بلغني أن طاوسا راوى الحديث عن ابن عباس قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ ..

قال: لا ..

قال: أعد صلاتك ..

(5) وما حدث في مطلع هذا القرن الواحد والعشرين من احتلال أمريكا - الاستعمار الجديد - للعراق، وقد قيل في أسباب الاحتلال إيمان جماعة بوش الابن (رئيس أمريكا) الدينية بضرورة انهيار بابل (العراق) من أجل سرعة مجيء المسيح الذي يعتقدون أنه سيأتي من أجلهم حسب نبؤات كتبهم ..

(6) محمد عيسى داود .. "الخيوط الخفية .."

(7) من مقال أحمد عباس صالح في الجمهورية 16 من ديسمبر 2004 ..

(8) وأمريكا الآن صاحبة النظام العالمي الجديد، ثم العولمة بعد ذلك كى تسهل السيطرة على مقدرات، وثروات الشعوب بأسلوب جديد من الاستعمار غير المباشر ..

## الوحي .. وفجر الفلسفة

الفلسفة كلمة يونانية من مقطعين هما "فيلو Philo" بمعنى "حب"، و"صوفيا Sophia" بمعنى "الحكمة"، فتكون الكلمة مجتمعة بمعنى "حب الحكمة" .. **Philosophia** وكان "فيثاغورس" أول من وصف نفسه "بالفيلسوف"، وعرف "الفلاسفة" بأنهم الباحثون عن الحقيقة بتأمل الأشياء، أما أفلاطون فعرف

الفلسفة بأنها علم الواقع الكلى.. فجعلها علما، والعلم مهمته الكشف عن كيفية حدوث الأشياء **The how** ، والفلسفة مجالها البحث عن علل الأشياء **The why** .. فههدف العلم تحصيل العلل القريبة، وهدف الفلسفة هو العلم بالعلل البعيدة، أو العلل الأولى، ثم جاء أرسطو ليجعل الفلسفة تشمل كل المعارف العقلية ابتداء من التشريع الى الميتافيزيقا(مابعد الطبيعة، أو العلويات).. ثم جاء الفلاسفة في العصر الحديث ليميزوا بين الفلسفة الخلقية، والفلسفة الطبيعية، وبين الفلسفة السياسية، والفلسفة الأولى، أو الميتافيزيقا..

وقد تلقى الفلاسفة فكرهم عن الروح من الدين، ومنه تلقوا فكرهم عن بطلان الظواهر المادية، وتعلموا التفرقة بين العقل، والمادة، فتعلموا كيف ينفذون الى ماوراء الحس، ويوغلون في تصفية كنه الموجودات الى أعماق لاتغوص فيها الأجسام، وآفاق لاتدركها الأبصار..

وقد استعاروا من الدين عقائد المؤمنين به في تعليل أصل الكائنات، والتنبيؤ بمصيرها بعد مغادرتها الحياة.. فقالوا ان السماء، والأرض خلقتا من الماء، وقالوا بالدورات الكونية التي تبدىء العالم، وتعيده على طول الدهر، وقالوا بالحساب، والعقاب، وفهموا أن قدرة الله تختلف عن قدرة المادة التي تعمل بالجهد، والعناء، فتعلموا أن الله يخلق يخلق بالكلمة، أو بالمشيئة.. فيفعل مايريد، كما أخذوا أيضا تحريفات الدين، وأوهامه من الكهنة بعد اندثار الدين، وتعاليمه بموت الرسول، والمؤمنين به..

وكانت الفلسفة اليونانية على اتصال بأبناء كل دين قديم من تخوم الهند الى ضفاف النيل، وساعدهم الحظ فخلت بلادهم من الكهانات الراسخة التي تستأثر بالتفكير في مسائل الكون، ومسائل العقيدة.. فالكهانات الراسخة عادة ما تقوم على العروش العريقة في أودية الأنهار الكبار مثل مصر، والعراق، والهند.. فاخترت فلاسفة اليونان فيما أخذوه، واختراروا فيما نبذوه، وتزودوا من رسالة الايمان لرسالة البحث في الحكمة، والعلوم ..

ويرى بعض المؤرخين أن الفلاسفة الاغريق، أو بعضهم اتصل بمصر، وبالكهنة المصريين، وتعرف على كثير من أسرار الكهنوت المصرى المأخوذ عن

الوحي السماوى.. حيث كانت مصر واقعة في دائرة هبوط الوحي، واتصال السماء بالأرض في سيناء المفتوحة على هذه المنطقة الممتدة شمالا من "القدس الشريف".. مدينة السلام الى "مكة".. أم القرى جنوبا، ومن "دجلة"، و"الفرات" شرقا الى "النيل" في مصر غربا.. كما تميزت هذه المنطقة بأنها ملتقى التجارة العالمية، والتي تتلاقى فيها كافة الأجناس البشرية من أنحاء المعمورة، ومن أقدم أسرار هذا الكهنوت الهرمسية.. وهى وجهة النظر التى تطرحها "الكتابات الهرمسية باللغة الاغريقية".. التى تنسب الى من يدعى "هرمس"، والذى قيل انه "كاهن مصرى"، وأنه "نبي"، وقيل هو الاله "تحت المصرى"، واعتبر "جيوردانو برونو".. أشهر فلاسفة ايطاليا في عصر النهضة الفلسفة الهرمسية ديانة.. بل وأصل الديانات جميعها، وترجمها "مارسيليو فيشنو" الفيلسوف الايطالى الذى أحيا الأفلاطونية في عصر النهضة الى اللاتينية، واعتبرها خلاصة الحكمة المصرية، وأصل الافلاطونية، نظرا للتشابه الكبير بينهما ..

بدأ تاريخ الفلسفة في اليونان بمن أطلق عليهم العرب "الحكماء السبعة" من أساطين الحكمة وهم بيدأون "بطاليس"، وينتهون "بأفلاطون".. والاصطلاح الحديث لهذه الطائفة هو "الفلسفة قبل السقراطية **Pre-Socratic** " **philosophy**، ابتداء من طاليس في القرن السادس ق.م. حتى القرن الرابع ق.م.، ويبلغ عددهم أربعة عشر فيلسوفا هم: "طاليس"، و"انكسيمندريس"، و"انكسيمانس" (مدرسة ملطية)، و"هرقليطس" (مدرسة أيونية)، و"فيثاغورس" (المدرسة الفيثاغورية)، و"أكسانوفان"، و"بارمنيدس"، و"زينون"، و"مليوسوس" (المدرسة الايلية)، و"أنبادقليس"، و"ديسوقريطس"، و"أنكساغورس"، و"غرغياس"، وكانوا تلاميذا لبعضهم البعض، فكونوا مدارس، وجاءوا من المراكز اليونانية وأشهرها "ملطية"، و"أفسوس"، و"قولوفون"، و"ساموس" في الشرق، و"ايليا" في الغرب ..

**فطاليس الملطي Miletus Thales of** من ملطية(624 - 550 ق.م).. وهو أول المشهورين من فلاسفة اليونان الملقب "بأبي الحكماء" الذى قال كما قالت الأديان من قبله أن "الماء أصل كل شىء"، وأن الروح تحرك المادة، ووهم أن الأرض سابحة على الماء، وأن الشمس تخرج منه، وتعود اليه:

"-وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما" الكهف 86 ..

وهو القائل:

"-إن للعالم مبدعا لاتدرك صنعته العقول من جهة هويته، ولكنه يدرك من جهة آثاره.."

ويطلق عليه الفيلسوف "الموحد" فيذكر عنه في فلسفته الالهية أنه كان يقول "بأله واحد"؛ وأن هذا الاله مختلف عن الانسان، وأن صفات الله ليست تلك الصفات التي ينسبها الشعراء الى الآلهة؛ والتي هي صفات انسانية خالصة.. فالله لانواقص في ذاته.. حيث لم يلد، ولم يولد، ولا يموت، وليس كالبشر.. يبدأ وجودهم في لحظة.. بل هو موجود منذ الأزل (اللابدائية)..

ويقول ان المبدع الأول هو "الماء".. فالماء قابل لكل صورة؛ ومنه أبدع الجواهر كلها من السماء، والأرض، وما بينهما.. وهو علة كل مبدع.. وعلة كل مركب من العنصر الجسماني، فذكر أن من جمود الماء تكونت الأرض، ومن إنحلاله تكون الهواء، ومن صفوة الهواء تكونت النار، ومن الدخان، والأبخرة تكونت السماء، ومن الاشتعال الحاصل في الأثير تكونت الكواكب.. فدارت حول المركز دوران المسبب علي سببه بالشوق الحاصل إليه ..

وتقول التوراة - احدى كتب الوحي - عن الماء:

"-إن مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى ، ثم نظر إليه نظرة الهيبة.. فذابت أجزاءه.. فصارت ماء، ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات، وظهر علي وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الأرض ثم أرساها بالجبال.."

والماء كان في البدء حيث كان عليه العرش العظيم:

"-وكان عرشه علي الماء" هود 7..

وهو أصل الأحياء:

"-وجعلنا من الماء كل شئ حي" الأنبياء 30..

وعن الدخان والابخرة التي كونت السماء أخبر تعالى:

"-ثم أستوي إلي السماء وهي دخان" فصلت 11..

وجاء من بعده "أنكسماندريس" فقال بخروج الانسان الأول من الماء، وطين البحر..

وحكي عن أنكساغورس (611 - 547 ق.م.) أنه وافق سائر الحكماء في المبدأ الأول.. انه العقل الفعال، غير أنه خالفهم من قوله:

"-إن الأول الحق ساكن غير متحرك.."

ومن ملطية أيضا قال إنكسيمانس (524 - 588) Aneximene ق.م.:).

"-إن الأزلي.. لا أول له، ولا آخر.. فهو مبدأ الأشياء.. ولا بدء له، هو المدرك من خلقه أنه هو فقط، وأنه لا هوية تشبهه، وكل هوية مبدعة منه، هو الواحد ليس كواحد الأعداد، لأن واحد الأعداد يتكرر وهو لا يتكرر.."

أما أبداقليس أو امبذقليس (435 - 495) Empedocles ق.م.) فيقول:

"-هو العلم المحض، وهو الإرادة الخضة، وهو الجود، والعزة، والقدرة، والعدل، والخير، والحق.. لم تنزل هويته فقط.. لا أن هناك قوي مسماة بمذه الأسماء.. بل هي هو، وهو هذه كلها.."

وإذا كانت "مدرسة مليطية" في طليعة جند الحكمة الالهية.. فان آسيا الصغرى، وما حولها أنجبت في الجيل التالي لجيل طاليس طائفة من الفلاسفة هم: "أكسينوفانس"، و"هيرقليطس"، و"فيثاغورث"، و"ديمقريطس"، و"أنكسفوراس"؛ ورسالة أكسينوفانس الكبرى تنحصر في لومه الشديد على كل تشبيه، أو تمثيل توصف به الأرباب.. فحقيقة الاله عنده تنبع من خيال الانسان، فلو تخيل الأثيوبي ربه لتخيله أسود، أفطس على مثاله ..

ويقول فيثاغورث Pythagoras الذى ولد بجزيرة ساموس على مقربة من آسيا الصغرى سنة (570 ق.م.)، وكان مذهبه "نسخة يونانية" من "الديانة الهندية:"

"-واحد ليس كالأحد، ولا يدخل في العدد، ولا يدرك من جهة العقل، ولا من جهة النفس، فلا الفكر العقلي يدركه؛ ولا المنطق النفسي يصفه.. فهو فوق الطبقات الروحانية غير مدرك من نحو ذاته.. وإنما يدرك بآثاره، وصنائه، وأفعاله.."

وأقدم الكائنات عنده أربعة هي: الأب، والصمت، والعقل، والحق، ومن الأولين صدر الاثنان الآخران..

ويأتى أنكسفوراس بعد فيثاغورث في الزمن، والمكانة بين حكماء آسيا الصغرى، وهو الذى عمم كلام هيراكليتوس عن الكلمة **Logos** وسماها **Nous** أى العقل.. واصفا اياه بأنه جوهر خالد، واحد لا يتعدد، وأنه مصدر حركة دوارة، والأثر الأكبر الذى يذكر لهذا الفيلسوف أنه كان أول من نقل الفلسفة من آسيا الصغرى الى "أثينا" فى أيام "بركليس".. حيث كانت أثينا تتنكر للمباحث الفلسفية، وتتهم من يبحثون فيها، وينقطعون عن الشعائر الدينية بالكفر، ولم يسلم أنكسفوراس من تعصب أهلها عندما سنوا قانونا يعاقب كل من يتعرض للأشياء "التي فى العلاء"، ويهجر عبادة الأرباب الأوليمبية، وماجرى مجراها.. فاتهموه بالكفر لأنه كان يقول بأن الشمس صخر محمى، وأن القمر كالأرض من تراب، ولولا بركليس لما نجا من مصير كمصير سقراط بعده بقليل..

وقبل الانتقال الى المدرسة الأثينية الكبرى (سقراط - أفلاطون - أرسطو) نلم بثلاث مدارس فلسفية كانت لها عناية خاصة بمسائل العقيدة الدينية وهى: "مدرسة ايطاليا الجنوبية"، ومدرسة الرواقيين، ومدرسة آبيقور، وبعض فلاسفتها لاحق للمدرسة الأثينية فى الزمان، ويرجع نشاط المدرسة الايطالية أيضا الى مدارس آسيا الصغرى حيث نبغ منهم كثير من أصحاب الآراء الفلسفية أجدرهم: "بارمنيدس"، و"زينون"، و"أنبادقليس"..

ولباب مذهب بارمنيدس أنه لاجود لغير الواحد، وان كل وجود غيره، وكل مانراه من التعدد، والتغير انما هو وهم الحس، وخداع المظاهر، والعالم قديم لم يحدث، والواحد الذى يؤمن به بارمنيد ليس خالقا للكون.. بل هو حقيقة الكون.. ويعتبر زينون الايلى أبرع المدافعين عن مذهب أستاذه بارمنيد..

أما المدرسة الرواقية فقد أوشكت أن تكون نحلة دينية، فقد امتازت بعلم كعلم اللاهوت في المسيحية، أو علم الكلام في الاسلام، وهي لاحقة لمدرسة سقراط، وأفلاطون، وأرسطو في تاريخ الظهور، وأشهر فلاسفتها: "زينون"، و"كليانتاس"، و"شريسبس"، وكلهم متقاربون في تاريخ الميلاد..

فزينون ولد عام 336 ق.م. في قبرص، وعاش، وعلم في أثينا، وخلاصة رأيه أن الله هو العقل الفاعل، والهيولى هي المادة المنفصلة، ويترادف عنده معنى الله، والعقل، والقدر، وزیوس، وقد كان الوجود الواحد منفردا لا شريك له؛ فشاء أن يخلق الدنيا.. فأصبح هواء، وأصبح الهواء ماء، وجرت في الماء مادة الخلق، أو كلمة الخلق **Spermtikos Logos** كما تجرى مادة التوالد من الأحياء، فبرزت منها مبادئ الأشياء وهي النار، والماء، والهواء، والتراب.. ثم برزت الأشياء كلها من هذه المبادئ على التدریج..

وتعريف القدر عند زينون أنه القوة التي تحرك الهيولى، وهي قوة عاقلة؛ لأن مايتصف بالعقل أعظم مما يتجرد منه، ولاشئ أعظم من الكون.. **Cosmos**. فهو عاقل لأنه عظيم، ومع ذلك لم يخلص من اللوثة المادية في تصور الله، ولا في تصور الروح.. فالروح عنده هي جوهر غازي حار، وهي مركبة من النفس.. **Psyche** بمعنى التنفس، ومن العقل.. **Varros** وهو من عنصر الأثير، ومن نقائص المذهب الرواقي أنه يأبى إقامة الهياكل لله لأنها أقل من أن تبلغ مرتقاه..

ولد كليانتاس **Cleanthes** بعد زينون بسنوات لأنه، ولد على الأرجح سنة 331 ق.م.، وكان مولده بآسيا الصغرى، ورأيه أن الله روح يسرى في جميع أجزاء الكون، وأن الروح الانسانية قيس من ذلك الروح، وأن الشمس هي مناط النظام في الكون، لأنها تنشئ الليل، والنهار، وتقلب الفصول، والسنين، وقد كان امام اللاهوتيين بين فلاسفة الرواقيين؛ لأنه أول من أسهب في إقامة الأدلة على وجود الله ..

ومن أسباب الايمان بالله عند كليانتاس أربعة أسباب يخصها بالتنويه وهي الوحي الذي يكشف الغيب، وعظمة الخيرات التي تجود بها الأرض، والسماء، ورهبة النفس أمام أسرار الوجود، وظواهره الرائعة كالبروق، والرعود،

والعواصف، والأهوال، والأوبئة، والصواعق، والبراكين.. وهذا النظام المحكم الذى يبدو للنظر فى حركة الأجسام السماوية، ومواعيد الأفلاك، والبروج؛ مما يرفض العقل حدوثه بالمصادفة، والاتفاق..

وكانت لهذا الفيلسوف صلوات يخاطب بها الله كأحسن ماتكون الصلاة، ولكنه يذكر الله باسم زيوس، كما كان معروفا بين الاغريق..

وولد شريسبس **Chrisppus** ثالث هؤلاء الفلاسفة بعد كليونتناس بنحو خمسين سنة، وكان مولده فى قليقية، ومقر تعليمه فى أثينا، وهو أوفرهم محصولا، وان لم يحفظ من كتبه غير شذرات.. فمن براهينه على وجود الله أن الكون أكبر من أن يخلق للانسان وحده.. فوجوده عبث ان لم يكن هناك اله أكبر من الانسان، ويرد على من يتخذون الشر دليلا على بطلان العناية الالهية فيقول :

"-انه ليس أضل من أولئك الذين يتخيلون أن الخير قابل للوجود بغير وجود الشر معه، لأن الخير، والشر ضدان يستلزم وجود أحدهما وجود الآخر.. فكيف يتأتى للعدل معنى من المعانى بغير الأخطاء، والاساءات؟!.. وماهو العدل ان لم يكن هو منع الظلم؟!.. ويعلل الآلام بأنما عقوبة من الله..

وتأتى مدرسة آبيقور(342 - 270ق.م) فى الموضع الوسط بين مدرسة الرواقين، ومدرسة أثينا الكبرى، ونعنى منها على الخصوص مذهب "أرسطو".. الذى اشتهر بمذهب "المشائين"، ورأس هذه المدرسة هو سقراط **Socrates** الذى ولد بأثينا(469 - 399ق.م).. أستاذ أفلاطون، وأسبق القائلين فى القوم برد العقيدة، والعبادة الى الضمير، ولكنه لم ينصرف الى مباحث ماوراء الطبيعة كانصرافه الى مباحث الأخلاق، والسياسة، وقواعد المعرفة، والثقافة النفسية.. فكان قصارى مآثر عنه من الآراء فى مسائل العقيدة أنه يؤمن بخلود الروح، وسلامتها من الفساد مع الجسد بع الموت، وكان يتكلم عن الآلهة تارة، وعن الاله تارة أخرى.. الا أنه يترها جميعا عن تلك الخلائق البشرية التى تعزى اليها فى قصص الرواة، وأساطير الشعراء، ويؤمن برعايتها للبشر، ولا يرى لانسان عبادة مقبولة اذا خلت من خلوص النية، وصفاء الضمير.. ويقول:

"-إن الباري تعالي لم يزل هوية فقط.. وهو جوهر فقط، وإذا رجعنا إلي حقيقة الوصف، والقول فيه وجدنا المنطق، والعقل قاصرين عن اكتناه وصفه، وحقيقته، وتسميته، وإدراكه.. لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره.. فهو المدرك حقا، والواصف لكل شئ وحقيقته، وتسميته، وإدراكه.. والواصف لكل شئ وصفا، والمسمي لكل موجود اسما.. فكيف يقدر المسمي أن يسميه اسما.. وكيف يقدر اخاط أن يحيط به وصفا؟!.. فنرجع فنصفه من جهة آثاره، وأفعاله، وهي أسماء، وصفات.. إلا أنها ليست من الأسماء الواقعة علي الجوهر المخبرة عن حقيقته، وذلك مثل قولنا إله أي واضع كل شئ، وخالق أي مقدر كل شئ، وعزيز أي ممتنع أن يضام، وحكيم أي محكم أفعاله علي النظام، وكذلك سائر الصفات.."

ومن مذهب سقراط:

"-أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان علي نحو من أنحاء الوجود.. إما متصلة بكلها، وإما متميزة بذواتها، وخواصها.. فاتصلت بالأبدان استكمالاً، واستدامة.. والأبدان قوابلها، وآلاتها.. فتبطل الأبدان، وترجع النفوس إلي كليتها.."

ومن الوحي في القرآن الكريم:

"-وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً" مريم 9..

ومن الأخبار ذات المغزي عن سقراط أنه اقتبس الحكمة من فيثاغورس، واقتصر من أصنافها علي الإلهيات، والأخلاقيات، واشتهر بالزهد، ورياضة النفس، وتمذيب الأخلاق، وأعرض عن ملاذ الدنيا، واعتزل إلي الجبل وأقام في أعلاه، ونهي رؤوسا زمانه عن الشرك، وعبادة الأوثان، فأثاروا عليه الغوغاء، وألحوا إلي ملكهم في قتله، فحبسه الملك ثم سقاه السم..

ولما أعتيل سقراط بالسم، ومات.. قام مقامه أفلاطون الإلهي Plato الذي ترجح ولادته فيما بين (429، 427 ق.م.)، وجلس علي كرسيه، وقد أخذ منه العلم وكذلك من "تيماوس"، وضم إليه العلوم الطبيعية، والرياضية، وتبع سقراط في مباحث الأخلاق، والسياسة، والثقافة النفسية، وتبع فيثاغورس في العقيدة الروحية، ومزج الفلسفة بالرياضة، والدين، ولو لم يكن أفلاطون وثني البيئة لكان

أرفع الالهيين تزيها للوحدانية.. فالوجود في مذهب أفلاطون طبقتان متقابلتان..  
طبقة العقل المطلق، وطبقة المادة الأولية، أو الهبولى .. Hyle ومن أقواله:

"- إن للعالم محدثا مبدعا أزليا واجبا بذاته.. عالما بجميع معلوماته علي نعت  
الأسباب الكلية، كان في الأزل.. ولم يكن في الوجود رسم، ولا ظل.. إلا مثالا  
عنده، ربما يعبر عنه "باهبولى"، وربما يعبر عنه "بالعنصر"، ولعله يشير إلي صور  
المعلومات في علمه.."

ثم جاء أرسطو (322 - 384 Aristotle ق.م.) ليوضح أن المبدأ الأول  
واحد من حيث أن العالم واحد، وأنه واجب الوجود لذاته.. عقل لذاته، وعاقل،  
ومعقول لذاته.. أما انه عقل فلأنه مجرد عن المادة.. مزه عن اللوازم المادية، فلا  
تحتجب ذاته عن ذاته، وأما انه عاقل لذاته، فلأنه مجرد لذاته ، وأما انه معقول لذاته؛  
فلأنه غير محجوب عن ذاته بذاته، أو غيره، وواجب الوجود لا يعتبره تغير وتأثر من  
غيره، وأن واجب الوجود حتي بذاته.. باق بذاته.. أي كامل في أن يكون بالفعل  
مدركا لكل شئ.. نافذ الأمر في كل شئ..

وتوسع أرسطو تلميذ أفلاطون فيما بعد الطبيعة توسعا لم يسبق اليه بين  
الفلاسفة الأوائل، ووضع للجدل معياره الذي سمي بعد ذلك "بعلم المنطق"، وفصل  
بين الحدود.. فبالغ أحيانا في الفصل بينهما، ولكنه أقام القواعد الأولى على أساس  
صحيح، والله عند أرسطو هو العلة الأولى، والمحرك الأول؛ لأن العقل لا يقبل  
التسلسل في الماضي الى غير نهاية، ولا بد لهذا المحرك أن يكون مستغنيا بوجوده عن  
كل موجود، وكل صفة من صفات الله تتعلق به، ولاتليق بغيره، وهي قائمة به،  
ولاتقوم على غيره، ومن هذه الصفات الارادة، والعلم كما تقدم، ومنها الكرم،  
والرحمة، والخير، والعدل، والحكمة، وسائر صفات الكمال.. فالله لا يريد العالم لأنه  
لا يحتاج اليه، ولكن العالم يريد الله، لأنه متوقف عليه..

وهذا هو الخطأ الذي جاء من الغلو في مذهب أرسطو.. تناوله الحكماء  
الدينبيون فلم ينكروا المقدمات، ولكنهم أنكروا النتيجة التي جاءت من المقدمات،  
فقالوا: "ان الله لا يعقل الا أشرف معقول".. نعم لاجدال في ذلك، ولكن أشرف  
معقول هو الذي يتحقق به كمال صفاته من القدرة، والعلم، والرحمة، والجود، وانما

يتحقق جوده بايجاد المخلوقات، ويتحقق علمه بنفى الجهل بها، وتحقق رحمته برعايتها، وتهذيبها.. أما كيف يكون ذلك فالبحت فيه علة الخطأ في جميع تلك الفروض، والأقيسة، لأنه سبحانه، وتعالى جل عن التشبيه.. فليس كمثل شئ، وليست أعمالنا كأعماله على فرض من الفروض..

ومن هنا فان المدرسة الأثينية عرضت على الفهم ماأخذته من ايمان الأولين.. فنقلت البناء من أساس الايمان الى أساس البحث، والقياس، وان موقفها من المادة كان كموقف التسليم بالأمر الواقع..

ومن كبار تلامذة أرسطو "ثيوفراسطوس (371- Theophrastus " 286ق.م.)، ومن كبار أصحابه، وشراحه.. يؤثر عنه:

"-الإلهية لا تتحرك، ومعناها لا تتغير، ولا تتبدل لا في الذات، ولا في سنة الأفعال .."

ومن وافق أرسطو في جميع آرائه "الاسكندر الأفروديسي"، وزاد عليه في الاحتجاج على أن الاله عالم بالأشياء كلها.. كلياً، وجزئياً على نسق واحد، وهو عالم بما كان، وبما سيكون.. ولا يتغير المعلوم، ولا يتكثر بتكثيره.. يقول الكتاب:

"-يا بني انما ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بما الله ان الله لطيف خبير" لقمان 16 ..

يقول فلوطارخيس الذي ظهر في القرن الخامس ق.م. وتفلسف بمصر، ثم سار إلي ملطية مقيماً بها:

"-هو مبدع فقط.. لم يزل بالأزلية التي هي أزلية الأزليات، وكل مبدع ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته عنده، أي كانت معلومة له.. فالصورة عند ما لا نهاية.. أي المعلومات بلا نهاية.."

ويقول أكسنوفانس (كزينوفانيس):

"-إن المبدع الأول هو آنية أزلية دائمة ديمومة القدم، لا تدرك بنوع صفة منطقية، ولا عقلية.. مبدع صور كل صفة، وكل تحت نطقي، وعقلي، فاذا كان

هذا هكذا، فقولنا ان صور مافي هذا العالم المبدعة لم تكن عنده، أو كانت، أو كيف أبدع؟.. ولم أبدع؟.. محال.. لأن العقل مبدع، والمبدع مسبوق بالمبدع، والمسبوق لا يدرك السابق أبدا؛ فلا يجوز أن يصف المسبوق السابق.."

ووجهات نظره هذه وغيرها تقتصر على شعره الباقي، والذي يتضمن أيضا هجاء، ونقدا لمجموعة واسعة من الأفكار الاغريقية مثل الاعتقاد بالبانثيون (آلهة الأولمب..)

أما زينون الأكبر (زينون الإيلي Zeno of Elea) (من أهل قنطس، وعاش فيما بين 490 - 430 ق.م.) فكان يقول:

"- ان المبدع الأول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر، وصورة كل جوهر، فعلمه غير متناه.. وهو قادر علي أن يفني العوالم يوما ما إذا أراد، وحكي "فلوطارخيس": أن زينون كان يزعم أن الأصول هي الاله، والعنصر فقط.. فالاله هو العلة الفاعلة، والعنصر هو المنفعل.."

ولكن ديمقريطس (361 - 460 Democritus ق.م.)، وشيعته مثل "فليوخوس" فلأنه كان يقول بالأخلاق الأربعة: "الماء"، و"الهواء"، و"التراب"، و"النار" فكان يعتقد أن المبدع الأول ليس هو العنصر فقط، ولا العقل فقط.. بل الأخلاق الأربعة وهي "الأسطقسات".. أوائل الموجودات كلها..

ويري هرقل الحكيم (هيراقليطوس 490 - 430 ق.م.) أن النور الحق هو الذي لا يدرك من جهة عقولنا، لأنها أبدعت من ذلك النور الأول "الحق".. إنها تدل عليه.. إنه مبدع لكل..

وكان يقول:

"- ان السماء في النشأة الأخرى تصير بلا كواكب.."

وفي الكتاب عن الوحي ضمن مشاهد القيامة:

"- وإذا الكواكب انتشرت" الانفطار 2 ..

ويقول أيضا:

"-تبقى النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة في هذا العالم الذي أحاط به النار إلى الأبد عقاب السرمد.."

وفي القرآن الكريم:

"-ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين" الأعراف 40..  
ويقول:

"-وتصعد النفوس الشريفة الخالصة الطيبة إلى العالم الذي تخضع نورا، وبهاء، وحسنا في ثواب السرمد.. وهناك الصور الحسان لذات البصر، والالخان الشجية لذات السمع.. ولأنها أبدعت بلا توسط مادة، وتركب أسطقسات فهي جواهر شريفة.. روحانية.. نورانية.."  
يقول الكتاب:

"-ولمن خاف مقام ربه جنتان (46) فبأى آلاء ربكما تكذبان(47) ذواتا أفنان (48) فبأى آلاء ربكما تكذبان(49) فيها عينان تجريان(50) فبأى آلاء ربكما تكذبان(51) فيهما من كل فاكهة زوجان(52) فبأى آلاء ربكما تكذبان(53) متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان(54) فبأى آلاء ربكما تكذبان(55) فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان(56) فبأى آلاء ربكما تكذبان(57) كأنهن الياقوت والمرجان(58) فبأى آلاء ربكما تكذبان(59) هل جزاء الاحسان الا الاحسان(60)" الرحمن ..

وغيرها كثير من آيات النعيم التي وعد بها المتقون(النفوس الطيبة)..

وكان هيراقليطس يقول ان الكلمة (Logos) هي مناط الوجود كله، وكل شيء عند الله جميل، ولكن الناس هم الذين يعتبرون بعض الأمور من الخير، وبعضها من الشر، ولكنه لا يقول بالخالق، ولا بحاجة الموجودات الى موجود..

واتخذ كل من خروسييس(ليوسيوس)، وزينون في قولهما الخالص:

"-إن المبدع الأول.. واحد محض.. أبدع العقل، والنفس دفعة واحدة؛ ثم أبدع جميع ما تحتها بتوسطهما.."

ومن حكم ديوجاليس الكلبي (ديوجينيس) **Diogenes of Sinope** )  
 (327 - 413 ق.م.) أن الاله ليس علة الشرور.. بل علة الخيرات،  
 والفضائل، والجود، والعقل.. جعلها بين خلقه.. فمن كسبها، وتمسك بها نالها، لأنه  
 لا يدرك الخيرات إلا بها..

أما بُرُقلس في القرن الخامس ق.م. فقال:

"-جواد بذاته، وعله وجود العالم جوده، وجوده قديم لم يزل.. فيلزم أن يكون  
 وجود العالم قديما لم يزل، وليس يخلو الصانع من أن يكون لم يزل صانعا بالفعل، أو  
 لم يزل صانعا بالقوة، وأن الزمان لا يكون موجودا إلا مع الفلك، ولا الفلك إلا مع  
 الزمان.. لأن الزمان هو العاد لحركات الفلك، ثم لا يجوز أن يقال متي، وقبل إلا  
 حين يكون الزمان، ومتي، وقبل أبدي.. فالزمان أبدي، وحركات الفلك أبدية،  
 والفلك أبدي" .. يقول الكتاب:

"-هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد  
 السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون(5) ان فى  
 اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض آيات لقوم يتقون(6)"  
 يونس ..

"-وبالنجم هم يهتدون" النحل 16..

"-إن عدة الشهور اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض"  
 التوبة 36..

وقال:

"-إن العالم حسن النظام.. كامل القوام، وصانعه جواد خير، وليس بشير، ولا  
 يقدر علي نقضه غيره.." "

ومن هنا اذا نحن رجعنا الى تاريخ الايمان فى بنى الانسان وجدنا أن اعتماده  
 على "الوعى الكونى" أعظم جدا من اعتماده على القضايا المنطقية، والبراهين  
 العقلية، وأنه أقوى جدا من كل يقين يأتى من جانب التحليل، والتقسيم، ولم تكن  
 الفلسفة نفسها معنية باقامة البراهين على وجود الله للاقناع بعقيدة، والتوسل الى

ايمان، وانما كان الكلام في وجود الله عند الفلاسفة الأقدمين من قبيل الكلام في مباحث العلوم، وتفسير الظواهر الطبيعية.. فأرسطو مثلاً لم يثبت وجود الله ليقنع به منكراً يدين بالكفر، والاحاد، ولكنه أثبتته لأن تفسيره لظواهر الكون لا يتسم بغير هذا الاثبات، ولم يحاول أن يقنع به أحداً في زمانه على طريق التدين، والايان ..

## فتنة الاستنساخ

من الفتن التي ابتلى بها المسلمون أيضا فتنة الاستنساخ التي لا أعتبرها سوى آية، وبيانا عمليا للبشر لتقريب قدرته في إعادة الخلق:

"-قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأني توفكون" يونس 34..

"-الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون" الروم 11 ..

"-وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه" الروم 27 ..

ففي صبيحة الأحد الثالث والعشرين من شهر فبراير سنة 1997؛ نشرت جريدة "الأوبزرفر" البريطانية خبراً أثار ضجة عالمية.. مصحوبا بصورة للنعجة "دوللي.."

تقول تفاصيل الخبر أن فريقاً علمياً بأحد المراكز العلمية في اسكتلندا "معهد روزلين" بقيادة "إيان ويلموث"، ومشاركة رئيسية من "كيت كامبل" قد تمكنوا من انتاج نعجة اسموها "دوللي" بغير طريق التزاوج الطبيعي المعروف في الثدييات (رتبة من الحيوانات تلد وترضع صغارها.. وضعا الانسان على رأسها) ولكن عن طريق الاستنساخ الجسدي (اللاجنسى)، وليس عن طريق التكاثر الجنسي العادي، الذي يتم فيه التقاء الذكر بالأنثى، لانتاج الأمشاج المذكرة، والمؤنثة الذي ينتج من اتحادهما الجنين ذو الخلية الواحدة، وتم الاعلان عن هذه النعجة بعد ولادتها بشمانية أشهر ..

وفي الخلايا الجسدية تنقسم الخلية انقساماً فتيلياً **Mitotic**، حيث ينتج عن الخلية الأصلية خليتان، وهي الفترة **M<sup>1</sup>**، وتسمى الفترة بين كل انقسامين متتاليين "المرحلة البيئية **Interphase**" -، وتنقسم المرحلة البيئية الى ثلاث فترات.. فتسمى الفترة التي تلي تمام الانقسام مباشرة باسم **G1**، تليها الفترة **S**، ثم الفترة **G2** التي تسبق الانقسام، ويعتمد هذا التقسيم للمرحلة البيئية على نشاط حمض **DNA** الموجود في الكروموسومات ..

وفي بداية التجربة أخذ العلماء الاسكتلنديون خلية جسدية من ضرع (ثدى) نعجة فنلندية بيضاء الوجه **Fin Dorset Ewe** وهي الفرد المانح في التجربة **Donor**، وتعتبر هذه الخلية من ناحية النشاط التكاثرى، أو الانقسامى خلية

ساكنة **Quiescent Cell** ، وهى المرحلة **G1** من مراحل دورة الخلية **Cell Cycle** (المتوزى - العادى - بثلاث مراحل **G1, S, G2** ، وهى مراحل تمثل الطور البينى **Interphase** الذى يسبق دخول الخلية المرحلة الرابعة **M** - وهى مرحلة الانقسام الميتوزى كما أوضحنا، وتكون المادة الوراثية (**DNA**) أى الجينات فى حالة تضاعف **Duplication** ، حيث يتم التضاعف الفعلى فى المرحلة **S** - نتيجة لنسخ المادة الوراثية **Replication** ، فتكون الخلية فى المرحلة **G2** ذات مادة وراثية مضاعفة تمهيدا فى دخول المرحلة **M** - وهى مرحلة الانقسام، وعليه فاذا أخذت الخلية من الفرد المانح فى احدى المرحلتين **S, G2** تكون مادتها الوراثية مضاعفة..

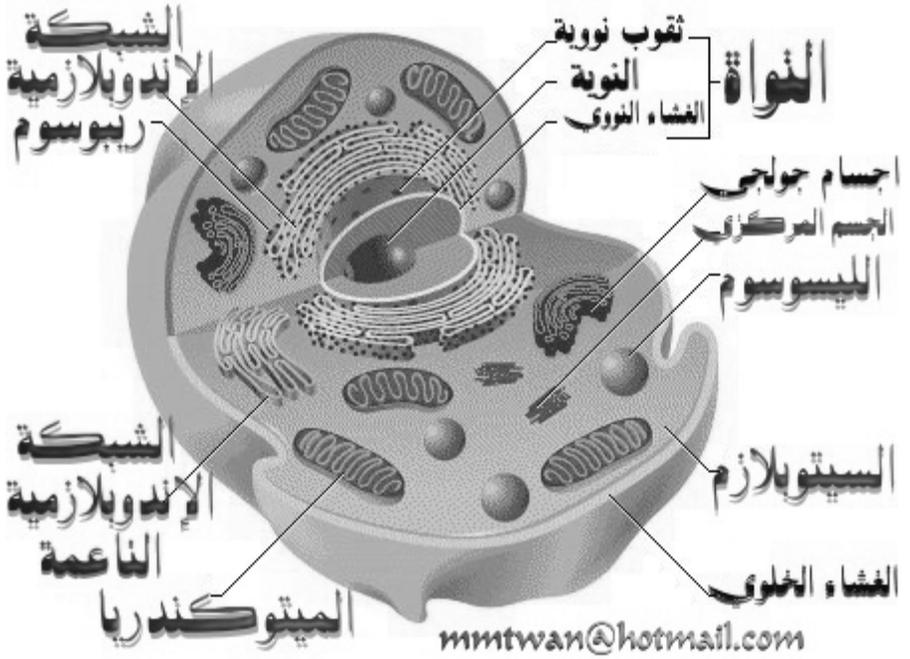
وهذا هو الجديد الذى أتى به "إيان ويلموث"، وزملاؤه من أخذهم خلية جسدية ساكنة بمجرد انتهاءها من الانقسام فى الدورة السابقة لإنقسامها الميتوزى العادى.. بحيث تحتوى نواتها على المعدل الطبيعى للمادة الوراثية (**DNA**) ، وهذا يجعل نواة مثل هذه الخلية متوافقة، ومناسبة لسيتوبلازم البويضة التى ستدمج معها بعد ذلك.. فجميع المراكز البحثية قبل تجربة دوللى أجمعت على استحالة احداث التكاثر اللاجنسى فى طائفة الثدييات..

فمنذ عام **1979** وعلماء الهندسة الوراثية يحاولون توجيه الجنينوم (المحتوى الوراثى للكائن الحى من الجينات) الى الحصول على نسخ من هذا الكائن، ولكن واجهتهم صعوبة اجراء عملية الاستنساخ على الخلايا الناضجة التى تخصصت جينوميا، وهو تخصص بعض الجينات لأداء وظيفة محددة وفقا لبرنامج وراثى مسبق عند اتحاد الحيوان المنوى بالبويضة.. فتصبح هذه الخلية نشطة فى أداء تخصصها الجديد، أما باقى المحتوى الوراثى فيدخل فى طور الكمون، ولم يستطع العلماء معرفة سبب هذا الكمون، ولا امكانية تنشيط باقى الجهاز الوراثى مرة أخرى.. فليجأوا الى استنساخ الخلايا الجنينية المبكرة؛ وذلك بتقسيم الخلايا الجنينية الثمانية الى خلايا مفردة، فتترع نواة احدى الخلايا بما تحتويه من جينات وراثية ليتم نقلها الى حافظة مناسبة لاستمرار عملية التكوين الجنينى..

ولكى يتم إيقاف نشاط الجينات الفعالة في هذه الخلية الجسدية فإنه يتم تجويعها عن طريق تنميتها في وسط غذائي به تركيزات منخفضة جداً من المواد الغذائية (وسط غذائي فقير)، وعند درجة حرارة منخفضة.. ومن هنا تحكّموا في نشاط الجينات لارجاع الخلية الجسدية لحالتها الجينية اجباراً عن طريق التجويع **starvation**، أو الحرمان الغذائي؛ مضافاً إليه درجات الحرارة المنخفضة لمدة أسبوع؛ وبذا أصبحت جميع الجينات في المادة الوراثية للخلية في صورة خاملة، وتكون قد عادت إليها ذاكرتها الجينية التي فقدتها عند التمايز، أو النعسى..

وفي نفس الوقت أخذت بويضة ناضجة، وغير مخصبة من نعجة اسكتلندية سوداء الوجه **Scottish Blak Face Ewe** وبواسطة جراحة ميكروسكوبية دقيقة سحبت النواة من تلك البويضة بما تحمله من مادة وراثية، بينما ظل السيتوبلازم موجوداً بداخل غشاء الخلية (البويضة) التي ما هي الا مجرد وعاء، أو حقل مناسب يوفر مناخ الانقسام، ويفى بحاجاته، ويوفر مستلزمات استمراره..

في الخطوة التالية توضع خلية الضرع بجانب البويضة لدجهما معاً بواسطة الحث الكهربى، ونبضة كهربائية أخرى تستحث عملية انقسام النواة الخاصة بخلية الفرع (الخلية الجسدية).. وتعد هذه الخطوة من العمليات المعقدة لأنها تحتاج إلى دقة كبيرة، وتتم في أنابيب الاختبار.. فهى تخضع للتجريب، والمحاولات المتعددة.. حيث تم الاندماج في 29 حالة فقط من 277 محاولة استنساخ بهذه التقنية بنسبة 10 % فقط ، ولم يعيش من الحالات التسع والعشرين التى بدأ فيها الانقسام بالفعل؛ والذى لا بد من استمراره لمدة ستة أيام قبل زرع الجنين فى الرحم سوى حالة النعجة "دوللى" فقط..



شكل مجسم لخلية حيوانية يبين مكوناتها الأساسية..

يتم للحين عدة انقسامات بعد مرور الأيام الستة لتصبح الكتلة الخلية الجنينية جاهزة للنقل، والتثبيت، أو الزرع داخل رحم نعجة ثالثة لنقضى فترة حمل كاملة.. وبعد فترة الحمل التي تبلغ في الخراف 150 يوماً تمت الولادة، ونتج حمل صغير أنثى طبق الأصل من النعجة المانحة للخلية الجسدية وهي خلية الأم، ولكن بلا أب، وهي تحمل صفات الأم المانحة، ولا تحمل أى صفة من النعجة التي حملتها لمدة خمسة أشهر، وكذلك لا تحمل أى صفة من صفات النعجة التي أخذت منها البويضة..

ضح الناس، وهاجوا اثر استماعهم خبر تناقلته وكالات الأنباء العالمية عن استنساخ طفلة في احدى الدول المتقدمة - لم يعلن عنها - وكأن الخبر قد توجه بخاصة الى المؤمنين بوحدة، وقدرة الخالق.. بيد أن المتعقل لبواطن الأمور يدرك أن البشرية تسير الى حتفها، بعد أن انتابها الانزلاق البطيء.. فراحت تستحث الخطى الى النهاية، وكأنها تستعجل الانتحار.. ولسوف تكون النهاية بهذه العقليات السفهية التي جعلت العلم تجارتما - وهي تتجر في كل شيء - والهوس الذي أغرت

به ذوى المال، والسلطان في هذا العالم.. فأى فائدة ستعود على العالم من استنساخ المزيد من البشر، والكرة الأرضية قد ضاقت بمن عليها.. مع سوء توزيع الثروة، وتلوث البيئة.. وقانون الحياة المعروف هو التنوع، والانتخاب للأصلح..

ان فكرة الاستنساخ تصلح للمصانع التي تقوم فكرتها على تكرار المنتج الواحد، أما الانسان - الذى كرمه الله - لأنه ذروة الخلق.. فهو معجزة في حد ذاته.. في خلقه.. وتنوع خلقه، وأفكاره، ومعتقداته، ولغاته، وعاداته، وتقاليده، والعجيب أن هذه الدول تبيح تشريعها العلاقات غير المشروعة، والاجهاض، وتعترف بالأولاد غير الشرعيين، وتبيح أيضا قوانينها قتل الأجنة، وحرية المرأة في علاقاتها خارج المنزل تحت مسميات مللنا سماعها من حرية المرأة، وحرية البحث العلمى، وحرية الاعتقاد، وغيرها.. ومن الحرية ماقتل..

وتجربة النعجة دوللى تجربة فاشلة في حد ذاتها.. فليس هناك صدفة في العلم، فمن 277 محاولة تنجح 29 منها في الاندماج بنسبة 10 % تقريبا.. فهذا ليس علما.. بل صدفة محضة حتى لو كانت في الأحياء، اذ لا بد من نجاح التجربة بنسبة تفوق الخمسين بالمائة لتعميمها، والحكم عليها من حيث قبولها كحقيقة علمية من عدمه خاصة وأن التجربة كتب لها النجاح مرة واحدة، وليست مضمونة النجاح مرة أخرى، كما أن التجربة أجريت على خلية من الضرع، ولم تجرب على خلايا من مناطق أخرى بجسم أنثى الغنم؛ لأن السلوك الوراثى للخلايا يختلف من خلية الى أخرى، ولم تجر التجربة أيضا على حيوان ثدى آخر كالفأر مثلا، وهى كائنات أعقد وراثيا، والتقنيات الوراثية الجينية التى سبق اجراؤها على أجنة الفئران فشلت في انتاج فئران بالغة قادرة على الحياة..

ومن المشاكل التى تعترض هذه التقنية صعوبة الوصول الى الوسط الحيوى المتوافق وراثيا.. فالجينات الوراثية فى النواة المتزوجة من خلية ما تترك 10 % من هذا المحتوى الجينى لدى سيتوبلازم الخلية وهو الذى يتوزع بنسبة 5 % للميتوكوندريا، 5 % موزعة على العضيات الأخرى للخلية، وهو الأمر الذى قد لايتوافق مع جينات النواة الطارئة على هذه الخلية فيؤدى الى تدمير جينات هذه النواة، وينشأ السؤال.. هل ستعيش هذه النواة فى الوسط الجديد بصورة عادية؟.. هل ستصاب بأمراض وراثية من جراء هذا التغيير؟..

تعرض المادة الوراثية للخلايا الجسدية في العادة للعديد من التغيرات الايجابية، والسلبية على حد سواء أثناء نموها، وتجديدها، وانقسامها، وهي تغيرات تراكمية، فتقوم انزيمات الصيانة بالخلية.. البالغ عددها عشرين انزيما باصلاح هذه التغيرات قدر الامكان، وفي حالة تجربة النعجة دوللي تترد الخلية اتدادا وراثيا ناقصا لتغير التركيب الكيميائي لبعض الجينات التي يمكنها في هذه الحالة التعبير عن نفسها، واظهار وظيفتها.. مما يؤثر على الصفات الوراثية للكائن الحي مستقبلا، وبالتالي فالارهاصات بانتاج انسان بمثل هذه التقنية هي ضربا من الوهم، والخيال.. فهذا الاستنساخ سيكون مسألة لانسانية - على حد تعبير د. مارجريت برازير أستاذ القانون الدولي بجامعة مانشستر البريطانية - فهذا الانسان المستنسخ من سيكون أبواه، وأقرباؤه، وهي الأشياء التي تميز الكائن الحي.. ناهيك عن الطرق التي يتم بها نزع النواة من الخلية الجسدية، ثم زرعها في البويضة متزوعة النواة، وهي الحقن الجهرى بآبرة ميكرونية، أو القذف النفثا بقذيفة من التنجستن، أو القذف البخارى، أو الحث الكهربى بالنبضات المحددة الآمنة، أو استخدام أشعة الليزر، وكلها طرق لأنامن باستخدامها من امكانية تغيير المحتوى الوراثى الحساس جدا للتأثيرات الفيزيائية، والكيميائية، وحتى التأثيرات الطبيعية بفعل الأشعة الكونية مثلا..

ثم يلحق الفشل بهذه التجربة مرة أخرى عندما يسرع الهرم، والشيخوخة المبكرة الى النعجة المسكينة دوللي، وتموت لأنها أكملت فقط عمر أمها ان جاز لنا أن نسميها أما، ولم تبدأ من جديد، وأصبحت حياة أمها محسوبة عليها.. فما جدوى هذا العبث، أو الدعارة العلمية التي ينفق عليها من أموال، وشقاء دافعى الضرائب على بعض من أصابهم الهوس، والافتتان بالظهور، والشهرة ممن فاتتهم فرصة الظهور فى مشاهد الأفلام الساخنة لافتقادهم أى موهبة.. حتى لو كانت عقدة التجرد من الملابس أمام الكاميرات ..

مأرى هذا الزلزال الذى أصاب العالم عامة، والمؤمنين خاصة من كم الضوضاء الفارغة الذى صاحب هذه التجربة، وشهورها الطوال الا أن الله تعالى أرادته لتقريب فكرة البعث، والنشور، والعودة الى الحياة مرة أخرى فى عصر العلوم، والتكنولوجيا:

"-ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء" البقرة 255..

خاصة وأن العالم أجمع قد خبر الخلق جيدا في المواليد التي تحدث يوميا بالملايين من كافة الأجناس من أذناها الى أرقاها، وتاجها وهو الانسان، والمتوج على عرش الأرض، والحياة، وخبر الموت من الملايين التي تموت يوميا من كافة الخلائق، ولكنه لم يصدق العودة، والاعادة التي ظهرت في هذه التجربة التي ربما تبعها، أو سبقها الكثير المعلن، وغير المعلن، ورغم امتلاء القرآن الكريم بآيات الخلق، والموت، والاعادة، والكل يعلمها، لأنها واضحة كالشمس، ولا تحتاج مفسرا.. وكذلك الأحاديث النبوية التي توقعنا عند أحدها مما اتفق عليه الشيخان البخارى، ومسلم، ويعتبر معجزا في مادته اذ فسر كيفية العودة بكلمات يسهل تفسيرها على ضوء المعطيات العلمية الحديثة:

-عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"بين النفختين أربعون .."

ويبدو من السياق أن أبا هريرة استحنى أن يستوضح النبي ان كانت يوما، أو شهرا، أو سنة، وهي فعلا معلومة لاتفيد الموتى في شيء، لأن النفخة الأولى ستقضى على من في الأرض، والثانية ستوقظهم، وتعيدهم الى الحياة.. حيث يشرح الحديث كيف سيحدث هذا :

"-ويبلى كل شيء من الانسان الا عَجَبُ الذنب، فيه يركب الخلق، ثم يتزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل.."

فالمادة الوراثية (DNA) لكل انسان تتجدد في نخاع العظام(في تجويف العظام) الذى سوف لا يبقى منه سوى آخر جزء في نهاية العمود الفقري(العجب، أو الذيل)، والذى قال عنه الرسول: "فيه يركب الخلق"، وهو قد جف، وتحجر بما فيه من مادة وراثية، ولا يحييه الا الماء ليعود الى الحياة مرة أخرى؛ كما تنبت البذور الخاملة من عدة سنوات، وهي تحوى أجنة جافة بما المادة الوراثية لهذا النوع من النبات، وهو ما قام به أحد الباحثين في جامعة "أوبسالا" السويدية، ويدعى "د. اسفانت بابوه" من استنساخ DNA الفرعونى من احدى الموميوات المصرية، كما

أعلن فريق بحشى آخر من نفس الجامعة عن استنساخ جينات طفل(الكتاب الوراثى لهذا الطفل الذى مات من مئات السنين) مصرى فرعونى عمره 2400 سنة..

"-أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى" القيامة 40..

وليس الأمر فقط بحفظ، واستنبات المادة الوراثية DNA فقط على الأرض، ولكن هذه الشفرة الخاصة بكل انسان قد كتبت مكوناتها بطريقة احصائية فى أم الكتاب، محفوظ فى مكان مكين، أمين:

"-ان نحن نحى الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى امام ميين" يس 12..

"-قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ" ق 4 ..

ومن اعجاز هذا الحديث أن العالم قد سبق يوم القيامة، ولم ينتظر حتى يموت الانسان للاستفادة من نخاع العظام.. بل أصبحت خلايا نخاع العظام Stem cells of bone marrow)) مصدرًا لمنح الحياة فى الأعضاء المختلفة من الجسم بشرط أن تؤخذ من نخاع نفس المريض(بسبب التوافق الوراثى) لعلاج بعض الاضطرابات بما فى ذلك اصابات الحبل الشوكى، والشلل الدماغى، والرضوض الدماغية، والقدم السكرى، ونخر رأس عظام الفخذ، وأمراض القلب، وذلك بحقن تركيز عال من هذه الخلايا البرانشيمية الجذعية التى تصلح لتجديد أى نوع من خلايا الجسم المختلفة من قلبية، وعصبية، وغيرها ..

## نهاية بنى اسرائيل فى القرآن

-سورة الاسراء مكية تحدد نهاية بنى اسرائيل..

-سورة الحشر مدنية تحدد بداية هذه النهاية..

ذهب المفسرون مذاهب شتى فى بداية النهاية لبنى اسرائيل، وذهب المؤرخون مذاهب أخرى، وعندما يكون الاختلاف كبيراً يقع الشك فى الروايات.. فلم يقرن أحدهم سورة بأخرى فى الحدث الواحد، أو الأحداث القريبة، ولم يقرن أحدهم السورتين ببعضهما (الحشر، والاسراء).. كما لم يقرن أحدهم سورتي "الفيل"، و"البروج" ببعضهما.. من التفسير، وكتب التاريخ التى كتبها المسلمون مثل "الطبرى"، و"ابن خلدون".. ولطالما رجحت أن أول الحشر بالنسبة لليهود هو أيضاً فى القرآن، وليس النهاية فقط، وفى سورة "الحشر" المسماة باسم الحادث الجلل، وهى السورة التى شرحت حادثة خروج يهود "بنى النضير" بقدر من التفصيل.. يقول تعالى فى إيجاز بليغ يصف ما جرى على يهود بنى النضير:

"-هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر"

الحشر 2..

وهو تعالى ينسب الخروج لنفسه، كما سيُخرج البشر يوم القيامة.. فهم طلائع الحشر.. ففى مكيدة خبيثة تدل على دناءة الطبع، وغباء الفكر، واضمار الغدر دائماً لمن يسالمهم.. انكشف للنبي صلى الله عليه وسلم نيتهم فى قتله بالقاء صخرة عليه، وهو جالس بين أصحابه مستندا الى جدار لهم، عندما جاءهم مستعينا بهم فى دية قتيلين من "قبيلة بنى عامر" الذين كان لهم عهد، وأمان مع كل من المسلمين، ويهود بنى النضير.. فلما هب قافلا الى المدينة أخبر أصحابه بما أضمره.. فقرر حربهم، والمسير اليهم، وحصارهم عندما لاذوا بحصونهم، وقد كان هذا الخروج، وهذا الحشر وعدا من الله تعالى فى الآية 104 من سورة الاسراء..  
سورة النهاية :

"-وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقفا.."

وكلمة من بعده أى من بعد حادث هلاك فرعون، وغرقه.. فأراد تعالى تكريم هؤلاء القوم مرتين؛ مرة بإخراجهم من الذل، والهوان الفرعونى، وبالتالى يرثون أرض فرعون، وأرض العماليق التى يبدو أنه كان على علاقة جيدة بهم - لقرب الصلة بينه، وبينهم - وهم ماوصفهم القرآن على لسانهم "بالقوم الجبارين"، ولعلهم كانوا(العماليق) لايتخلفون كثيراً عن فرعون شدة، وقسوة، وجبروتاً، وهو ما جعلهم يميلون الى الخنوع، والخوف منهم، حتى لايفعلوا بهم كما فعل بهم فرعون، فجنبوا، وآثروا السلامة:

"-قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها" المائة  
.. 22

وأول الحشر مع مفهوم الآخرة بأنها الحشر الأعظم، وكلمة الأولى تأتى فى القرآن فى أكثر من مناسبة بمعنى الدنيا(ونفهم أيضاً من القرآن أن اليهود الذين خرجوا من الجزيرة العربية أيام البعثة النبوية اتجهوا نحو الشام، وفلسطين.. وهى أرض الحشر، وهذا أول الحشر ..(وتعتبر سورة الاسراء من سور النبؤات فى القرآن كسورة "الروم"، وسورة "النجم"، وسورة "ص" إذ تنبئ عن النصر للمسلمين، والهزيمة، والفرقة للكافرين، فيقول تعالى:

"-غلبت الروم(2) فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون(3) فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويوم إذن يفرح المؤمنون(4) بنصر الله(5)" الروم .. وهى موقعة بدر ..

"-أم يقولون نحن جميع منتصر(44) سيهزم الجمع ويولون الدبر(45)" القمر.. وهى أيضاً موقعة بدر..

وقد تكون الخندق:

"-جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب" ص 11 ..

وفى سورة الاسراء التى نزلت بمكة يبنى تعالى عما جاء إقراراً فى سورة الحشر:

"-وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً (4) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاجسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً(5).."

وهي أولى المعارك مع المسلمين، إذ لم يذكر التاريخ عبادةً لله هاجموا بنى إسرائيل، وأذلوهم غير المسلمين أيام النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان اليهود فقط هم أهل كتاب حتى سماهم أنفسهم بشعب الله المختار فكيف يتحدث القرآن عن عبادةً لله يعرفونه أكثر من المسلمين مع النبي محمد؟!.. وقد خاض المفسرون، والمؤرخون مذاهب شتى عن تلك الجيوش التي أبادت بنى إسرائيل، وشردتهم.. ولكن السؤال لهؤلاء، وأولئك هل كانت جيوشاً مسلمة؟!.. أم كانت جيوشاً تعبد الأصنام مثل جيوش "مجتصر"؟..

"-ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً"  
الاسراء 6 ..

وذلك حال اليهود، وقد علا نفيرهم، وكثرت أموالهم، وتعاضم نفوذهم :

"-إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم" الاسراء 7 ..

ولن يحسنوا فهم يزدادون صلفاً، وغروراً كل يوم:

"وإن أسأتم فلها" الاسراء 7 ..

وهم يسيئون كل يوم بالفعل، وكل لحظة:

"-فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا" الاسراء 7 ..

وكلمة وعد الآخرة جاءت بلفظها في آية الجمع من الشتات في سورة

الاسراء

## الأرض.. السكون والحركة

ظاهر الآيات القرآنية تثبت أن الشمس هي التي تدور على الأرض، وبدورانها يحصل تعاقب الليل، والنهار على سطح الأرض، وليس لنا أن نتجاوز ظاهر هذه الأدلة الا بدليل أقوى من ذلك يصوغ لنا تأويلها عن ظاهرها، ومن الأدلة الشرعية على أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل، والنهار مايلي:

" -فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب" البقرة 258..

" -فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون" الأنعام 78..

الأفول من الشمس لا عنها، ولو أن الدوران للأرض لقال: "فلما أفلت عنها.."

" -وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال" الكهف 17..

الازورار، والقرض من الشمس دلالة على أن الحركة من الشمس، ولو كانت من الأرض لقال: "يزاور كهفهم عنها".. كما أن باضافة الطلوع، والغروب الى الشمس يدل على أنها هي التي تدور؛ وان كانت دلالتها أقل من دلالة قوله: "تزاور"، و"تقرضهم.."

" -وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون" الأنبياء 33 ..

يدورون في فلكة كفلكة المغزل.. كما قال ابن عباس..

" -يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً" الأعراف 54..

الليل يطلب النهار.. والطالب مندفع لاحق، ومن المعلوم أن الليل، والنهار تابعان للشمس..

"- ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير" لقمان 29..

"- خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار" الزمر 5 ..

والتكوير يعني يديره ككور العمامة دليل على أن الدوران من الليل، والنهار على الأرض، ولو كانت الأرض تدور لقال: "يكور الأرض على الليل والنهار.."

"- يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير" فاطر 13..

"- "الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون" الرعد 2..

"- "الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون" الرعد 2..

دليل على أن الشمس، والقمر يجريان جرياناً حسيماً مكانياً؛ لأن تسخير المتحرك بحركته أظهر من تسخير الثابت الذي لا يتحرك..

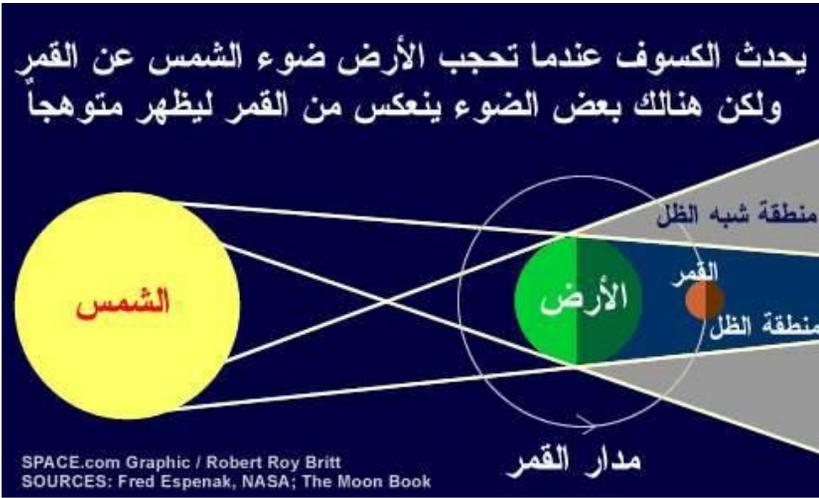
"- والشمس وضحاها(1) والقمر اذا تلاها(2) الشمس..

وتلاها أتى بعدها، وهو دليل على سيرهما، ودوراهما على الأرض، ولو كانت الأرض تدور عليهما لم يكن القمر تالياً للشمس بل كان تالياً لها أحياناً، وتالية له أحياناً لأن الشمس أرفع منه، والاستدلال بهذه الآية يحتاج إلى تأمل..

"- والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم(38) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم(39) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون(40)" يس..

فاضافة الجريان الى الشمس، وجعله تقديراً من ذى عزة، وعلم يدل على أنه جريان حقيقى بتقدير بالغ.. بحيث يترتب عليه اختلاف الليل، والنهار، والفصول، وتقدير القمر منازل يدل على تنقله فيها، ولو كانت الأرض تدور لكان تقدير المنازل لها من القمر.. لا للقمر، ونفى ادراك الشمس للقمر، وسبق الليل للنهار يدل على حركة اندفاع من الشمس، والقمر، والليل، والنهار..

"- ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً" الفرقان 5..



مخطط توضيحي لكسوف الشمس يبين مناطق الظل وشبه الظل بالنسبة للأرض (عن شبكة المعلومات العنكبوتية)

الظل هو ما بين الضوء الخالص، والظلمة الخالصة، وهو يبقى في الأرض من طلوع الفجر الى شروق الشمس، ومن غروب الشمس الى هبوط الليل.. فهما منطقتان يقعان على طرفي الظلمة بعد الغروب، وقبل الشروق في اليوم التالي (كما في الرسم).. فهو ظل ممدود على طرفي الظلمة يسمح بالرؤية حتى تنسخه الشمس، ولو شاء تعالى أسكنه، ولم يمده، وهو ظاهرة مقترنة بقوانين الضوء، وما يتبعه من ظل في المنطقة المقابلة لمصدر الضوء.. يتبعهما منطقتي شبه ظل، وقد جعل الله الشمس مصدراً للضوء الذى ينسخ الظل، وهو تعالى لم يجعلها مصدراً للضوء فقط.. بل

يظل يتبعها لأنه جعلها دليله.. يسير أينما تسير.. فهو أمامها، وخلفها، وهو ما ثبت حركة الشمس حول الأرض ..

ذكرت الشمس في القرآن 32 مرة؛ منها مرتان عند نهايتها، 30 مرة في حياتها الدنيا، ويشير الرقم 30 على عدد أيام الشهر في التقويم الشمسي أغلبها (23 مرة) تأتي مع أفعال الحركة (مثل.. تأتي، بازغة، سخر، تدلك، تشرق، تطلع، تسجد، تجرى، تدرك)، وتأتي دائما مقترنة بالقمر المتحرك مثلها.. وقد جاءت في القرآن مسخرة للأرض، وأهلها، ولم ينسب القرآن تسخير (حركة) للأرض:

"-وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى" الرعد 2..

"-وسخر لكم الشمس والقمر دائنين" ابراهيم 23..

"-وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر" النحل 12..

"-وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى" لقمان 29..

"-وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى" فاطر 13..

"-وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى" الزمر 5..

"-والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره" الأعراف 54..

وتوضح الآيات أن دورة القمر مع الشمس، وليست مع الأرض.. فكلاهما مسخرين للأرض، ويدوران حولها، ولم يقترن ذكر الشمس بالأرض أبدا في القرآن، فلا يصح أن اقتران ثابت بمتحرك ..

ذكرت الأرض في القرآن 451 مرة؛ فلم ترد ولا مرة مع أفعال الحركة سوى أفعال التسييح فقط.. وهي تقترن دائما بالسموات.. لأنهما مشتركان في الثبات، وعدم الحركة.. وقد نسب الله تعالى السجود لكل الكائنات؛ ماعدا السموات، والأرض لا يسجدان:

"- ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس" الحج 18..

ويقرر صراحة:

"-والأرض وضعها للأنام" الرحمن 10..

والوضع من الثبات.. كما قال قبل ذلك عن الميزان:

"-والسماء رفعها ووضع الميزان(7) ألا تطغوا في الميزان(8) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان(9)" الرحمن..

فقد رفع السماء، ووضع الأرض.. كما وضع الميزان الذى لا يمكنه الوزن بالقسط، والدقة للذنان يوصى بهما الا اذا كان فى وضع الثبات كالأرض تماما ..

وقد عرفوا حديثنا أن للسماء أبوابا؛ كما نوه القرآن من قبل:

"-وفتحت السماء فكانت أبوابا" النبأ 19..

"-ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون" الحجر 14..

فأبواب السماء لها مجازات معينة لا تتغير الا اذا كانت الأرض ثابتة ..

وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - لأبى ذر - رضى الله عنه - وقد غربت

الشمس:

<< -أتدرى أين تذهب؟ >>

قال: الله ورسوله أعلم ..

قال :

<< -فإنما تذهب فتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، فيوشك أن تستأذن

فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها >>.. متفق عليه ..

فقوله >> ارجعى.. فتطلع >>.. ظاهر جداً فى أنهما هى التى تتحرك، وتدور

على الأرض، وبدورانها يحصل الطلوع، والغروب..

والأحاديث كثيرة فى اضافة الطلوع، والغروب، والزوال الى الشمس.. فإنها

ظاهرة فى وقوع ذلك منها؛ لا من الأرض عليها(1)..

ويخبرنا تعالى بمثل فى القرآن عن أحد ملوك الأرض الصالحين، وفتح عظيم

يسمى "ذى القرنين" منحه الله بصطة فى العلم، والجسم، وكان طموحاً ، ومولعاً

بالشمس كنجم خلقه الله، وسخره للبشر، وكان حكيماً يأخذ بأسباب العلم..

ومن أسباب العلم الرؤية بالعين، وتعيين الحقائق على الطبيعة، قال على نفسه بما أعطاه الله من الأسباب، والامكانيات أن يتتبع هذه الشمس من الطلوع.. الى الغروب، وقد كان له ذلك.. فجاب الأرض فاتحا حتى بلغ أول ما بلغ مغرب الشمس:

"-حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما" الكهف 86..

والعين الحمئة هي عين ماء، ولكنه يحتوى على طين أسود حام، وقد وجد أحد الباحثين، والمهتمين بهذا الأمر(6) بأن هذه العين ينطبق عليها وصف الجغرافيين لمصب نهر الأمازون الواقع على خط الاستواء في البرازيل بأمريكا الجنوبية، والذي تحمل روافده الهابطة من جبال الانديز كميات هائلة من الطمي، ردمت هذا الحوض، وملأته بكميات كبيرة من الطمي، والصلصال..



( خريطة توضح حوض نهر الأمازون، ومصب النهر في المحيط الأطلسي باللون الأزرق..)

ثم اتجه ذو القرنين شرقا ليتحرى مطلع الشمس على جزيرة صغيرة بأندونيسيا تسمى "هاماهيرا(6)" عبارة عن غابة استوائية مدارية لاتصلح لبناء قرى، أو مدن لأنها كثيفة الأشجار:

"-حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا" الكهف 90 ..

وفي كلتا الحالتين أكد تعالى على وجود أقواما التقوا بذى القرنين، بمعنى أنها أماكن ماهولة بالسكان الذى كانوا شهداء على هذا الحدث، ومنهم قوم قضى بينهم ذو القرنين بالعدل، بعد أن ترك الله له الخيار فى ذلك:

"-قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا(86) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا(87) وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وستنقل له من أمرنا يسرا(88)" الكهف..

ووجود الناس هنا يقطع بالدليل أنه شاهد مغربها بالفعل فى العين الحمئة، وشاهد مطلعها عيانا، لا كما يقول الذبول من مشايخنا، أو مشايخنا الذبول أنه يمكنه الوقوف على شاطئ البحر، أو اخط ليراها من بعيد وكأنها تنزل فى المياه.. وكأنه طفل يلهو بلعبة يجبها، ثم يأتى جل جلاله ليسلينا بما.. تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا.. كذلك أثبت تعالى حركتين للشمس؛ هما.. الغروب، والطلوع، وليس الشروق.. لأن الشروق قد يفيد فعلا خارجيا طرأ على الشمس، ولكن الطلوع هو فعلها بنفسها..

ولما كان المتخصصون فى علوم الدين، وعلوم الطبيعة فى بلاد المسلمين لا يلتقون، ولا يتلاقون، وكل حزب بما لديهم فرحون، وانعزل كلاهما حتى عن الناس.. قام من غير المتخصصين من استطاع البحث، والدراسة، والتمحيص بعد أن وجدوا من أنفسهم الاهتمام، والصبر.. فقام أحد هؤلاء الباحثين بالاطلاع الوافر فى هذا الجانب؛ حتى أنه قام برحلات كالتى قام به ذو القرنين قديما ليستقصى هذا الأمر بنفسه، فجمع من الأدلة ما جعله يتأكد أن مغرب الشمس فى جزر المالديف باخط الهندى.. فهى تقع على خط الاستواء، ومحاطة بمياه اخط الحامية، أو برك المياه الحامية.. وتتكون من أرخبيل يضم حوالى 1190 جزيرة، يقع بعضها شمال خط

الاستواء، والبعض الآخر جنوبه، وتنتشر على هيئة جزر مرجانية) **Atoll** وهي جزر حلقيه الشكل تحيط بجسم مائي ضحل متصل بالبحر)، وتمتد هذه الجزر على هيئة سلسلة بمسافة 820 كم من الشمال الى الجنوب، 130 كم عند أوسع نقطة في الأرخييل بين خطي العرض 7.07° شمالاً، 0.40° جنوباً.. وعند خط الاستواء تكون الشمس عمودية عليه، ومن ثم تكون حرارة هذا المكان أعلى من أى مكان آخر على سطح الأرض فتبلغ 30-32 م. وهي حامية كالشمس الحامية، ويبلغ عمق المحيط حول جزر المالديف حوالى 2500 متر في اتجاه الشرق، 4000 متر في اتجاه الغرب.. ومن أدلته أيضا أن هذه الجزر البركانية مأهولة بالسكان، وقابلة للسكنى منذ حمد بعضها مع الزمن، وهؤلاء السكان ثبت تاريخيا وجودهم منذ حوالى 3350 سنة، وهو ماكشفه البحار، وعالم الآثار الاسكندنافي (8) "ثور هايردال" **Thor Heyerdalh** أثناء رحلاته على متن مركب مصنوع من القصب مثل تلك المراكب التي كانت مستخدمة قديما في بلاد ما بين النهرين، ومصر في كتابه "سر جزر المالديف" **The Mystery of the Maldives** عن شواهد تبرهن على زيارة أقوام لجزر المالديف، وسكانها منذ 4000 سنة، وذلك بوجود حجارة منحوت عليها رموزا شمسية تشبه نفس الرموز في حضارة مصر القديمة، وبلاد ما بين النهرين، والهند.. هذا عن غروب الشمس.. أما عن مطلعها فقد أبحر ذو القرنين شرقا من المحيط الهندي، وبمحاذاة خط الاستواء حتى الوصول الى المحيط الهادى، والاستمرار في عبور هذا المحيط حتى بلوغ مطلع الشمس في وسط هذا المحيط فيما يعرف الآن بجزر كيريباتى التي تقع بين خطي طول 173، 177 شرقا، وتمتد من الشمال الى الجنوب بمساحة قدرها 800 كم2، وتمتد المسافة من الشرق الى الغرب بمقدار أكبر من 3218 كم2.. ومن الحقائق العلمية المستقرة أن الشمس تطلع في نفس الوقت تقريبا على المناطق القريبة، أو المخاذية لخط الاستواء، كما تغرب أيضا في نفس الوقت تقريبا في هذه المناطق، وهو مايجعل طول الليل، والنهار متساو في هذه المناطق.. أى 12 ساعة للنهار، 12 ليل في كل يوم من أيام السنة؛ فتطلع الشمس على منطقة كيريباتى في السادسة، والنصف صباحا في كل يوم من أيام السنة، وتغرب عنها في السادسة، والنصف مساء في كل يوم من أيام السنة مدى الحياة.. وهي جزر منبسطة، وخالية

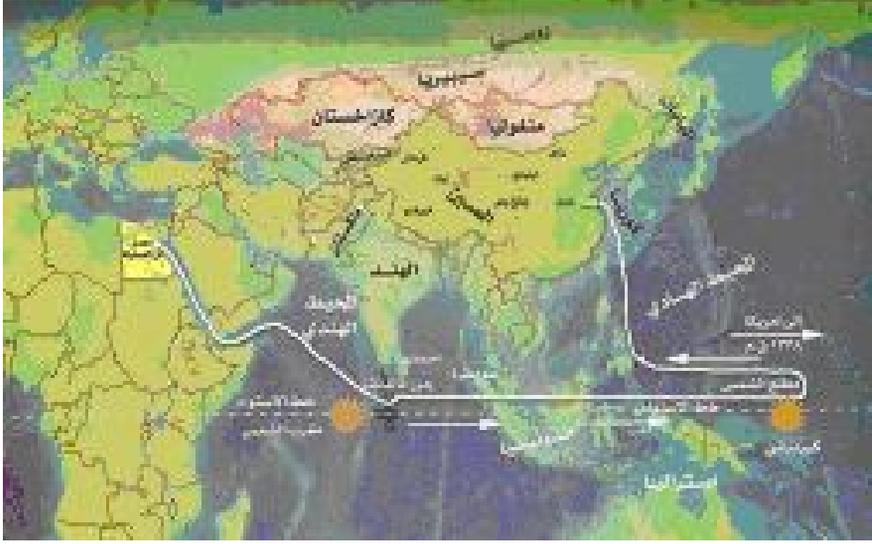
من الجبال، والتلال، والبراكين التي قد تمنع رؤية الشمس، أو حجبتها؛ فأرضها مسطحة، وتحيط بها المياه من جميع الجهات، وبينها، وبين اليابسة آلاف الأميال.. وهو موقع نادر، ومتميز، ولا يوجد له مثيل على الكرة الأرضية.. وقد احتفل العالم أجمع بميلاد الألفية الثالثة بطلوع أول أشعة للشمس على سطح الأرض في جزر كيريباتي التي تجمع على أرضها مُمثلوا وسائل الاعلام العالمية، ومجموعات كبيرة من الباحثين، والسياح.. ويعتبر سكان هذه الجزر أنفسهم أول من تطلع عليه الشمس كل يوم على وجه الكرة الأرضية، ويطلقون "مطلع الشمس، أو أوتن تاى بلغتهم" **Otin Taai** على بعض مزارعهم؛ وهي تقترب في لفظها، وهجائها من كلمة **أتين Aten**، أو **أتون Aton** في اللغة المصرية القديمة..

"-ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا ما شاء الله وكل آتوه داخرين (87) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون (88)" النمل ..

دائما ما يقحم المسلمون المعاصرون هذه الآية في سياق الحديث عن وهم دوران الأرض حول الشمس ليدلوا أن القرآن يثبت ذلك.. حتى وقع فيه خاصتهم.. وهي آية تناقض كم الآيات التي أوردناها من ناحية، والناحية الأخرى هي موقع هذه الآية وسط آيات تورد أحداث يوم القيامة، وهو واضح للعمامة.. فما بال العلماء، خاصة وقد وردت آيات أخرى في غاية الوضوح عن حالة الجبال يوم القيامة.. لا تختلف كثيرا عن هذا الوصف في تفتت الجبال، وتناثرها.. وخروجها عن ثباتها، ورسوخها التي كانت عليه في الدنيا.. فيقول:

"-يوم تمور السماء مورا(9) وتسير الجبال سيرا(10)" الطور..

"-إذا رجت الأرض رجاً(4) وبست الجبال بسا(5)" الواقعة..



خريطة توضح موقعي مطلع الشمس ومغربها على خط الاستواء (عن كتاب فك أسرار ذى القرنين)

"-وحملت الأرض والجبال فدكتنا دكة واحدة" الحاقة 14..

"-يوم تكون السماء كالمهل (8) وتكون الجبال كالعهن (9) المعارج..

"-يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (4) وتكون الجبال كالعهن المنفوش (5) القارعة..

"-ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا (105) فيذرها قاعا صفصفا

(106) لا ترى فيها عوجا ولا أمتا (107) يؤمنذ يتبعون الداعي وخشعت الأصوات للرحمن (108)" طه..

"-واذا الجبال نسفت" المرسلات 10..

"-يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا" المزمل 14..

"-وسيرت الجبال فكانت سرابا" النبأ 20 ..

"-واذا الجبال سيرت" التكوير 3..

ولا يتحقق ذلك في الدنيا كما هو واضح من سياق الآيات.. فيكون النسف يوم القيامة.. حيث لا وظيفة لها كما كانت في الدنيا من الثبات.. ومن هنا سنرى مشهدا مغايرا للأرض يوم القيامة:

"ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا"  
الكهف 47 ..

فعندما تزال الجبال سنرى الأرض صفحة ممتدة على طول البصر:  
"يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار" ابراهيم  
.. 48

وقد استخدمت الآيات أفعالا قوية كى تؤثر في رسوخ الجبال، ومتانتها مثل:  
الدك، والبس، والنسف، ثم التسيير لتبدوا كالسراب للناظر إليها بعد أن صيرها  
الدك، والبس، والنسف كالعهن، والعهن المنفوش، والكثيب المهيل الذى يسهل  
تلاشيه، واختفاؤه..

أما في الدنيا.. فهى ثابتة مثبتة للأرض:

"وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى" الرعد 61..

"والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى" الحجر 19..

"وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأما را وسبلا لعلكم تهتدون" النحل  
..15

"وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم  
يهتدون" الأنبياء 31..

"أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى" النمل 61..

"وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم" لقمان 9..

"وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها" فصلت 10..

"والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى" ق 7..

"وجعلنا فيها رواسى شامخات" المرسلات 27..

"-والجبال أرساها" النازعات 32..

"-ألم نجعل الأرض مهادا(6) والجبال أوتادا(7)" النبأ..

"-أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت(17) والى السماء كيف رفعت(18)

والى الجبال كيف نصبت(19)" الغاشية..

وقد وقع المسلمون حديثا في وهم دوران الأرض حول الشمس.. على غير الحقيقة التي بينها خالقها سبحانه وتعالى في القرآن.. ومع أن الموضوع ليس الا رجما بالغيب من هؤلاء المدعين بدوران الأرض.. وماهى الا مجرد آراء، وأفكار، ومدارس اعتقادية.. الا أنهم يجزمون بذلك.. بل منهم من يتخذة عقيدة دون عقيدته القرآنية.. التي تتضح في الآيات، وللأسف أشدهم عقيدة في دوران الأرض.. أشدهم تدينا، وهم أطروحات دينية، ونظرات قرآنية، ويتبعون فرقا ظهرت حديثا أيضا مثل ما يطلقون على أنفسهم الاخوان المسلمين، أو السلفيين، وهم تفسيرات للآيات الصريحة عن دوران الشمس، وتسخيرها للأرض.. يؤلونها، ويلوون عنقها كى تتفق مع أقوال أساتذتهم الغربيين الذين يدعون الدوران للأرض دون الشمس.. ثم يرمون غيرهم بالعلمانية، والليبرالية.. وهم يجهلون تماما أن العلمانية، والليبرالية نشأت في الغرب مع بروز هذه الأفكار.. فقد كانت آراء كوبرنيكوس عن دوران الأرض هي نقطة البداية.. عندما أعلن أن الأرض ليست مركز الكون.. وبالتالي لم يعد الانسان أيضا مركز الكون، وهو تبعاً لهذا ليس بهذه الكرامة، والأهمية التي أولتها له الرسالات السماوية، وجعل الخالق الأرض، وماحولها من نجوم، وشمس، وقمر له دون غيره من المخلوقات التي ماهى الا مسخرة له.. بل لم تخلق الا لخدمته، ومادام الأمر كذلك فلم يعد للانسان القدرة على ادعاء امتلاكه للحقيقة المطلقة.. حتى لو كانت عن طريق الوحي، ومن هنا بزغت شمس العلمانية في القرن السادس عشر.. باعتبار أن العلمانية هي التفكير في النسبي بما هو نسبي، وليس بما هو مطلق.. وبعدها مباشرة في القرن السابع عشر تأسست نظرية العقد الاجتماعى عند "هوبز"، و"لوك"، و"رسو".. وجوهر هذه النظرية أن المجتمع من صنع الانسان، وليس من صنع الله.. بمعنى استغناء الانسان عن قوانين السماء.. فهو قادر على صياغة قوانينه بنفسه، ومن العلمانية، والعقد الاجتماعى تأسس التنوير في القرن الثامن عشر.. ثم تبعتهم الليبرالية في القرن التاسع عشر.. والتي دعى لها الفيلسوف

الانجليزية "جون ستيفارت" .. وهى تعنى ببساطة أن سلطة الفرد فوق سلطة المجتمع ..

عند عرض الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش لكتاب "حركات الأجرام السماوية" أكد أن كوبرنيكوس نقل هذا الكتاب بالكامل من كتاب المجسطى للخوجة نصر الدين الطوسى، وبنفس الترتيب .. وكل ما فعله كوبرنيكوس أثناء النقل الأمين أنه بدل مواضع الشمس فى الكتاب المنقول بمواضع الأرض .. وهكذا انقلب النظام .. قلبه اللص الذى يعمل فى رتبة دينية بالكنيسة ..

ومن غير رجال الدين، وعلماء الجيولوجيا، والفيزياء، والميكانيكا ذوو التلقى التلقائى، والثقة فيما يقوله علماء الغرب بلا تفكير، أو مراجعة .. أو اعمال عقل - وهو سبب تأخر المسلمين رغم امتلاكهم للعلم، والمال راح آخرون من غير المتخصصين يراجعون، ويمحصون، ويطرحون الأسئلة، ويضعون البراهين أن الأرض ثابتة ولا تدور حول نفسها، ولا حول الشمس بمدار اهليلجى ..





صورتان توضحان طلوع الشمس وغروبها في تاوا عاصمة كيريباتي (عن كتاب فك أسرار ذى القرنين)

ويؤكدون أن الليل، والنهار يتشكلان نتيجة دوران الشمس حول الأرض، وتشكل الفصول الأربعة نتيجة حركة الشمس اللولبية بين مدار السرطان، ومدار الجدى أثناء دوران الشمس حول الأرض ليدحضوا النظرية الحالية التي يسير عليها العالم؛ وتبنى على أساسها العلوم، والتي تدرس في كل جامعات العالم؛ بالإضافة الى الأبحاث الفضائية القائمة، وكذلك النظرية التي جاء بها كوبرنيكوس؛ والتي تقول أن الأرض ليست ثابتة، وهي تدور حول نفسها 360 درجة خلال 23 ساعة، 56 دقيقة، 4 ثوان.. وتنتقل الأرض حول الشمس كل يوم 2450000 كم خلال 3 دقائق، 56 ثانية لتكتمل ساعات اليوم 24 ساعة، ولتكتمل الدورة الاهليلجية 360 درجة خلال 365 يوماً وربع، وبهاتين الدورتين يتشكل الليل، والنهار، وتشكل الفصول الأربعة، ويدور القمر مرة حول الأرض، ومرة حول نفسه كل 28 يوماً.. بحيث يبعد القمر عن الشمس 12 درجة يومياً، واستدل على انتقال الأرض حول الشمس بتغيير أبراج التنجيم، ثم طبع كتاباً حول النظرية دون أن يحمل اسمه خشية بطش الكنيسة؛ لأنه خالف ما درجت عليه، ودرج عليه العالم؛ ليأتي بعده الايطالى جاليليو جاليلي مؤكداً صحة نظرية كوبرنيكوس.. ثم تراجع أيضاً عن نظريته لينجو من حكم الاعدام، كما وضع كبلر قوانينه في حركة الأجسام في الحقول المركزية، وأصبحت من المسلمات العلمية في الوقت الحالى ..

تكررت ألفاظ العلم في القرآن أكثر من 160 مرة، وهو قد حوى 6236 آية منها حوالي 750 آية كونية، وعلمية (12%)، والباقي آيات تشريع، وعبادات، وتوحيد، وتأمّل، وأخلاق، وقصص (13).. فالذين احترموا عقولهم، وفضلوا التجريب، والتفكير.. وانطلقوا الى ملك الله في الفضاء، وأعماق البحار.. يجثونا على أن ننطلق، ولاننام، ولانوكل نخلفنا للقدر، وأن الانبهار وحده - دون عمل - قد يؤدي الى توقف ملكات المنبهر، أو بأسه..

وفيما يلي تناقضات وقع فيها علماء الفضاء.. وكذلك براهين منطقية تثبت عكس ما يدعون:

1- يدعون أن جاذبية الشمس أقوى من جاذبية القمر؛ فلماذا لا تظهر تأثيرات جاذبية الشمس على الأرض؟!.. فعندما يحدث المد، والجزر عادة ما يكون القمر عمودياً على الأرض، وليس الشمس..

2- كى يفسروا حركة الأرض حول الشمس - حسب نظرية كوبرنيكوس - وكانت الأرض تدور حول نفسها (حول محورها) خلال 24 ساعة.. والأرض كرة مجموع درجاتها  $360^\circ$  فبذلك يستغرق دوراتها 1 زمن أربع دقائق.. والى هنا لا يوجد زمن متيق للدوران حول الشمس - حسب النظرية - فعمدوا الى تقسيم اليوم قسمين: الأول تدور فيه الأرض حول نفسها  $360^\circ$  خلال 23 ساعة، 56 دقيقة، 4 ثوان، والثاني: تنتقل الأرض فيه حول الشمس مسافة 2450000 كم خلال 3 دقائق، 56 ثانية، وبذلك يقل زمن الدورة درجة واحدة الى 3.9890741 دقيقة.. مما يؤثر على حساب الزمن على الأرض بمقدار يوم تقضيه الأرض في لهاث وراء الشمس، وهذا ما لا يحدث عملياً..

3- السرعة التي قدروها للأرض في مدارها حول الشمس في 3 دقائق، 56 ثانية هي 2450000 كم.. بما يعنى 10381.355 كم /ثانية.. فهل هذه سرعة تحتملها الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض؟!.. وهل هذه السرعة مقارنة بالأعاصير ذات الرياح، وسرعتها العاتية تترك الأرض بما عليها سليمة؟!.. وهي تحدث يومياً كما يدعون، وماذا لو قارنا هذا بما تحدثه الرياح، والأعاصير كل فترة من دمار، وتشريد خاصة رياح الأعاصير من الدرجة الخامسة حيث تصل سرعتها 250 كم/ساعة؟!.. وكيف لانحس بهذه الحركة المفاجأة، وسرعتها الخاطفة؟!.. ألا

نحس بصعود الطائرة المفاجيء بسرعتها الضئيلة بالنسبة لهذه السرعة؟!.. أو صعود سيارة سريعة فوق كوبرى فجأة؟!.. وهل يتحمل غلافها الجوى هذه السرعة العظيمة.. وماهى العلاقة بين السرعة فى مجال الجاذبية، والجاذبية؟!.. وعند ما تكون الطائرات على الأرض تعد قطعة منها، وعند طيرانها فى الغلاف الجوى تقوم بإزاحة الهواء من أمامها، ولو تحركت الأرض مثل الطائرة فى الغلاف - خاصة أن سرعتها أضعاف سرعة الطائرة بكثير - لأزاحت الهواء من أمامها، وتجاوزت الغلاف الجوى فى ثلاث ثوان.. ولو كانت الجاذبية الأرضية قادرة على امسك، وتثبيت الغلاف الجوى أثناء دورانها حول نفسها، أو حول الشمس لمنعت حدوث الرياح.. ولكانت سرعة الرياح واحدة فى أنحاء الأرض، وفى اتجاه واحد.. حيث لا داعى لوجود رياح شرقية، أو غربية، أو شمالية، أو جنوبية فى مثل هذه الظروف، ولكن ستكون كلها فى اتجاه الدوران.. ولو كانت الجاذبية الشمسية أقوى من الجاذبية الأرضية التى تمسك الغلاف الجوى.. فلماذا لا تجذب الشمس الغلاف الجوى للأرض،

وتبخره، ولو كان الأمر كذلك فلماذا لا تجذب اليها الأقمار الصناعية بحيث تدور حول الشمس وليس حول الأرض؟!..

4- إذا كان القمر تابعا للأرض، ويدور حولها.. فماذا عن سير القمر أيضا بهذه السرعة حتى يتسنى له أن يظل تابعا للأرض.. وهل سرعته تساوى سرعة الأرض؟!.. وإذا كان مجذوبا لها.. فهل تؤثر هذه السرعة العالية على هذه الجاذبية؟!.. وماذا عليه من هذا العناء ليتبع هذه الأرض اللعوب وهو القمر الوقور..

5- يعد الغلاف الجوى قطعة من الأرض؛ وبالتالي فان الغلاف الجوى، والأرض يدوران مع بعضهما البعض حول مركز الأرض، وحول الشمس.. وأقصى سرعة لمركبة الفضاء 27000 كم/ساعة، بما يعنى 7.5 كم/الثانية.. ومعدل سرعة دوران الأرض حول الشمس 10381.355 كم/الثانية؛ لذا ستجد مركبة الفضاء صعوبة كبيرة عند العودة إلى الأرض، وهم يدعون أن مركبات الفضاء تخرج، وتعود إلى الأرض عبر الغلاف الجوى بسهولة.. وأن الرحلة إلى القمر - كما يدعون - استغرقت ستة أيام..

6- هناك ثلاث دورات للقمر.. حول نفسه، وحول الأرض، والدورة الظاهرية - أو منازل القمر - ولو أن الشمس ثابتة، والقمر يدور حول الأرض..

فحسب قوانين انعكاس الضوء على السطوح، والمرايا يجب أن تظهر جميع منازل القمر من الهلال الى البدر ثم الهلال مرة أخرى كل يوم، وليس مرة واحدة في الشهر..

7- تدور الأرض حول نفسها بسرعة  $15^\circ$ /ساعة، والقمر يدور حول الأرض بسرعة  $14.5^\circ$ /ساعة.. فيكون فرق السرعة هو الزاوية بين الأرض، والقمر ( $0.5^\circ$ /ساعة).. وبالتالي يكون فرق الزاوية بين الأرض، والقمر 6 درجات فقط خلال 12 ساعة، وليس  $180^\circ$  كما هي في الواقع ..

8- عند تحميل شمس منتصف النهار على أوراق مليمترية بين مدار السرطان، ومدار الجدى تبين أن حركة الشمس بالنسبة إلى وقت الزوال بين المدارين خلال سنة قد رسمت الرقم الإنجليزي 8.. فلو كانت الأرض هي التي تنتقل حول الشمس بشكل اهليلجي لحدوث الفصول الأربعة كما يدعون؛ فانه حسب قوانين الميكانيكا يجب أن ترسم الشمس شكلاً اهليلجياً خلال سنة ميلادية..

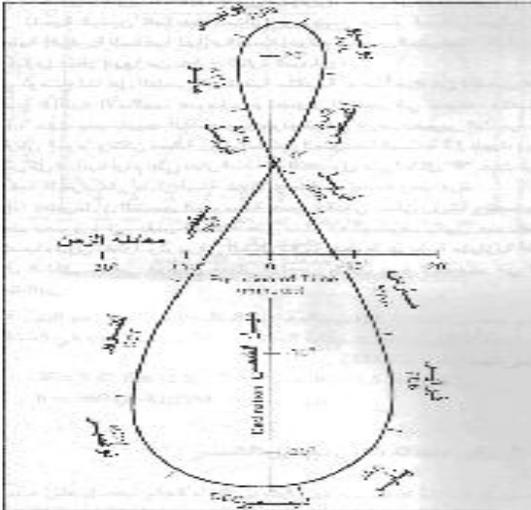
9- الأقمار الصناعية التليفزيونية ثابتة البعد عن الأرض؛ فلو تحرك القمر الصناعي من مكانه بمقدار متر واحد مثلاً.. فإن الجاذبية الأرضية لا تستطيع اعادته إلى مكانه، فاذا كانت الأرض تتحرك حول الشمس بسرعة  $10381.355$  كم/الثانية.. فكيف يمكننا استقبال ارسال القمر الصناعي على الأرض؟!.. فالصواريخ تدفع الأقمار الصناعية خارج نطاق الغلاف الجوى (لايتعدى 3000 كيلو متر فوق سطح البحر) الى ارتفاع 36000 كيلو متر كي تخرج من نطاق الجاذبية الأرضية.. فتوضع الأقمار في مدار معين، ولا تتحرك من مكانها، وكذلك لا يتحرك بها المكان الذى وضعت فيه، وبين الأقمار الصناعية في الفضاء ومحطات الاستقبال على الأرض خط مستقيم ثابت تماماً، وأى زحزحة بسيطة - تنتج عن دوران الأرض مثلاً - لا تمكن المحطات الأرضية، أو الأطباق الهوائية من التقاط ماتبته الأقمار..

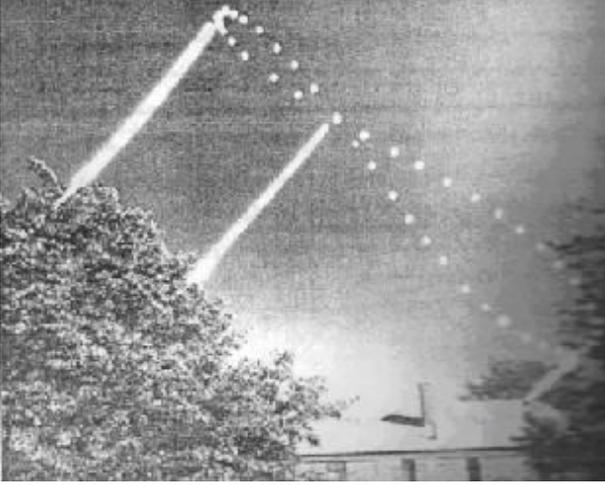
10- يوجد في خزانات سيارات نقل المياه حواجز تعمل كمصدات لحركة المياه تحافظ على مركز توازنها.. فلو كانت الأرض تدور حول الشمس بمدار اهليلجى فسوف تحدث حركة مياه عينية في المحيطات أعنف من تسونامى.. تخل بتوازنها..

**11** الغلاف الجوي المحيط بالأرض عبارة عن طبقات غازية، وينتقل عادة مع الأرض في دورانها حول الشمس.. فيجب حينئذ أن يكون سمك هذا الغلاف أمام حركة الأرض حول الشمس أقل من سمكه خلفها.. وفي الواقع فإن سمك الغلاف الجوي متساوي، ومتجانس في جميع الجهات، وفي جميع الأوقات..

**12-**تخترق الطائرة حاجز الصوت عندما تزيد سرعتها عن 1200 كم/الساعة؛ فيسمع لها صوت انفجار قوى.. فلماذا لا تحدث الأرض صوت هذا الانفجار عندما تنتقل حول الشمس بسرعة تتجاوز هذه السرعة بكثير جدا ..

**13-**لو كانت الأرض تنتقل حول الشمس بهذه السرعة الفائقة لارتفعت درجة حرارة الأرض، وتبخر الماء، واحتترقت الأرض.. كما يحدث مع الأجرام السماوية اذا دخلت الغلاف الجوي للأرض، وهم يتحدثون عن الحرارة العالية أثناء انطلاق سفن الفضاء بسرعة 27000 كم/ساعة.. فما بال سرعة دوران الأرض العالية جدا.. ولو كان الأمر كذلك لتمت مشاهدة مذنب للأرض من قبل رجال الفضاء الذين طاروا خارج الغلاف الجوي؛ ولاستطاعت الأقمار الصناعية التي طارت لمسافات بعيدة تصوير حركة انتقال الأرض حول الشمس ..





شكلاان يوضحان حركة الشمس بالنسبة الى وقت الزوال بين المدارين خلال سنة ترسم شكل الرقم الانجليزي 8) عن كتاب مبادئ علم الفلك الحديث (

**14-** لو كانت الأرض تدور حول نفسها بسرعة **1667** كم/ساعة عند خط الاستواء فسوف يزداد الوزن فوق القطبين بسبب تناقص سرعة دوران الأرض، وتناقص القوة النابذة في هذين الموضعين.. وفي الواقع فإن الوزن يتغير بين القطب، وخط الاستواء بمقدار جرامات قليلة فقط..

**15-** تنطلق الأشعة الكونية نحو الأرض بسرعة **100** مليون الكترون فولت، وهي عبارة عن جسيمات ذرية من البروتونات الطليقة في الغالب تأتي من أماكن لا يعلمها الا الله تصطدم بالغلاف الجوي، وتنهمر على الأرض من كل اتجاه لتخترق كل شيء على الأرض ليل نهار؛ وليس هذا فحسب.. فهناك قطع الصخور الصغيرة التي يعزونها الى بقايا نجوم متفجرة تنطلق أيضا صوب الأرض بسرعة **40** ميلا في الثانية، وتنصهر وهي على هذه السرعة عند احتكاكها بالهواء الأرضي، فاذا لم تكن الأرض ثابتة، وفي مركز الكون لما أصابها هذا الوابل.. ولو كانت الشمس هي المركز الثابت - كما يدعون - لوجب الاتجاه اليها حسب القوانين الطبيعية المتعارف عليها ..

**16-** ولو كان للشمس مجموعة - كما يدعون - لكانت متشابهة في كل خواصها الموجودة في الأرض.. أما أن تكون الأرض مختلفة تماماً في ظروفها عن باقي المجموعة.. فلماذا اقحام الأرض ضمن مجموعة الشمس التي لا تملك غلافاً جويّاً، ولا حياة، ولا حتى تمهيد لحياة ولا شيء، متشابه البتة.. فلماذا لا يدخل هذا ضمن الدجل العلمي؟!..!

**17-** اذا تحركت الأرض أى حركة سواء، حول نفسها، أو حول نقطة أخرى فستكون حركتها عنيفة جداً..

**18-** اذا كانت الأرض تدور فأى قذيفة تنطلق على سطحها ستقع جهة الغرب لدوران الأرض، ولا تصيب الهدف اطلاقاً..

**19-** كيف تستطيع الأرض الامساك بما عليها وهي تتحرك بهذه السرعة الكبيرة حول نفسها، وحول الشمس.. فاذا تحركنا بسرعة من فوق حصان، أو وسيلة مكشوفة أسرع من الحصان فاننا نشعر بالريح تعصف بنا من كل جانب الى الحد الذى يمكن به ازاحتنا عن المركوب، وكذلك دورات الرياح على الأرض التي تختلف شدتها من منطقة الى أخرى.. لا بد لها أن تكون شدتها واحدة اذا دارت الأرض؛ ولا بد أيضاً أن تكون في اتجاه واحد هو اتجاه دوران الأرض، وبسرعة واحدة تناسب مع سرعة دوران الأرض.. والأولى من هذا كيف تحافظ الأشياء المنفصلة عن الأرض، وقيم في الجو مثل السحب، والطيور، والطائرات، والصواريخ على حركتها في الجو مع وجود حركة سريعة للأرض..

**20-** قام كل من نيكلسون، وفيزو بقياس سرعة الضوء.. متوقعين تأثير سرعة دوران الأرض على هذه السرعة، وبالحساب توقعوا أن تكون الزيادة في السرعة **1.01 %**، ولكن المفاجأة أن سرعة الضوء لم تختلف عندما جربوا جهاز القياس في اتجاه دوران الأرض، وعكسه ..

وقد وضع أحد الباحثين، والمهتمين بهذا المجال رسوماً هندسية توضح حركة الشمس في عام كامل، وتكرره الشمس في دقة متناهية في رسم خطوط تعامدها على سطح الأرض كل يوم.. بمعنى أن عدد هذه الخطوط  $2 \times 182$  (دورتين في اليوم ذهاباً واياباً بين المدارين السرطان، والجدي) = **364** خطأ.. وهو مقدار

السنة الشمسية، مضافاً إليها زمن سجد الشمس تحت العرش مقداره 2.45 دقيقة لتكون 0.62 يوم.. تضاف الى 364 لتصبح 364.62 يوماً.. وليست 365.25 يوماً كما هو متبع..

ملاحظات على كتاب الحوار لجاليليو ودوران الأرض:

تصدر الكتاب عنوان النظامين الرئيسيين للكون فلا يخرج الكتاب عن كونه دفع فلسفية (غير تجريبية) لترجيح نظام دون آخر.. لكل رأيه الفلسفي، والفلسفة ليست حجة على العلم التجريبي..

نظرية الأرض الساكنة (بطليموس) تعتمد على فرضية وجود مركز مجرد للكون يؤثر على الأجسام الثقيلة فوق سطح الأرض، ويعمل على اقتربها من هذا المركز (السقوط الحر للأجسام فوق سطح الأرض دون قوة تدفعها للسقوط) أكثر مما تسمح من قابلية النفاذ اليه، ويعلل لنا هذا الوصف الشكل الكروي للأرض، وهو بدافع هذا الفرض تكون الكواكب، والنجوم كلها كروية كما رآها بمنظاره المكبر، ولكنه يعود ليؤكد معرفته (العملية بناء على تجربة قام بها.. هل ذكر تفاصيل التجربة؟..) أن تأثير الجسم الثقيل على جسم حر ساقط اليه يتجلى من ظهور عجلة رأسية ذات قيمة ثابتة، وهو يفترض أن الحركة الرأسية تلازمها حركة أفقية غير معجلة (لماذا؟.. وما لاثبات؟..) ويبدو أنها فرضية فقط لاثبات حركة الأرض..

وقد ثبت فيما بعد من الاكتشافات الفضائية القائمة على الاختبار العلمي أن الأرض من أكثر الكواكب جاذبية للأشياء الساقطة، وان كل الأجرام التي درست جاذبيتها أقل بكثير من الأرض مما يؤكد ثبات، ومركزية الأرض، وبالتالي الأشعة الكونية، والأحجار التي تصطدم يومياً بالأرض تؤكد مركزيتها، والا لما كان اتجاهها نحو الأرض فقط، ولو أنهم يعتقدون أن الفوهات الموجودة على القمر، والكواكب الأخرى حدثت من اصطدام النيازك بهذه الكواكب، أو ربما تكون فوهات براكين حارة، وليس لديهم اثبات لشيء حتى الآن ..

ويرى "أينشتين" أن حماس "جاليليو" للأفكار الكوبرنيقية أثر على قدرته على إصدار الأحكام العلمية الصحيحة..

ويؤخذ على الكتاب عند مناقشة النظامين "البطليموسى"، و"الكوبرنيقى" - كما ذكر العنوان - الميل نحو تمييز النظام الكوبرنيقى، وهو ما يخرج عن الحياء اللازم، والمشروط، والمتفق عليه في الحوار العلمى.. كما أن العنوان السابق الذى كان يقترحه المؤلف للكتاب، والذى أجبر على التخلي عنه كان حوارا حول "مد، وجزر البحار"، وهو من حسن حظ الكتاب الذى كان سيوارى في مجاهل النسيان لما ثبت حديثنا عن عدم وجود أى علاقة بين ظاهرة المد، والجزر، ودوران الأرض.. بل ثبت أن هذه الظاهرة لها علاقة بدوران القمر، والشمس حول الأرض، وليس العكس..

لم يشر جاليليو في كتابه الى أبحاث من سبقوه رغم أهميتها، وهما "تيشو براهى" (الفلكى الداخارى) الذى اكتشف نجما جديدا سنة 1572م، كما قام بتحسين أجهزة القياس الفلكية، ومهد لكبلر اكتشاف، ووضع قوانينه الكوكبية، والثانى "يوهانس كبلر" الذى عمل معاونا لتيشو براهى سنة 1600م في "براغ"، وتوصل لاكتشاف القانونين الأساسيين لحركة الكواكب، وهو ما يتنافى مع أبسط قواعد الكتابة العلمية، وأمانة العلم، واحترام زملاء العلم، وعدم تجاهلهم، والا ينسب له الجهل، وعدم الاحاطة، والالمام بما، وبمن حوله.. وماعدا ذلك فأى عبقرية علمية تحسب لمن يستعين "بأرسطو الفيلسوف" الذى ينتسب للمدرسة الاغريقية التى كانت تحقر التجربة، والعمل؛ حتى وصم أصحاب هذه المدرسة بالفلاسفة العمليين الذين كانوا يعلمون الشباب من أجل تقلد وظائف الدولة بالسفسطائيين، والمرترقة، ويتغافل عن علماء تجريبيين من عصره سبقوه في الرصد، ناهيك عن التفرغ والتخصص.. حتى يمكن القول انه كان بالنسبة لهم لم يخرج عن طور الهواية، والمراهقة العلمية..

يقول "ستيلمان دارك" المؤرخ الانجليزى في تقديمه للطبعة الألمانية الجديدة للكتاب:

"لقد كان من المهم لجاليليو معرفة أى الاجسام السماوية يتحرك فعلا وأيها يظل ساكنا لا يتحرك، وليس تفاصيل الحركة في حد ذاتها.."

أما المقولة الدينية التى اعتمدت عليها الكنيسة من الكتاب المقدس فهى نص "سفر يوشع" - الاصحاح العاشر - الآية رقم 13 من العهد القديم:

"-حينئذ كلم يوشع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني اسرائيل وقال أمام عيون اسرائيل يا شمس دومي على جبعون وياقمر على وادي أيلون، فدامت الشمس، ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه" .. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر؟ ..

"-فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل" ..

ان قرار الكنيسة بادانة الكتاب كان قائما على قراءة مستفيضة للكتاب (لكونها آراء فلسفية) .. فكانت القرارات منطقية أكثر من آراء جاليليو نفسه، وكتابه الذى قام على أسس فلسفية؛ تتخللها شروح لمشاهدات جاليليو بمنظاره الفلكي البدائي .. اعتمد على اثبات صحتها أساسا على الفلسفة، وليس على قوانين علمية وضعها كما فعل أحد معاصريه على أساس أرصاده، وهو كبلر ..

جاء في التهم الكنسية الموجهة اليه:

1- الانحياز المتكرر للتعاليم الكوبرنيقية ..

2- الجدل اللاذع ضد أعداء الكوبرنيقية - وهما يجيدا بالكتاب عن مساره الذى ألف بطريق الحوار الذى ينبغي ألا يؤيد رأيا على آخر؛ أو يسخر برأى لحساب رأى آخر ..

3- الزعم بأن هناك بعض الشبه بين الرؤية الالهية، والرؤية الانسانية للحقائق الرياضية، وهو مبدأ من مبادئ الكنيسة في الحفاظ على الدين، وقيمه ..

4- ارجاع ظاهرة المد والجزر الى حركة الأرض ..

وهو ما أثبت الفضاويون بعد ذلك عدم وجود علاقة بين هذا، وذاك، وأرجعوا هذه الظاهرة الى حركة القمر، وليس الأرض، وهو مافضه البابا من قبل، وأصر على ألا يكون المد والجزر هو موضوع الكتاب، وهو ماجعل للكتاب موقعا من الاعراب يعيش به بين الكتب حتى الآن ..

ويناقش الكتاب الآراء الفلسفية لنظامين احتدم فيما بينهما النقاش طيلة حياة البشرية .. وهما النظام الأرسطوطاليسى البطليموسى الذى يجعل الأرض الثابتة مركزا للكون، ومن ثم فان كل ماعداها من شمس، وقمر، وأفلاك تدور حولها وهو

ما اعترف على تسميته بالنظام الأرضي للكون، والنظام الفيثاغورسي الكوبرنيقي والذي عرف بالنظام الشمسي حيث يجعل الشمس هي المركز والأرض تدور حولها.. ولم يلق هذا النظام تأييدا كبيرا من الفلاسفة في حينه ..

والتسلسل التاريخي هؤلاء كان بداية بأحد مفكرى عصر ما قبل الفلسفة وهو "فيثاغورس" **Pythagoras** الرياضى الشهير الذى ولد فى "ساموس" حوالى 580 ق.م. والذي قال بأن العالم جرم كروى حى مركزه الأرض (يعنى قال أيضا بمركزية الأرض)؛ ولكنه افترض أن الأرض هي الأخرى جرم كروى يدور كما تدور الكواكب من الغرب الى الشرق.. وهو صاحب "نظرية الأعداد"، والنظرية الشهيرة "للمثلث القائم الزاوية"، ومؤسس مدرسته التى تابعه فيها فلاسفة مثل "فيولاولوس" **Philolaus**، و"هيرقليدس" **Heraclides**، و"اكفانتوس" **Ecphantos** الذين تكلموا عن حركة الأرض بطريقة غير محددة، وعلى أساس غير دقيق، ولا يختلف عنهم فى ذلك سوى "أريستاخ الساموزى" الذى تحدث بجزم أكبر مما جعل تعاليمه تتهم بالزندقة..

ثم جاء أرسطو أبان عصر الفلسفة الذى ولد حوالى عام 384 ق.م. وقال أن الأجسام السماوية كلها كرات، ويؤكد ذلك بالنسبة للأرض بنوع خاص لأنه لا يستطيع تفسير شكل القمر اذا خسف بسبب اعتراض الأرض بينه وبين الشمس الا اذا كانت الأرض كروية، ويعتبر أرسطو أبو العلوم الطبيعية الموثقة بكتاباتاته التى لا بد أنه أخذها عن عدد لا يحصى من الكتابات، والبحوث، والمشاهدات السابقة عليه خاصة عصر ما قبل الفلسفة حتى قال عنه "ديورانت" فى كتابه "قصة الحضارة:"

"-لم يكن من المستطاع أن ترقى العلوم الطبيعية فوق الحد الذى وصلت اليه على يديه الا بعد أن أمدتها الاختراعات بأجهزة، وآلات أوسع مدى، وأدق فى الرصد، والقياس" .. وليس أدل على هذا مما ذكره جاليليو عنه، وعن أفكاره، ونظرياته الطبيعية خلال كتابه الحوار الذى خصص أحد المحاورين الثلاثة الذين اشتمل عليهم الكتاب ليتحدث عن آراء أرسطو فقط، ونظرياته الطبيعية التى تحدث فيها عن السماء، ومافيهها، والأرض، وماعليها بما لا يختلف كثيرا عن أى متخصص

في أيامنا هذه التي حدثت فيها الطفرة التقنية غير المسبوقة، وهو ما نشتم منه تقدير جاليليو لهذا الرجل..

أما "كلوديوس بطليموس" Claudius Ptolemaios الفلكي، والرياضي، والجغرافي "المصري السكندري" الذي ولد سنة 85 م. اهتم بدراسة مشاهدات، وعلوم أسلافه - مثلما فعل أرسطو - فمكنته بصياغة نظرية متكاملة عن "بناء الكون" تعتمد على اعتبار الأرض ساكنة في مركزه، وتدور الكواكب السبعة - ومنهم الشمس، والقمر - حولها في مدارات ثابتة شبه دائرية، وقد سطر أفكاره هذه في مؤلفه الرئيسي "النظام الفلكي الأكبر Construtio mathematica" الذي ترجم إلى العربية باسم "رسائل الجوسى"، أو "الماجسطى" Almagest، وترجم من العربية إلى اللاتينية في القرن الثامن عشر..

ولد "نيكولاس كوبرنيكوس" Nikolas Coppernicus سنة 1473م. بمدينة "تورن" (بولندا الآن) وهورياتي، وفلكي.. قام بدراسته بإيطاليا حيث درس الفلك، ثم الطب، وبدأ في صياغة آرائه حول النظام الشمسي في مؤلفه الرئيسي عن علم الفلك.. وهو "الكتب الستة حول مسارات الأجسام السماوية" الذي صدر سنة وفاته 1543م. وظل في متناول الدارسين حتى صدر ضده مرسوم إدارة السجلات سنة 1616م..

وقد افترض أن الكواكب تدور في دوائر كاملة حول مركز ثابت، وهي الشمس الساكنة دائما.. ويدور القمر حول الأرض.. وكلاهما يدور حول الشمس (المركز الثابت)؛ وهي نظرة استمدت جذورها من بعض أفكار الفيشاغورسيين تحتل الصدق، والكذب، ولا تملك ما يعضدها، ويؤهلها للحديث عن الحقيقة، أو ماهو واقع في الكون بالفعل، وهو ما جعل الكنيسة لاتعيرها أى اهتمام.. فعاشت بين أروقتها طيلة سبعين عاما دون اتمام، كما عاش صاحبها متدرجا في سلك الكنيسة الوظيفي بوصفه أحد رهبانها الأجلاء.. فعاش، ومات، وذكر بعد ذلك كواحد من أنصارها المكرمين دون أن يمسه، أو يذكره أحد بأذى..

ورغم هذا فقد طالت هذه الفرضية أحد معتققيها من رواد الكنيسة؛ وهو "جيردانوا برونو" Giordano Bruno الذي حرقته سنة 1600م..

# هـيروغلفية شامبليون والتاريخ المصرى القديم

استعان شامبليون بنقش عشر عليه بجزيرة فيلة فى أسوان يحتوى على خرطوشتين ملكيتين لاسمى بطليموس، وكليوباترا تشترك فى حروف . . P, O, L

استفاد من نصوص مؤلف قديم مجهول شرح بطريقة غامضة خرج منها بأن القيمة الصوتية للرموز المصرية تؤخذ من الحرف الأول لاسم الشكل الذى يمثل ذلك الحرف، فاذا ماتعرف على رمز بحث عن اسم له باللغة القبطية، وأخذ من ذلك الرمز (الشكل) الحرف الول المنطوق بالقبطية . .

ملأ شامبليون الفراغات الشاغرة فى اللغة الهيروغلفية بتخمين المعنى القبطى للكلمة الاغريقية وسط الحروف التى تعرف عليها، فأمكنه بذلك حل رموز 79 اسما ملكيا مختلفا . .

وردت هذه الملاحظات عن ترجمة، واكتشاف شامبليون للغة الهيروغلفية فى كتاب "معجم الحضارة المصرية القديمة" الذى كتبه 6 من مشاهير علماء الآثار فى العالم . .

فقد اعتمد شامبليون على الحرف الأول للكلمة المنطوقة بالقبطية على تفسير الأجدية.. فكثيرا ماتوجد حيوانات، وطيور لها أكثر من اسم، وهى أشكال تواجدت فى الهيروغلفية المصرية.. فنجد مثلا عندما رأى رسم الأسد فى الخرطوشتين بأسوان ترجمه على أنه حرف "اللام" نظرا للمعنى الأسد بالقبطية، وهو Laboi فكيف يؤسس باحث أصول لغة كلغة مصر القديمة(الهيروغلفية) التى تميز أصحابها بحضارة 7000 سنة على أصول لغة أحدث لايتعدى عمرها 1000 عام تقريبا . .

وهذا الأسد الذى اعتبره شامبليون محور أبحاثه فى الهيروغلفية القديمة استقصى أحد الباحثين(8) رسمه على الآثار المصرية فى طول البلاد، وعرضها فوجده لم يظهر

كحرف من حروف اللغة الهيروغليفية الا في أواخر الأسرة 25 في الفترة من 751 الى 656 ق.م. .. بمعنى أنه لم يظهر من قبل خلال 25 أسرة حكمت مصر ضمن 30 أسرة . .

عيوب في طريقة قراءة الخراطيش الملكية :

لا يعقل أن شعبا وصل الى غايات التحضر، والرقى كسكان وادى النيل يكتب لغته بشكل همجي، وبطريقة تتنافى مع أدنى درجات التسلسل المنطقي كما صورها شامبليون.. فطريقته في القراءة تتعارض مع الطريقة التي تقرأ بها سائر اللغات على مستوى العالم قديما، وحديثا.. فاللغات اما تقرأ من اليمين الى اليسار، والعكس، أو من أعلى الى أسفل، ولكن شامبليون خرج عن المألوف، وجافى المنطق ليقراً اللغة الهيروغليفية تارة من أعلى الى أسفل، وتارة من أسفل الى أعلى، وتارة من المنتصف الى أسفل، ثم أعلى، ثم أسفل مرة أخرى.. طريقة غريبة، وعجيبة.. كيف تصبح أساسا علميا للترجمة؟! .. !

واعتمد شامبليون في ترجمته كلمة "رعمسيس" استنادا الى التوراة كاسم مكان بنى لفرعون، وجعل منه اسم لفرعون نفسه، وهذا غير منطقي.. ففي الاصحاح الأول(خروج 11):

[ -فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم؛ فبنوا لفرعون مدينتي مخازن قيثوم، ورعمسيس . . ]

وفي الاصحاح الثاني عشر(خروج 27):

[ -فارتحل بنوا اسرائيل من رعمسيس الى سكوت نحو ست مائة ألف ماش من الرجال؛ عدا الأولاد . . ]

وكذلك الاصحاح الثالث والثلاثين(خروج 5):

[ -فارتحل بنوا اسرائيل من رعمسيس، ونزلوا في سكوت . . ]

فرعون.. اسم علم لشخص وليس لقبا :

ترجم شامبليون اسم "فرعون" على أنه لقب، وأطلق عليه "بر-عا".. ومعروف علميا أن اللقب يسبق الاسم.. فهذا الشكل غير موجود في آثار مصر كلها من

الأسرة الأولى سنة 3200 ق.م.، وحتى الأسرة الثلاثون سنة 341 ق.م. على أي خرطوش ملكي لقدماء المصريين، أو داخله، أو بجواره، أو حتى بالقرب من أي خرطوش ملكي؛ والذي من المفروض احتوائه على اسم الملك.. فكيف يصبح هذان الحرفان لقباً؟!.. وكيف يصبح فرعون الذي يتكون من خمسة أحرف في ترجمته حرفان فقط هما "بر-عا.."

وعلى طول التاريخ المصري القديم؛ والذي تأكد خلاله دخول أربعة من الأنبياء مصر هم: "ابراهيم"، و"يعقوب"، و"يوسف"، و"موسى" عليهم السلام، وهناك من الباحثين من يؤكد وجود خامس سبقهم وهو "ادريس" عليه السلام، وهم جميعاً لم تذكرهم ترجمة شامليون، ولا يعرف أغلب علماء الآثار على مستوى العالم الفترة الزمنية التي عاشوا فيها في مصر على وجه التحديد، وفي أي الأماكن عاشوا بالضبط، وإذا كانت ثمة معرفة فهي ربما اعتماداً على التوراة فقط، رغم كثرة المصادر التاريخية المصرية القديمة التي عثروا عليها، وقرأوها بهذه الترجمة، وهو ما حدا بأحد الإعلام المصريين البارزين في العصر الحديث؛ وهو "طه حسين" من انكار وجود نبي مثل ابراهيم عليه السلام لعدم ذكر الآثار التاريخية له، رغم نشأته الدينية في الأزهر، وكان العلم قد بلغ منتهاه في زمنه ليصير على مكانته، وعلمه جاهلاً أخذ عن من هو أجهل منه.. وماسببه ذلك له من مشاكل، وصدامات مع السلطة، ومع غيره من المثقفين الذين نشأوا في مجتمع يسوده النظام الاقطاعي المحافظ ..

لم يجد رجال الآثار هذا الاسم، أو اللقب على أي أثر في مصر (شكل 1)، ولكنهم افترضوا خطأً أن كلمة فرعون مشتقة من اللفظ (بر-عا) أقرب الألفاظ لاسم فرعون.. فثبتوا على ذلك، واستراحوا، ولكن الحضارة الغربية التي تدعى المادية البحتة في كل شئونها، وأبحاثها، والتي اكتشفت تاريخنا الضارب في عمق الزمن، وقرآته اعتمدت الدين في تفسير غوامض التاريخ، فنقلت كلمة فرعون عن لفظ حقيقي رسمي في التوراة.. بل ان الأمر قد وصل الى أن "سجلات مصر"، و"العراق" قد حرفت على ضوء "النصوص التوراتية"، وأن كثيراً من المقولات، والمفاهيم أصبحت مسلمات لفترة زمنية طويلة بتأثير التوراة.. رغم وضوح الخطأ سواء أكان تاريخياً، أو منطقياً، أو جغرافياً.. فتقول التوراة على سبيل المثال في الاصحاح السادس (خروج 10، 11):

- [ثم كلم الرب موسى قاتلا ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق سراح بنى اسرائيل من أرضه . . ]

حتى التوراة - التي استعانوا بها في تفسير القرآن - ذكرت فرعون منكرا كاسم الملك مصر.. وبالخروج من اطار التوراة، والروايات الاسرائيلية التي بلى بها المسلمون أيضا طوال عصورهم - حتى الزاهية منها - وبالرجوع الى القرآن الكريم - أصدق الحديث - وقراءته بذهن خال، وصاف.. دافعين عنه أوهام الموروثات التوراتية، والروايات المزعومة، وقد احتوى بين دفتيه صحيح اللغة العربية التي تجزم بأن فرعون "اسما"، وليس "لقبا" بهذه الأدلة اللغوية من اللسان العربي الذي نزل به القرآن، والتي لم يقف عندها جهابذة التفسير قديما، وحديثا.. حيث استسهلوا النقل عن التوراة، والنقل عن بعضهم البعض :

1- لم يجمع الاسم على نحو "فراعين" أبدا في القرآن.. فأسماء الأعلام لا تجمع في اللغة . .

2- ورد الاسم ملازما لاسمين لشخصين من الأعلام قبلهما، وبينهما؛ مما تؤكد القاعدة اللغوية عن كون اللفظ بين اسمين اسما بالضرورة :

"-ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون" غافر . . 23

"-وقارون وفرعون وهامان وقد جاءهم موسى بالبينات" العنكبوت 39 . .

3- جاء الاسم مصحوبا بياء النداء، وهي من صفات الأسماء في اللغة العربية كما في الآية :

"-وقال موسى يافرعون" الأعراف 104 . .

ولو كان لقبا لجاء بالصيغة: "ياأيها الفرعون" مقترنا بالألف، واللام كما في الآية :

"-قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر" يوسف 88 . .

بل رصد القرآن حوارا بين موسى عليه السلام، وفرعون ينادى كل منهما الآخر باسمه المجرد كما في الآية :

"-فقال له فرعون ابني لأظنك ياموسى مسحورا" الاسراء 101 . .

ويجيبه موسى عليه السلام :

"-وانى لأظنك يافرعون مشبورا" الاسراء 102 . .

1- يذكر فرعون في القرآن مقتربا بموسى فقط، ولم يذكر مع نبي آخر ممن وطئت أقدامهم وادى النيل، مثلما ورد الملك كلقب دون ذكر اسمه في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، مما يدل على أنه اسم مقترب بالنبي موسى عليه السلام، والذي ذكر في القرآن مايقرب من 140 مرة، بينما ذكر فرعون في المقابل باسمه 74 مرة، أى بمقدار النصف تقريبا . .

2- لم يأت الاسم معرفا قط في القرآن مثل: الملك، والعزيز . .

3- ذكرنا من قبل فرعون في التوراة على أنه اسما مقرونا بصفته التي هي ملك مصر ممثلا بأحد النصوص في سفر الخروج، ولاغرابة أن تذكر توراة بنى اسرائيل الملك الذى سامهم سوء العذاب باسمه، ولقبه.. فضلا عن أعماله . .

فرعون .. من الهكسوس الأعراب :

الهكسوس - كما يسميهم اليونانيون- أو العمالقة، أو العماليق- كما يسميهم الاخباريين العرب في القرون الوسطى - أو دولة البدو في مصر، أو العرب - كما أشار اليهم المؤرخ اليهودى "يوسفوس -" Flavius Josephus" الذى عاش خلال القرن الأول الميلادى ؛ والتي نقلها بدوره عن الكاهن المؤرخ الإسكندرى المصرى "مانيتون" المتوفى في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد . .

وكان غرض يوسفوس الرفع من شأن قومه اليهود - الذين كان يحتقرهم كتاب الإغريق - والربط العنصرى بينهم؛ وبين الهكسوس . .

وكلمة عماليق مشتقة من جزئين :

"عم" .. بمعنى بدوى، وجمعها "عمو" .. بمعنى "البدو" . .

"ليق" .. مصطلح آرامى بمعنى "الجنود" . .

فيكون المعنى الكلى لكلمة العماليق: "الجنود البدو" والذين كان يتم تجنيدهم للعمل كفريق من الجنود المرتقة . .

وقد اختص القرآن بكلمة "الجنود" كل من فرعون، وثمود :

"-هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود" البروج 17 . .

فكلا الجند من العماليق الأعراب؛ وكانوا في دائرة مكانية واحدة؛ وإن أخذوا حيزاً زمنياً طويلاً نسبياً :

"-فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً" يونس 19 . .

"-واستكبر هو وجنوده في الأرض" القصص 39 . .

"-فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم" طه 78 . .

ويبدو أنهم كانوا كأمرء الممالك الذين أحاط كل منهم نفسه بجيش من الممالك ليكون مركز قوة مستقلاً بنفسه، فكما أن هناك فرعون.. هناك هامان.. ولكل منهما جند ربما كان مستقلاً عن الآخر :

"-ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" القصص 6 . .

" -إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين" القصص 8 . .

والأرجح أنهم كانوا لايتوارثون الحكم بمصر؛ وإنما كانوا يتناهبونه على غير نظام.. فرما اقتسمت طوائفهم المختلفة تلك السيادة.. فكثيراً ما أوردت كتب التاريخ حكم ثلاثة من ملوك الهكسوس في وقت واحد، وأماكن متفرقة.. فالفينيقيون - وهم من أهل الحضر - أقاموا منازلهم بجوار "المتزلة" .. أما العماليق - وهم البدو - فأقاموا على "أطراف الدلتا" .. فما هم الا اتحاد من ثلاث قبائل متحالفة، وأبناء عمومة، وأقارب ذو منشأ واحد، وأصل مشترك وهم :

\*العماليق :

أعراب من بقايا قوم عاد الذين كفروا بالنبي هود، ويقول عنهم الهمداني في كتابه مختصر تاريخ البلدان أن منازلهم كانت في موضع صنعاء اليوم، ثم خرجوا فترلوا مكة، ولحقت منهم طائفة بالشام، ومصر، وحكمهم فرعون، وجنوده . .

\* بنى يهودا :

أعراب من بقايا قوم عاد الذين آمنوا بالنبي هود واتبعوه، وحكمهم هامان، وجنوده. .

\* بنى اسرائيل :

أهم القبائل العبرية التي جاءت متعلقة بأذيال العماليق، ونعرف مدى ترحيب الهكسوس بهذه القبيلة حتى وصل أحد أفرادها؛ وهو يوسف ليكون الرجل الثاني في دولة الهكسوس قبل الانقلاب عليهم، وحكمهم قارون. .

ولم تكن كلمة هكسوس معروفة في عهد "مانيتون" - فهو أول من استعملها - ومما ذكره :

- أول عهدهم أيام "تتمس" Tutimaeus بدون نشوب حرب .

1- أول ملك منهم "سلاطيس" في مدينة "منف"، حكم 19 سنة. .

-مقاطعة Sethroite مقامة على الجهة الشرقية من فرع "بوسطة" كحصن فيه حامية قوامها 240.000 رجل مسلحين. .

2-حكم بعده "بنون" 44 سنة. .

3-حكم بعده "أباخناس" 36 سنة؛ وسبعة أشهر. .

4-حكم بعده "أبو فيس" 61 سنة. .

5-حكم بعده "يناس" 50 سنة؛ وشهراً. .

6-حكم بعده "أسيس" 49 سنة؛ وشهرين. .

وكلمة هكسوس تعنى كلمة الملوك الرعاة؛ فكلمة "هك" في اللغة المقدسة تعنى "ملك"؛ أما "سوس" فتعنى "راعى"، أو رعاة في اللغة الدراجة.. وكلمة "حقا" معناها "حاكم"، وكلمة "شاسو" معناها "بدوى" في اللغة المصرية، ومن الجائز أن شاسو كتبت بالإغريقية "سوس"، وبالقبطية "شوس"، والرأى المتفق عليه الآن في تفسير كلمة "هكسوس" هو أنها مركبة من كلمتي "حقاو"، و "خاسوت" ومعناهما معاً هو "حكام الأقاليم الأجنبية"، ومما تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفاً

في المصادر المصرية في عهد مبكر يرجع للأسرة السادسة، وظل مستعملاً حتى عهد البطالمة، وهذه فترة أطول بداهة من العصر الذي احتل فيه الهكسوس البلاد المصرية؛ وليس لدينا من البراهين القاطعة الآن ما يثبت أن هذه العبارة كانت تطلق على الهكسوس فحسب؛ غير أننا من جهة أخرى نلاحظ أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار، أو على الجعارين "حقاو خاسوت" أى "حاكم البلاد الأجنبية" .. مثل الملك "حيان" ؛ "سمقن"، و"عنات هر" فقد لقب كل منهم بهذا اللقب، وذلك في النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد الهكسوس من مصر، والظاهر أنهم كانوا يسمون "عامو" أى الآسيويين في عهد الهكسوس أنفسهم ..

يعدد المؤرخون المعاصرون ثلاث أسرآت للهكسوس في مصر هم :

- الأسرة الخامسة عشرة: ست ملوك مذكورين قبل ذلك ..

- الأسرة السادسة عشرة: 32 ملكاً ..

- الأسرة السابعة عشرة: 43 ملكاً.. ومثلهم من الطيبين في الجنوب جنبا

لجنب في نفس مدة الحكم ..

ورغم عدم وجود تسلسل تاريخي لهم يمكن الإعتماد عليه، مع وجود أحداث رابطة فيما بينهم، إلا أننا نلاحظ على بعض منهم عن طريق جعارين فقط وجدت بأسمائهم فكرة الألوهية لبعضهم مثل :

- الإله الطيب رب الأرضين - ابن الشمس - أبو فيس ..

ومع التآليه فقط دون بنوته للشمس مثل :

1- الإله الطيب "عا حتب رع .."

2- الإله الطيب "سرو سر رع .."

3- الإله الطيب "وازد .."

4- الإله الطيب "سخع وسر رع .."

5- الإله الطيب "سخع ف رع .."

6- الإله الطيب "ماع اب رع .."

7- الإله الطيب "نب تاوى رع .."



شكل يوضح نماذج من الخراطيش التي كان يكتب فيها اسم الملك، حيث لا نجد كلمة فرعون داخل أي خرطوش طوال الأسر التي حكمت وادي النيل(عن كتاب فرعون موسى من قوم موسى . . )

في تلقيب تلك الامبراطورية بدولة الرعاة، ويثبت أيضا القرآن الكريم - وهو أوثق الأقوال - كونهم بدوا؛ جاءوا من الصحراء من خلال خطاب يوسف عليه السلام لأبيه بعد دخوله، وعائلته الى مصر في سورة يوسف التي أوردت سيرتهم بشيء من التفصيل لايخل بالعرض الأسمى للقرآن كمنهج في التربية القائمة على القدوة الحسنة، والمثل الأعلى :

"-وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين(99) ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو(100) . . "

فتذكر الآية الكريمة أصلهم البدوي الذي جاءوا منه، فلم يكن الهكسوس شعبا واحدا كما بينا.. بل أحلاف من جماعات، وقبائل شتى من العماليق الأعراب، والعبرانيين من بني يهوذا، وبني اسرائيل؛ التي هي من أهم القبائل التي جاءت متعلقة بأذيال العماليق، ومنهم كل الأنبياء الذين أرسلوا لأحلاف الهكسوس، ونعرف مدى ترحيب الهكسوس بهذه القبيلة، وكيف أكرموها، وأعطوها أفضل الأراضي الزراعية(مع أنهم كانوا بدوا، ولم يكونوا أهل زراعة).. كما وصل أحد أبنائها وهو يوسف عليه السلام ليكون رجلهم الثاني في البلاد بعد الملك كما ذكرنا، وذلك قبل أن ينقلبوا عليهم بعد ذلك، ويحاربوهم.. ويكشف القرآن الكريم عن هذا الاتصال التاريخي، والعرقى للقوم :

"-واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا" المائدة 20 . .

ومن القرآن أيضا يؤكد مؤمن آل فرعون هويتهم المتصلة بالهكسوس فيقول :

"-ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب" غافر 34 . .

ويلاحظ أن جميع المؤرخين المسلمين يؤكدون أن ملوك العماليق، والهكسوس هم فقط الذين يحملون لقب فرعون، وليسبب ما.. ربما طغيان الغرب، والأفكار الاستعمارية، والاستسهال؛ لم يهتم أحد بما قاله هؤلاء المؤرخون عن فرعون خاصة.. بل واتهموهم بالتهويل، والمبالغة (مع أن ما اكتشفه الغرب من تاريخنا القديم كأدلة مكتشفة من الندرة التي جعلتهم يبنون حول هذه الاكتشافات الألاف المؤلفه من صفحات المراجع التي مآراها الا تقع تحت بند الارهاصات التي قد تصح، وتخطىء.. فضلا عن التهويل في الصحيح، والخطيء..).

وقد ذكر القرآن الحاكم في وجود النبي يوسف عليه السلام فترة حكم الهكسوس بالملك :

"-وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان" يوسف 43 . .

"-وقال الملك انتوني به" يوسف 50 . .

"-قالوا نفقد صواع الملك" يوسف 72 . .

"-ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك" يوسف 76 . .

لماذا اعتبر المصريون الهكسوس العرب محتلين؟!.. رغم احترام الهكسوس لهم، ولديتهم.. هل لأنهم سمحوا لليهود بدخول مصر أيام سيدنا يوسف عليه السلام؟.. بل وسمحوا لهم بتوليهم بعض المناصب، مثلما كان سيدنا يوسف عزيزا لمصر في أيامهم.. يذكر كتاب "معجم الحضارة المصرية القديمة" أن كلمة "مصر" وردت في التوراة 680 مرة، وفي مادة "الخروج" من الكتاب أن علم الآثار المصرية يلقي مزيدا من الضوء على ماضى نكبة الاسرائيليين.. بيد أن الآمال ضعيفة جدا في العثور في مصر على دليل استيطانهم، حتى النصوص الهيروغليفية لم تذكر شيئا عن ذلك، ولا عن موسى عليه السلام.. وهذا دليل على أنهم عاشوا على هامش الدولة المصرية القديمة.. التي عاشت مشاكلها، وأحداثها دون النظر كثيرا الى الحدود، وما هو خارجها خاصة في عصرى أسرات الدولة القديمة، والوسطى.. حيث لم يبدأ الاهتمام كثيرا بالخارج الا في عصر الدولة الحديثة . .

فقد تخلصوا اذن نظام الحكم المصرى، واتخذوا رموزه، وألقابه، وتقاليده، ومعتقداته.. وعندما جاء موسى عليه السلام جعل يذكر قومه بكافة طوائفهم بما أنعم الله عليهم من الملك، والنبوة:

"-واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين" المائدة 20 . .

"-واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى" الصف 5 . .

فقد جاء أصلاً لينقذ بنى اسرائيل الذين هم جزء من المهكسوس من قوم فرعون الطغاة.. البغاة، الذين لا يأمون لدين، ولا لرسالة.. فان كان قومه بنى اسرائيل فقط لما اهتمهم باذائه.. ولكن الايذاء كان يأتيه هو، وبنى اسرائيل من فرعون، وملائته.. حيث يبدو هذا الايذاء من عتابهم لموسى عليه السلام:

"-قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا" الأعراف 129 . .

وكان الايذاء شاملاً، ومستمر حتى خاف بنو اسرائيل من الجهر باتباع موسى؛ الا الشباب الذى كان من الممكن تحمل هذا الايذاء :

"-فما آمن موسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائتهم أن يفتنهم" يونس 83 . .

كما نلمح من القرآن وحدة القوانين، والتشريعات عندما أعلن مساعدوا يوسف عليه السلام عن سرقة في البلاط الحاكم بين من جاءوا من البدو:

"-ثم أذن مؤذن أيتها العير أنكم لسارقون(70)قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون(71)قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم(72)قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين(73)قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين(74) قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك تجزي الظالمين(75)" يوسف . .

فالاحكام متداولة لديهم في حد السرقة..وهو استرقاق من يسرق فيؤخذ بسرقة؛ فالمسروق صواع الملك، والجائزة حمل بعير- وهو ما لم يكن معروفاً لدي

المصريين سكان وادي النيل- والجزء لم يستغربوه كحكام تسري احكامهم علي  
الحكومين، والمتعاملين معهم، وقد ارتضوه عندما حكموا هم علي أنفسهم . .

ومن سياق القرآن في حديث يوسف عليه السلام عن دين هؤلاء القوم :

"-أني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون" يوسف

.. 37

وهو ما تعجب له يوسف عندما عاش بينهم.. شرك بالله الأحد.. وليس شريكا  
واحدا بل شركاء، ومتفروقون ثم يسمونه دين فخرج من هذا الى الدين الحق :

"-واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من  
شئ ذلك من فضل الله علينا وعلي الناس ولكن أكثر الناس لا  
يشكرون(38)ياصاحبي السجن أرباب متفرقون خيرا أم الله الواحد القهار(39)ما  
تعبدون من دونه ألا أسماء سميتوها أنتم وأبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أن  
الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا  
يعلمون(40)"يوسف . .

ونستشف هذه القرابة ايضا من التاريخ حيث أورد د. سليم حسن في كتابه  
مصر القديمة - الجزء السابع :-

"-قد أوضحت وأكدت بكل صراحة اعتقادي بأن القصة: "قصة خروج بني  
إسرائيل من مصر" في مجموعها تعكس لنا صورة حادثة تاريخية معينة؛ وهي طرد  
الهكسوس من مصر، ويجب أن أضيف هنا بأن هذه النظرية ليست جديدة فقد  
وضحها الدكتور هول في كتابه: "تاريخ الشرق الأدنى القديم . ."

وهناك أدلة قرآنية أخرى دامغة تدل على أن فرعون من قوم موسى عليه  
السلام.. فالقاعدة القرآنية :

"-وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم" ابراهيم 4 . .

"-أكان للناس عجا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس" يونس 2 . .

ولم يستثن من ذلك الا خاتم النبيين جميعا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي  
جاء لقومه، وللناس أجمعين :

"-وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا" سبأ 28 . .

"-اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم" آل عمران 14 . .

ولموسى، وقومه خاصة :

"-ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور" ابراهيم

. . 5

والقوم هم بنو اسرائيل خاصة، وقبائل الأعراب عامة، والتداخل بينهم كان واضحا من العلاقة الوثيقة بين قارون الرأسمالى الكبير الذى كان من بنى اسرائيل وبين فرعون، وملائه دون حواجز، أو حدود.. ونلمح من هذه العلاقة الحرية الاقتصادية التى كان يمنحها فرعون لبنى اسرائيل فى الاتجار، والاثراء، واستغلال مناجم سيناء مادام هو المستفيد من هذا الزواج بين السلطة، ورأس المال :

"-ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم" القصص 76 . .

والبغى على قومه لا يكون الا بالتمكر لهم، والتودد لأعدائهم.. فرعون وملائه، والمنتسبين له.. فقد كان عوناً لفرعون على قومه من بنى اسرائيل . .

وقد جمع القرآن بينهم فى الفساد، والافساد :

"-ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين(23) الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب(24)" غافر . .

"-وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات" العنكبوت 38 . .

وكما ذكرنا.. دخل الفساد، والافساد الى بنى اسرائيل أنفسهم من هؤلاء الأعراب الذين طغوا، وضلوا حتى طال آذاهم موسى نفسه عندما جاءهم :

"-واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين" الصف 5 . .

ولكل قوم ملاء.. وهم هنا شيوخ الأعراب، وشيوخ بنو اسرائيل الذين كانوا يمنعون القوم من الايمان، واتباع موسى.. فقد كان جل الاسرائيليين على هوى فرعون، وملائه.. بل كان منهم من يلتفت حول فرعون، ومن بطانته مثل

قارون الذى يقال انه كان ابن عم موسى نفسه، وكان من دعائم ملكه، وسطوته حتى على قومه.. اذا.. فهم خليط عجيب، وقريب من الأمم ذات الطباع المتباينة، والتي لا يتبادلون فيما بينهم الا الدميم منها . .

ذكرنا أن فرعون تولى أمر الهكسوس بمختلف طوائفهم، وكان فرعون قد رأى كهانته، ونجومه أنه يجرى هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين؛ فمنعهم من المناكحة ثلاث سنين التى رأى أن ذلك المولود يولد فيها.. فناصر بنى اسرائيل العدا، وبدأت المواجهة :

"-ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين" القصص 4 . .

ثم جاءت الحادثة الكبرى التى أظهرت مدى تحرش ملأ فرعون الذين اتخذوا مظاهر السيادة، والاستعلاء بقوم موسى من بنى اسرائيل :

"-ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها" القصص 15 . .

ان فرعون قد أصدر أمرا بعدم دخول موسى، وشيعته المدينة، وهو من مظاهر التفريق بين الهكسوس باستعلاء طائفة على أخرى.. بل واضطهادها، ومن هنا وجد موسى عليه السلام نفسه أمام مشكلة، وهى أن هناك من يتشاجر مع أحد شيعته بسبب دخوله المدينة.. وربما كان دخوله خلسة أيضا كما دخل موسى :

"-فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه" القصص 14 . .

ومن هنا :

"-فأصبح فى المدينة خائفا يترقب" القصص 18 . .

فالمأى يأتمرون بموسى ليقتلوه بمقتل أحد الأفراد الذى يبدو أنه على صلة قرابة منهم.. والذى وشى به واحد من شيعه موسى.. أما وأنه من نفس القوم(الهكسوس).. فوجب القصاص الداخلى.. أى المطالبة برأس موسى.. والذى حكم بذلك المأى من الطوائف المختلفة، وتشى التوراة بهذه القرابة؛ فتقول فى سفر الخروج(2/13):

[ -ثم خرج موسى فى اليوم التالى واذا رجلا ن عبرانيين يتخاصمان . . ]

وكانت النتيجة :

"- وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياموسى ان الملائة يأترون بك ليقتلوك  
فاخرج" القصص 20 . .

إذا.. فعامة الناس تعيش فى وسط المدينة؛ أما الخاصة، والملائة فيعيشون  
على الأطراف(فى أقصى المدينة)، وهذا الناصح الأمين - احب لموسى - جاء من  
هناك من ناحية الملائة المؤتمرين.. ومن المحتمل أن الملائة بعثوا بهذا الرجل ليقترح على  
موسى الخروج من المدينة سالما دون قتل؛ فيستريحوا منه، ومن دعوته، وكأنها  
مؤامرة فرعونية . .

وربما كان هذا الرجل هو مؤمن آل فرعون، واسمه سمعان بن اسحاق، أو  
حزقييل بن صبورا حسب الروايات التى تقول انه كان اسرايليا من قوم موسى، وفى  
نفس الوقت ابن عم فرعون، وعندما حذر قومه، وضرب لهم الأمثال.. ذكر لهم  
أقوام من العماليق قبلهم مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، وهم منهم ليسوا ببعيد..  
زمانا، ومكانا، وعندما يعظهم موسى يذكر لهم أيضا نفس الأقوام :

"- وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم  
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم" غافر 30 . .  
ويقول موسى لقومه :

"- ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم"  
ابراهيم 9 . .

ويصرح القرآن بالذين من بعدهم فى موضع آخر :

"- وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود(42) وقوم ابراهيم  
وقوم لوط(43) وأصحاب مدين(44)" الحج . .

والأسماء: هامان.. قارون.. هارون.. فرعون؛ من السهل ردهم لأصل  
مشترك واحد، ولصلة قرابة تجمع بينها، فكلهم ينتمون للغة واحدة بمخارج،  
وألفاظ متقاربة، وموزونة.. وهى من اللغات العروبية . .

الأصل والنشأة فى التاريخ الحديث :

كانت الفكرة الراسخة في أذهان بعض المؤرخين إلى وقت قريب أن هؤلاء الغزاة قد انقضوا على الديار المصرية فجأة من بلادهم الأصلية، واستولوا عليها عنوة في فترة كانت مصر قد بلغت فيها من الضعف، والوهن حداً بعيداً بسبب الحروب الداخلية، ولكن اتضح أن هذا زعماً خاطئاً من أساسه، بل الواقع كما تؤكد المصادر التاريخية الحديثة (3) أنه توجد أسباب عدة تدل على أن هؤلاء الغزاة كانوا قوة ثقافية في وادي النيل منذ عهد الملك سنوسرت الثاني 1906-1887 ق.م.، أى منذ عهد الدولة الوسطى.. عندما كانت مصر في أوج عظمتها أبان عصرها الذهبي، وتدلل الشواهد على أنه لا توجد أسباب تدعو للشك في أن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام 1730 ق.م.، ولكن من الطبيعي أن المؤثرات الثقافية التي كانت موجودة قبل ذلك التاريخ في الأقطار الآسيوية المجاورة قد تركت أثرها إلى حد ما في مصر، ومن المحتمل أن المصريين أنفسهم قد نقلوها إلى بلادهم

..

والحقيقة الوحيدة هي أن الهكسوس لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة، بل وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة، ظلت تزداد في عددها إلى أن أصبح لها سلطان عظيم في البلاد مثلهم في ذلك كمثل الكاسيين الذين استولوا على بابل بهذه الطريقة، حتى أن هذه العناصر المختلفة الجنسية أصبحت فيما بعد عاملاً سياسياً قوياً أدى إلى جعل البلاد تحت سلطانهم، وعلى هذا الأساس ظهرت أول أسرهم في مصر، وهي الأسرة الخامسة عشرة في بلدة "أواريس" . .

وعلى الرغم من القليل الذي يعرفه المؤرخون المعاصرون عن موضوع أصل الهكسوس المعقد فإنه مع ذلك يحتل أن عدداً من السلالات قد اشتركت في نشأة الهكسوس؛ وأن هذه السلالات تحتوي على عنصر سامي واضح قد اختلط فيما يطلق عليه هجرة الهكسوس، ويشمل ذلك "العامورين"، و"الكنعانيين" في "فلسطين"، و"سوريا" حوالي 2000 ق.م. . . وقد اعتمدت المصادر التاريخية الحديثة على عدة مصادر متباينة لأصل الهكسوس، ومن أين أتوا.. وذلك بتتبع كل أثر عن الهكسوس من أشكال معدنية معينة، وأسلحة، وكذلك العربية، والحصان فكانت هناك مصادر تنتمي إلى "سومر"، و"بلاد الرافدين"، ومصادر تنتمي إلى أقوام آرية "هندوأوروبية" ولكنه احتمال بعيد.. وقد ساعد هذا الغموض أنهم على ما

يظهر عندما انتهى بهم المطاف في مصر اتخذوا اللغة المصرية لغة لهم، واتخذ ملوكهم الألقاب المصرية، وفي بعض الحالات كانوا يحملون الأسماء المصرية الأمر الذي غطى على سمات أصولهم اللغوية . .

والظاهر أن "الخورانيين" كانوا ضمن تكوين العناصر الهكسوسية نتيجة البحوث الحديثة من تشابه الصناعات التي كانت قائمة في شمال بلاد الرافدين التي سادت فيها اللغة الخورانية في عهد الهكسوس المتأخر، والتي جاءت عن طريق هجرة واسعة النطاق يحتمل أنها بدأت من "أرمينيا"، وهو ما صيغ مدنية فلسطين، وسوريا بثقافة حورانية شديدة في عهد الهكسوس المتأخر؛ وهو ما نلاحظه من العلاقة بين القوانين الخورانية، وما جاء به الرسل العبرانيون . .

وقد يكون "للخيتا" نسبة في الهكسوس لنفس السبب الذي من أجله نسب إليهم الخورانيين، وهو الجوار؛ والذين تلاقوا معهم في غارات قاموا بها على سوريا، وبلاد الرافدين مما تؤكد متون ملوكهم؛ بيد أن موقع هؤلاء القوم من الغموض في وثائقهم إلا بالترجيح أنهم سكنوا شمال سوريا.. وكذلك لدينا عنصرا آخر يحتمل عده من الهكسوس وهم "الخبيرو"، أو "الخابيرو"، والذين كان أول ظهورهم في التاريخ في "وادي الرافدين" حوالي نهاية "الألف الثالثة ق.م."؛ وكان لهم اتصال بالخورانيين فيما بعد، وهم يتألفون من سلالات مختلفة، ويحمل معظمهم أسماء سامية . .

ورغم هذا فهم يمكن أن يكونوا "طائفة لا جنسا"؛ له طابعه الخاص، وذلك بعد تطوره فيما بعد إلى "طائفة اليهود" التي وجد لهم بعض الآثرين تعابير خاصة في بعض المتون تنطبق عليهم وهي: "أغراب" - "عبيد مغيرون" - "جوالون" - "أعداء" - "أجانب" - "مخاطرون" .. وفي حين أن غالبيتهم "ساميون" فإنهم كانوا في العادة على اتصال وثيق بالعنصر الخوراني المنتسب إلى الهكسوس، ولما لم يكن هناك وحدة "جنسية"، أو "لغوية" بين "الخبيرو" القدامى، فإنه من المحتمل عدم وجود "وحدة ثقافية" بينهم (وهو ما يميز العرب عنهم فيما بعد.. الذين كانت لهم وحدتهم اللغوية، والثقافية رغم تعدد اللهجات، واتساع الرقعة التي نشأوا عليها في الجزيرة العربية . .)

ويمكن البرهنة على وجود علاقة بين الحقائق التي لاحظها المؤرخون المعاصرون، وبين قصص الأنبياء، فمن المحتمل أن إبراهيم هو "ها عبرى"، أى "البدوى". . قد صور يزور مصر في رحلة سلمية، وقد تم المقارنة بين رحلته، ورحلة "ابشا" الذى سار على رأس قافلة لزيارة مصر في عهد "سنوسرت الأول"، ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو الذى لاحظ فيه هؤلاء المؤرخون المعاصرون لأول مرة أدلة على وجود الهكسوس في مصر، وبعد فترة من الزمن دخلت كل من أسرة "يعقوب عليه السلام" مصر، واتخذوها موطناً لهم، ولا نزاع في أن قصص الأنبياء تحفظ لنا بين ثناياها ذكريات في حوادثها لها "قيمتها التاريخية"، وقد أماط عن بعضها الكشوف الأثرية الحديثة.. من ذلك القصص التي تحتوى عناصر من القانون الحوراني، وتدل شواهد الأحوال على أن "يوسف" عليه السلام كان "وزيراً" لأحد ملوك الهكسوس في مصر، وكذلك الآراميون يجوز أنهم كانوا ضمن هجرة الهكسوس، وقد وصف "يعقوب" بأنه "آرامى جوال"؛ في وقت كان يميز فيه العبرانيون بينهم وبين الآراميين بوضوح جلي، وكذلك يمكننا أن نشير الى أن "اسحاق"، و"يعقوب" قد تزوجا من "آراميات" . .

وتذكر المعاجم التاريخية الحديثة أن الهكسوس ((Hyksos هم "أمراء الأراضى الأجنبية" الذين حكموا مصر نهاية القرن الثامن عشر ق.م.. أى في المدة بين الدولتين الوسطى، والحديثة؛ وقد سماهم "مانيتون" الرعاة، أو "ملوك الرعاة" اذ أساء فهم الاسم "هكسوس"، وقد بدأ هذا الغزو بتسلل البدو إلى شرق الدلتا، وزادت المهجرات حتى أقاموا سيادتهم على الحدود الشرقية للدلتا، واتخذوا "مدينة أفاريس (حوت وعرة)" عاصمة لهم، ثم بسطوا نفوذهم على الدلتا بالتدريج حتى سيطروا على المملكة كلها، ويبدو أن مصر السفلى كانت في مهادنة معهم . .

وقد صورت التقاليد المصرية الوطنية الهكسوس كبرابرة قساة.. لا يعرفون الدين، ويحرقون المدن، ويهدمون المعابد، ويعبدون الههم "ست" فقط.. والأخبار، والأدلة المعاصرة قليلة، وتؤكد رواية طيبة(المصريين القدماء) عن الأحداث، ويجب على المؤرخ أن يتشكك في هذه الصورة، ويلتمس الأدلة العلمية التي قد لا تصور هؤلاء البرابرة الآسيويين وحوشاً مفرطين في القسوة . .

ولايفتونا هنا ذكر ماكتبه أحد المهتمين بتاريخ العرب قبل الاسلام عن الهكسوس، ولعل فيه اقتراب من آثارهم في القرآن الذى لم يذكرهم صراحة، ولكنه جاء على شىء من تقليدهم، وقوانينهم، واحتكاكهم بالرسالات السماوية في "سورة يوسف" .. فيذكر المؤرخ أصولهم السامية في البادية بين "وادي النيل"، و"دجلة"، و"الفرات"، وتدرجهم من التسرب، الى الفتح، والاستيلاء في "بابل"، و"فلسطين"، و"الشام" ..

دخل الساميون مصر من الشرق عن طريق "برزخ السويس"، أو "البحر الأحمر" .. فما برح المصريون منذ القدم يسمون بلاد العرب "بالأرض المقدسة"، أو "أرض الآلهة"، وعرفوا عددا من الشعوب السامية بأسمائهم؛ مثل "حار"، أو "خال" ويريدون بها "الفينقيين" .. بيد أنهم أطلقوا عليهم جميعا لفظ "عامو" .. بمعنى "الشعب"، أو "الأمّة"، أو "العامة"، وقد نزلوا بأطراف "الدلتا" من ناحية الشرق؛ بجوار "بحيرة المتزلة" .. ولا تزال هذه المنطقة تحتوى على أسماء سامية .. كما أن هناك أدلة على بعض الأصول السامية في هيلوبوليس (عين شمس) ..

وقد اعتاد المصريون تواجههم فيما بين "النيل، والبحر الأحمر" عموما كسكان للبادية .. فسموهم "البدو" .. وهم "العرب"، أو "شاسو" بلغتهم، وسموا الأرض التي يعيشون عليها هذه "تشر"، أو "الأرض الحمراء"، تميزا لها عن أرض وادي النيل "كيمى" .. أو "الأرض السوداء" .. وقد ألمح القرآن الكريم الى هذا الفرق .. عندما كان يوسف عليه السلام يعيش في وادي النيل بمصر :

"- وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو" يوسف 100 ..

وكان للعرب في "جزيرة سيناء"، ومايليها سيادة، وحكومة من أقدم أزمنة التاريخ، وكانوا يعملون غالبا في نقل التجارة برا الى "بابل" حوالى سنة 2500 ق.م. .. ويبدو أن الشاسو قبل نزولهم مصر قد عاشوا في أرض "مديان" وراء جزيرة سيناء .. لأن لفظ الشاسو يطلق أيضا على هذه الأرض، وهى قديمة تاريخيا حيث جاء ذكرها في الآثار البابلية سنة 3750 ق.م. .. ونجد أيضا أن القرآن

ذكرها "عشر مرات"، خاصة عندما هرب إليها "موسى عليه السلام" خوفاً من انتقام فرعون، وشيعته عندما قتل أحدهم عن طريق الخطأ:

"- ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل" القصص 22 . .

ويلمح القرآن الى قسوة هؤلاء القوم الذين سكنوا هذه الديار، ورحلوا منها نحو مصر.. وحفيدهم فرعون، وشيعته عندما التقى موسى عليه السلام بالعبد الصالح الذى يبدو أنه كان يعرف تاريخهم، وغلظ أكبادهم:

"- فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين" القصص 25 . .

فكانوا كثيراً ما يسطون على المصريين فى مدنهم للغزو، والنهب منذ عهد "مينا" أول ملوكهم، فكان من الطبيعي أن يحتقرهم المصريون ويعدونهم من الأشقياء، وأهل الدعارة، والسلب.. وكثيراً ما كان الأمراء فى مصر يستعينون بهم فى أوقات الفوضى، وتحلل الدولة المصرية فى الحروب الداخلية ضد بعضهم البعض لما كانوا يعرفون به من الشدة، والشجاعة مثل سائر أهل البادية . .

والرأى المتفق عليه حديثاً فى تفسير كلمة "هكسوس" هو أنها مركبة من كلمتي "حقاو"، و "خاسوت" ومعناها معاً هو "حكام الأقاليم الأجنبية"، ومما تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفاً فى المصادر المصرية فى عهد مبكر يرجع للأسرة "السادسة"، وظل مستعملاً حتى عهد "البطالة"، وهذه فترة أطول بداهة من العصر الذى احتل فيه الهكسوس البلاد المصرية؛ وليس هناك من البراهين القاطعة ما يثبت أن هذه العبارة كانت تطلق على الهكسوس فحسب؛ غير أنه من جهة أخرى نلاحظ أن بعض ملوك الهكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار، أو على الجعارين "حقاو خاسوت" أى "حاكم البلاد الأجنبية".. مثل الملك "خيان"؛ "سمن"، و"عنات هر" فقد لقب كل منهم بهذا اللقب، وذلك فى النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد الهكسوس من مصر، والظاهر أنهم كانوا يسمون "عامو" أى "الآسيويين" فى عهد الهكسوس أنفسهم عندما كانوا فى مصر . .

وقد وثبوا على مصر ابان ضعف حكامها أواخر الأسرة الرابعة عشرة من عصر الدولة الوسطى، ففتحوا الوجه القبلى الى "منف"، وتقهقر أمراء المصريين الى "الصعيد" أوائل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، وظلوا يحكمونها الى أوائل القرن الثامن عشر . .

والهكسوس هم البدو الذين كانوا ينتقلون في "الصحراء الشرقية" .. أى "العرب"، ولم يعثروا على اسم هذه الدولة في الآثار المصرية، ولا وقفوا الا على النذر اليسير من آثارها التى جاء فيها أن أقواما غرباء تسلطوا على مصر السفلى حتى أخرجهم ملوك طيبة.. والظاهر أن تلك الدولة كانت مؤلفة من "الشاسو"، و"الفينيقيين"، وغيرهم من أهل الشام، وكلهم "ساميون" .. وربما كان فيهم فرقة من "عمالقة العراق" .. وخلاف أنهم تكاثروا بمصر على عهد الشاسو من اليهود، وغيرهم، ولكن سلطتهم انحصرت في "الوجه البحرى" ..

احتل الهكسوس سيناء التى تفصل بين آسيا، ووادى النيل، ثم قاموا بتحويل "حصن القنطرة شرق" بالقرب من حدود سيناء إلى مدينة محصنة وجعلوها عاصمة لهم، وأسماها بلغتهم "هواره" وهو اسم عروبي صميم جاء به الهكسوس من بلادهم، وقد أطلقنا عليها قديماً "حت - وع رت" وتعنى بلغتنا المستمرة "الحتة الوعرة" أى المنطقة الصحراوية الصعبة، ونطقت هواره باليونانية "هواريس"، وأحياناً "أواريس" فالهاء العربية تقلب في اليونانية همزة، والسين زائدة يونانية معروفة . .

وهواره، أو حوارة، أو حارة من كلمة حور (بفتح الحاء والواو والراء) فى اللهجات الأعرابية بمعنى الاحاطة، والالتفاف، فأى تجمع يحاط بسور يصبح "مدينة"، وهو نفس المعنى الذى جاء به القرآن عن ذلك المكان رغم اطلاقه اسم قرية، أو قرى عموماً على الدول، والمدن حول مكة، ولكنها خصوصية مكان أحداث موسى، وفرعون :

"-وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى" القصص 20 . .

"-ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها" القصص 15 . .

"-إن هذا لمر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها" الاعراف 123 . .

وكذلك ثمود من قبلهم :

"- وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون" النمل 48 . .

وقد ميز القرآن قوم "قرعون"، و"ثمود" بخاصتين لم ينسبهما للأقوام الآخرين، وهما "المدينة"، و"الجنود".. وهما يرمزان الى الاحاطة بأسوار المدن، والحماية بالجنود المدججين . .

وهناك هوارة في "قلب الصعيد" حتى اليوم تشي بأصل قاطنيتها من البدو العرب، والذين يجمعون كثيراً من صفاتهم، وعاداتهم، وطريقة معيشتهم حتى اليوم . .

هيمنة الهكسوس على وادي النيل :

وهناك مايرهن على أن ملوك الهكسوس كان لهم سلطان على طول البلاد حتى الجنوب، ومن جهة أخرى تدل الأحوال على أنه من الجائز أن تكون البلاد كلها منذ بداية حكم الهكسوس في الدلتا(ويحتمل كذلك معظم مدة حكمهم) كانت تحكم نفسها بنفسها بموافقة الغزاة، وكل ما يمكن زعمه في هذا الصدد هو أن بلاد الجنوب كانت تدفع جزية فادحة للهكسوس أصحاب السيادة في الدلتا . .

وليس أدل على جو التنحش بأمراء الجنوب من تلك الرسالة التي بعث بها "أبو فيس" ملك الهكسوس يدعى فيها وهو في "أواريس" الواقعة شمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التي تعيش في "بحيرة طيبة" في الجنوب تزعجه، وتقض مضجعه لقوقها، على الرغم من أن المسافة بين "طيبة" و "أواريس" تبلغ نحو 500 ميل، وأنه لذلك يأمر ملك طيبة أن يبني فرس البحر الذي يسكن تلك البحيرة إن أراد أن يبقى على إرضائه . .

حصون وصروح الهكسوس :

أسهب المؤرخون المعاصرون في ذكر ما تميز به الهكسوس من بناء الصروح، وتشيد الحصون، ما يجعلهم غرباء جداً عن وادي النيل الذي كان فيه ما يفي بالغرض من ذلك مثل الأهرامات مثلاً، وهو ما يشي ببعدهم عن مجال وادي النيل بالداخل . .

"- فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني أطلع إلى اله موسى وإلى لأظنه من الكاذبين" القصص 38 . .

"-وقال فرعون ياهامان ابني صرحا لعلى أبلغ الأسباب(36) أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا(37)" غافر . .

وبعد أن دخلت الطائفة اليهودية منهم الأرض المقدسة بعد وفاة موسى عليه السلام:

"-وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض" الاسراء . .

ثم أقاموا الدولة في عهد نبيهم، وملكهم سليمان عليه السلام.. الذى أقام الصروح أيضا:

"- قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال انه صرح مُرد من قوارير" النمل 44 . .

ويبين المؤرخون طراز التحصينات الخاص بالهكسوس في المدن حيث كانت من أعظم تخصصات الهكسوس يتألف من طراز منحدر؛ أو استحكام يبني فوقه جدار البلدة نفسها، وكان يستعمل في إقامة هذه التحصينات المواد الموجودة في البيئة التى أقيم فيها هذا المبنى مثل: الرمل، والطين، واللبن، والأحجار، والجص، ومن خصائص تحصينات الهكسوس أنها تميل إلى الشكل المستطيل، أو المربع، وقد لفت نظر الباحثين أن جوانب هذه المباني، أو أركانها كانت تقام بمواجهة الجهات الأربع الأصلية . .

ويظهر على قدر ما وصلت إليه الاكتشافات أن "الإستحكام المربع" كان فكرة خاصة بالهكسوس، وعندما يوجد هذا الشكل من البناء في "سوريا"، أو في "فلسطين"، أو في "مصر" يستدل أنها كانت أقاليم خاضعة لنفوذ الهكسوس، ويستدل أيضا من أشكال هذه الصروح أنهم شعب محارب.. خاصة وأنهم من جلب الخيل، والعربات الحربية إلى مصر فيعزى نجاحهم إلى أسلحتهم المتفوقة، وحصونهم الممتازة كما يعزى اليهم - منذ زمن بعيد - جلب هذه العناصر الجديدة الهامة من المدينة إلى مصر.. سيما وأن الحصان في دراسته التاريخية يعد حيواناً خاصاً بالهكسوس، وكان ينحصر دوره في جر العربات فقط، ولا توجد إلا أمثلة قليلة نسبياً تدل على امتطاء صهوة ظهور الخيل . .

حضارة الهكسوس:

يتضح من الآثار المكتشفة حديثاً، وما عثر عليه في مقابرهم أنهم قوم على جانب عظيم من المدنية، بل كانوا أكثر تقدماً في بعض النواحي من جيرانهم في وادي النيل الذين يعتبرون أقدم منهم، فصفاهم الحربية، وعيشهم المنظم بالمعنى الإجتماعي الصحيح رغم كونهم قبائل، وتخطيطهم للبلدان المنظمة التي راجت فيها التجارة، فكان صانع الفخار، والحداد، وصانع المجوهرات ينتج في صناعته بمهارة فائقة مما لم يكن ميسوراً قبل تقدم عمل السبانك، والتفنن فيها من قبل الهكسوس في السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط . .

ان حياة الهكسوس كان لها شأن، ومكانة واضحة لم يعترف بها كل المؤرخين، ولا نزاع في أن كل ما أتى به الهكسوس من جليل الأعمال لا يمكن أن يتم في جو كله حروب مستديمة، بل تعزى تلك الأعمال إلى قوم على جانب عظيم من المهارة، وقد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التي تحيط بهم أينما حطوا رحالهم، واستقر بهم المكان . .

#### عبادة وآلهة الهكسوس :

"-وقال الملاء من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك" الأعراف 127 . .

من الآية ندرك أن فرعون - كملك من ملوك الهكسوس - كان يؤمن بآلهة رغم ادعائه الألوهية، وهى بلاشك آلهة قومه من الهكسوس ومنهم "ست" إله هذه المنطقة الواقعة في "الشمال الشرقى من الدلتا"، وقد علل البعض اختيارهم لهذا الإله حامياً لدولتهم بما وجد بين "ست" هذا والمهم "بعل"، أو الإله "تشب" من تشابه في الصفات، ولكن هذا الزعم غير مفهوم عندما نعلم أنهم كانوا خليطاً من أجناس متباينة نجعل كل شئ عن آلهتهم، وأن توحيد ست، وبعل، وتشب قد حدث في عصور متأخرة من مدة حكم الهكسوس، كما نلاحظ تقديس هؤلاء الفاتحين لآلهة أخرى مما نجدده قد ركب تركيباً مزجياً في أسماء بعض ملوكهم مثل "عنات هر" و"هر" هذا هو اله خارجى، واتخذ بعضهم لقب "ابن الشمس" مما يدل على عبادتهم للإله "رع . ."

ويعتقد بعض المؤرخين أن صورة "ست" قريبة الشبه من آلهة الأعاصير الكبرى في آسيا؛ وهم.. "تشوب"، و"انليل"، و"اشكور"، و"بعل"، وست هو "سيد العاصفة" الذي قدسته مصر بأسرها في الحقبة الثانية لعصر "ماقبل الأسرات"، وكذلك بعض الشعوب الآسيوية.. حيث أصبح أكثر شهرة من "حورس" الذي كان في صراع معه حسب الأسطورة المعروفة بعد أن قتل من قبل "أوزوريس أبو حورس"، ومزق جسده أشلاء.. وهو ما حدا بالشعوب الآسيوية بدءا بالهكسوس اتخذاه الاها بعد أن نقلت مقر اقامتها الى مصر، فتولد لدى المصريين شعور بالعداء تجاه هذا الاله "الأجنبي" فجعلوه الاله الشرير في أسطورة "ازيس، وأوزوريس . .".

الخروج.. والأخطاء التاريخية :

ومن قصيدة عن انتصار "مرنتاح" - ابن رمسيس الثاني - منقوشة علي لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود سماها المؤرخون الغربيون "لوحة إسرائيل" أقيمت في "معبد الملك الجنائزي"، وكذلك علي لوحة في "معبد الكرنك" .. سميت بذلك نظرا لاحتوائها علي ذكر بني اسرائيل لأول، وآخر مرة في المتون المصرية، كما قالوا عن مرنتاح انه "فرعون موسى" الذي جاء ذكره في القرآن، والتوراة.. غير أنهما حسب رأي د. سليم حسن لا تركز علي حقائق تاريخية، بينما يؤكد الباحث عاطف عزت خطأ ترجمة عالم الآثار "بيري فلنדרز" للكلمة التي جاءت في اللوحة :

"-واسرائيل خربت وليس لها بذر . . ."

فالكلمة المترجمة لم تكن "اسرائيل" التي حشرها في الترجمة دون سبب مفهوم بل هي كلمة "أساري" التي تعني أهل "جبل الكرمل" الممتد من "حيفا" حتي "وادي الأردن" كما يعرفها العلماء اليوم، وتقننت كلمة بيري - للأسف - وأصبحت حقيقة واقعة.. قامت عليها كل الدراسات اللاحقة لاقحام اسرائيل في أصل وادي النيل كما تحكي التوراة، وكذلك اضاء اسم فرعون علي كل ملك من ملوك وادي النيل، وهو ما ثبت خطأه . .

وإن كان مرنتاح قد تحدث في لوحته عن انتصاراته علي شعوب معينة خارج الوادي فلا بد أن اسرائيل كانت دولة، وشعب يعيش خارج الحدود أيضا.. وبالتالي تكون اللوحة بداية قد كتبت بعد الخروج.. فاللوحة سجلت في العام

الخامس من حكمه، وقبل موته الطبيعي بخمس سنوات.. فلو كان فرعون الخروج كما يدعون لانتهى حكمه بالغرق في السنة الخامسة من حكمه، وليس في السنة العاشرة، ومرنبتاح الابن البكر "لرمسيس الثاني" الذي ورث حكم أبيه بعد أن شاركه الحكم في حياته.. لم يصب "بالضربة العاشرة" التي ذكرت "التوراة" أنها أماتت كل الأبقار، فكيف اعتبره الآثريون الغربيون "فرعون الخروج" رغم أنهم أقحموا التوراة، وبني إسرائيل - دون سبب - في تاريخ وادي النيل لأغراض بينهم، وبين اليهود.. وليذهب العلم، والحياد العلمي التاريخي إلي الجحيم.. وللأسف جري مجراهم المؤرخون المسلمون المعاصرون دون تفكير، أو تمحيص.. وكان همهم فقط النسخ، والنقل، وليس العلم، والنقد.. فقد اعتبروا أنفسهم - للأسف - موظفين، وسكرتارية لعلماء أوروبا، وأمريكا..

ولا يمكن تحديد تاريخ الخروج مما سبق ذكره بصفة قاطعة، فجاء الخلاف في وضع تاريخ هذه الحادثة في أزمان متفاوتة، فقد وضعه البعض في عهد "أمنحتب الثالث"، ووضعه آخرون في عهد "رمسيس الثاني"، واتفق آخرون علي أنه في عهد "مرنبتاح".. وكلها تخوم حول روايات التوراة لتأكيدھا، وتميل بالاحتمالات نحو عهد "الرعامسة في الأسرة 19" وذلك لتحقيق رواية التوراة عن تسخير الاسرائيلين في بناء بلدة "برعمسيس" - "قنتير الحالية" - والتي سمّتها التوراة "رععمسيس".. وقد خاض أفذاذ الآثريين الغربيين - يتبعهم المسلمون طبعاً - في هذا الخطأ المشين حتي النخاع، بما لا يليق بمثلهم.. فأغفلوا حقيقة البلدة، وأصلها الذي كان "المدينة"، أو "صوعن" في التوراة، وسمّاها الهكسوس عن احتلالهم لأرض مصر "هواره"، ونطقها اليونانيون "هواريس" أو "أواريس" وبالهيروغليفية القديمة "ح ت - و ع ر ت" وتقع جنوب "بيلوز(الفرما)"، والتي أعاد رمسيس الثاني بناءها بعد ذلك في عهده، وسمّاها باسمه بعد أن قرر نقل العاصمة من "جنوب الوادي، إلي شماله" في احتفال عظيم، وعندما بدأ تدوين، ونسخ التوراة ذكر المدونون المدن القديمة بأسمائها الجديدة، وربما ذكروا الأسمين معاً..

اليم في القرآن :

" من الألفاظ السامية التي عرفت بمصر منذ الأسرة الثامنة عشرة المعاصرة لزمن الخروج، وقد لفت هذا المصطلح انتباه د. أحمد عبد الحميد يوسف

في كتابه "مصر في القرآن والسنة" وأنه لم يأت الا فيما يخص مصر فقط لا غير،  
وفيما يخص هذه القصة، وقد ورد ثمانى مرات في هذا الشأن على النحو الآتى :

"- أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم" طه 39 . .

"- فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له" طه 39 . .

"- فاذا خفت عليه فألقيه في اليم" القصص 7 . .

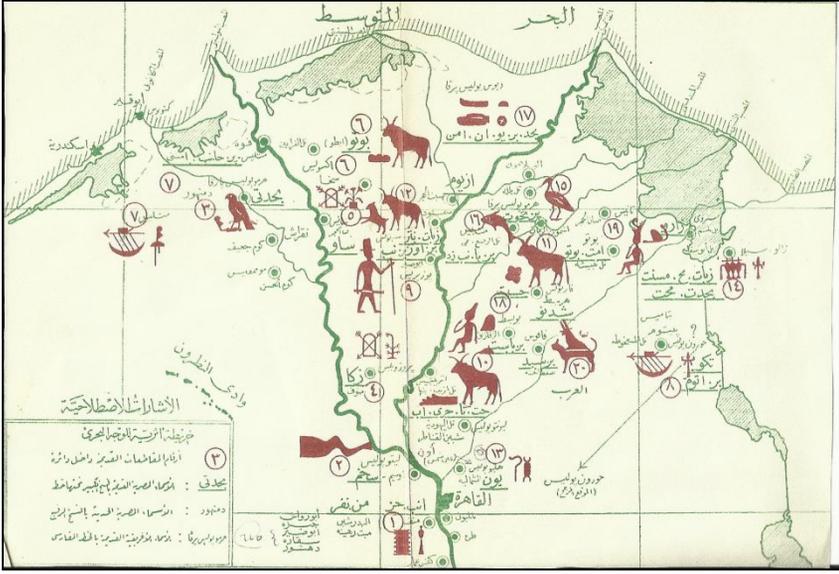
"- لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا" طه 97 . .

"- فأخذناه وجنوده فببذناهم في اليم وهو مليم" الذاريات 40 . .

"- فاتتقنا منهم فأغرقناهم في اليم" الأعراف 136 . .

"- فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم" طه 78 . .

وقد خلط المفسرون المصطلح فيما يعنى "النيل" مرة، و"البحر" مرة  
أخرى؛ رغم أن القرآن ذكر "النهر" باللفظ في 53 موضعاً، و"البحر" باللفظ في  
40 موضعاً، ولكن العذر كان بسبب التفسير التوراتى المعد سلفاً، والجهاز بلا  
تفكير، ويجدد القرآن مكاناً واحداً اسمه "اليم" ولد بجواره موسى، وفيه ألقى، ومنه  
التقط، وانقذ، ثم تربي بجواره، وعاش مع قومه، ومع ملكهم فرعون الذى انتهى  
أمره غرقاً فيه.. أما اليم فهو ليس بحراً، ولا نهراً.. بل هو خليج واسع ضحل به  
مياه مالحة تأتيه من جهة البحر، ومياه عذبة تأتيه من احدى قنوات نهر النيل التى  
تتصل بالفرع البويسطى منه (أنظر الخريطة الأثرية . . )



خريطة أثرية للوجه البحري تبين مصبات النيل السبعة (عن كتاب مصر تحت ظلال الفراعنة)

وقد استخدمت التوراة العبرانية المصطلح (هـ - يم) والتي تعني "اليم" ولكن الترجمة العربية المعتمدة للتوراة ترجمتها على أنها "بحر"، كما وردت في التوراة "السامرية" بمعنى "الخليج"، وكان يسمى "يم سوف" .. بمعنى "خليج البوص"، وكلمة "سوف" وهي البوص "Reed"، أو "نبات مائي" فكتبت بالإنجليزية "The Reed Sea" لكنهم تشككوا في الأمر "جهلاً"، وأجزموا بوجود خطأ، وتبرعوا غباء بتصحيحه فحولوا "Reed" إلى "Red" فأصبحت "The Red Sea" أو "البحر الأحمر"، وتقنن الوضع، واختفى "خليج البوص" مع "مدينة الهكسوس"، وظهر "البحر الأحمر" مع "مصر ..".

مشكلة الأرض:

- "- يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون" الشعراء 35 ..
- "- قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك" طه 63 ..
- "- قال أجنثنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى" طه 57 ..

"-يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون" الأعراف 110 . .

"-إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لنخرجوا منها أهلها" الأعراف 123 . .

"-قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين(128) قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون(129)" الأعراف . .

"-قالوا أجتئنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين" يونس 78 . .

"-وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة واقموا الصلاة وبشر المؤمنين" يونس 87 . .

"-فأراد أن يستفزه من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً" الاسراء 103 . .

كانت هناك مشكلة كبرى عند قراءة هذه الآيات حين ينبه فرعون من حوله بخطورة خروج بنى اسرائيل حتى انه لم يستثن السحرة من ذلك التنبيه مشيراً بذلك بألفاظ :

"أرضنا" - "أرضكم" - "الأرض" . .

فيبدر السؤال :

إذا كانت هذه أرضه، وأرض أجداده، وأرض من حوله بمن فيهم السحرة الذين جلبهم من "وادي النيل" للوقوف معه ضد موسى.. فلماذا يحذرهم من الخروج منها؟!.. أو حتى من خروج بنى اسرائيل؟!.. مع أنه كان الأولى أن يفرح بخروج هذه "الشردمة" التي هي صدادع في رأسه، ورأس أتباعه بدلاً من رفض خروجهم :

"-ان هؤلاء لشردمة قليلون(54) وانهم لنا لغائظون(55) وانا لجميع حاذرون(56)" الشعراء . .

وإذا قال قائل: انه يستعدهم، ويستخدمهم.. ينشأ سؤال آخر كيف ذلك وهو يقتل الرجال ويستحي النساء؟!.. والسحرة تحتاج إلى الرجال في المركز

الأول.. فقتل النساء دون الرجال يقوض الأمة، واستحياءهن دون الرجال يذل الأمة، ويذيب عنصرها، ودمها في القبائل؛ وهو ما كان يفعله فرعون، فقد كان يقتل رجالهم، ويستحي نساءهم، ويبدو أنها كانت عادة عند قبائل العرب عامة، والعبرانيين خاصة..

والآية 90 من سورة يونس:

"-وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا.."

تؤكد أن ادراك فرعون لموسي كان لاحقا وسريعا ما يدل علي أن الحيز المكاني الذي كان يجمعهم محدودا جدا: "موسي" - "اليم" - "فرعون.."

الآيات التسع:

"-فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين" الأعراف 133..

والآيات التسع هي:

1. الطوفان..
2. الجراد..
3. القمل..
4. الضفادع..
5. الدم..
6. نقص الثمرات..
7. سنوات القحط..
8. اليد البيضاء..
9. معجزة العصا..

وهي الآيات التي ذكرها القرآن، وأسهب التوراة في تفصيل ما حدث بدأ من "الاصحاح التاسع" من "سفر الخروج"، وبينما يقرر القرآن أن هذه الآيات حدثت لفرعون، وقومه في "المدينة"؛ تقرر التوراة أنها حدثت في "أرض مصر" .. فهذا صحيح، أما ما لا يصدق أن يكون المقصود بأرض مصر أرض "بلاد وادى النيل" الكبيرة الواسعة . .

هذه آيات لا شك فيها، لم تصب وادى النيل كله بالمفهوم الجغرافي - وهو ما لا يصدقه عقل - بل حدثت في جزء صغير، محتل اسمه (المدينة) على حدود مصر الشرقية بالقرب من "البحيرات المرة"، جزء لا سلطان لمصر عليه في ذلك الوقت، ولا تتبع أحباره، ولا تسجلها، ولا تهتم بها، وقد أصابت الأعراب، والعبرانيين من غير أتباع موسى عليه السلام.. وليس أدل على ذلك من هذه الآية الواضحة الصريحة:

"-ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون" الأعراف 137 . .

ويفهم من الآية الدمار الشامل الذي لحق بفرعون، وقومه، وجنوده، ومدينته، وملكه، ولم يبق الله تعالى منه الا جسده ليؤكد لبني اسرائيل موته، والقضاء عليه:

"-فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" يونس 92 . .

ولكن ألا يتنافى هذا الدمار لجزء صغير على الحدود المصرية الشرقية مع حال مظاهر تواجد الحضارة المصرية ككل حتى يومنا هذا في أنحاء مصر من الاسكندرية، وحتى أسوان؟!.. بل على العكس فهي من أكثر الحضارات آثارا باقية، وبرديات مازال يكشف عنها.. كما كشف عن أسرار لغتها القديمة، ويهتم بها، وبآثارها كل العالم، حتى ليقال أن آثارها قد تبلغ ثلثي آثار العالم القديم . .

السحر والسحرة في مصر القديمة :

"-فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم" الأعراف

.. 116

يبدو أن السحر قديما كان عاما في البشر؛ بيد أنه أصبح علما مقترنا بالدين، والمعابد في مصر تخصص فيه الكهنة أولا.. ثم جعلوه علما قائما بذاته له مدارسه في

المعابد، وله متخصصيه من السحرة الذين تتلمذوا على يد الكهنة، وتركوا لهم هذه المهنة.. وقد أفرد د. سليم حسن فصلاً في كتابه "مصر القديمة" في آخر الجزء السابع عن السحر في الحياة المصرية يشير فيه إلى إختلاط الدين، والسحر في عقائدهم إختلاطاً كبيراً حتى أصبح من الصعب الفصل بينهما في حياة المصرى القديم، فقد إعترف الإنسان بأنه محاط بقوى خفية خارجة عن نطاق فهمه في كل زمان، ومكان؛ ولم يكن في إستطاعته أن يقاومها بما في متناوله من وسائل، وقد حاول أن يستميل هذه القوى بالتضرع تارة، وبالفن تارة أخرى.. فالإنسان حال يؤسه يلجأ غالباً إما إلى السحر، أو إلى الدين تضرعاً، أو خفية.. رغبة، أو رهبة.. وعلى هذا فإنه من العبث البحث في كون الدين سابق على السحر، أو العكس.. وقد عرفنا أن الأساطير الإلهية كانت مفعمة بمشاهد سحرية ..

وينطوى السحر على الإعتقاد في قوة خارقة للطبيعة قد تتركز في أشخاص معينين، أو أشياء خاصة، ودور الساحر هو السيطرة على هذه القوة، وبعد ذلك يستعملها لفائدته، أو لفائدة الآخرين، والسحر في الواقع علم تجريبى قد إنتظم في عدد معين من الرقى، والرقى الموغلة في القدم هي التي كانت تعد أكثر تأثيراً نظراً لكثرة تجربتها أكثر من غيرها على وجه العموم، وكان الساحر يقوى مفعول الصيغ السحرية باستعمال أشياء خاصة مثل العصا السحرية، والتماثيل الصغيرة المصنوعة من الشمع خاصة تلك التعاويذ التي تقدمت تقدماً عظيماً في الوصول إلى الغاية المنشودة ..

وقد كان المصريون يلجأون إلى السحرة الذين كانوا يعدون علماء على أية حال، فقد مارس صناعة السحر الكاهن المرتل، وكذا الطبيب، أى علماء مدرّبون على كتب قديمة كانت كافيته لتقمص هذا العلم دون أن تكون للساحر قوة خارقة للعادة يعتقد المصريون وجودها لديهم، ومن هنا كان الساحر مميّز عن غيره من الناس لا بطبيعته فقط بل بعلمه أيضاً، وكان الإنسان يستعين بالسحر في مختلف أحوال الحياة مثل المحافظة على الجسم من المرض باستخدام التعاويذ التي كانت من أهم الصناعات الرائجة في مصر القديمة، وكانت تصنع من الخشب، والبرنز، والفتخار المطفى، واليشب، وغيره من أحجار نصف كريمة خشنة الصنع للفقراء، وقطع فنية دقيقة الصنع للأغنياء، وعلية القوم وهى مفعمة بقوة سحرية في ظن

القوم، وتدل على صفات معنوية كالحياة، والقوة، والسعادة، والبقاء، والنبات، والجمال .. الخ، وكان بعضها تماثيل إلهية تملك قوة سحرية بالغة، وكانت توضع كتعاويذ في القلائد، والأساور، وغيرها . .

وكثيراً ما كان السحر يختلط بالطب؛ فلم يكن يعدو الدواء بعض أوصاف سحرية، وتكاد تكون كتب الطب عبارة عن مجموعة وصفات سحرية، وكان المرض غالباً ما ينسب إلى تأثير أشباح مؤذية كان الساحر يخاطبها، ويعمل على طردها بالرجاء تارة، وبالتهديد مرة أخرى، وكثيراً ما كان الإنسان يخاف إنتقام الموتى بدليل تلك الخطابات الغريبة التي كانت تكتب للموتى في عهد الدولة الوسطى وتوضع معهم في القبور . .

وكان السحر يبذل أيضاً للحب، وأحلام العشق بوجود عدد عظيم من جرعات شراب الحب، وكان الخيال يلعب دوراً كبيراً في تركيب الجرعات التي يتناولها الحب، أو المحبوب فمما يصعب فهمه مثلاً، لماذا كان لدم بنصر اليد اليسرى، أو دم القراد المأخوذ من كلب أسود تأثير حسن جداً على المرأة التي يريد الإنسان أن يستميل قلبها؟!.. فإذا كانت هذه المرأة تحب رجلاً آخر ويريد إنتزاعها ممن تحب أولاً فيستعمل الساحر تماثيل الشمع بشكل المناسف ويجرى عليها أعمالاً سحرية لحدوث الشقاق، والإنفصال بين العاشقين، ثم تكتب الصيغ السحرية التي تحدث عند المرأة أحلاماً غرامية يظهر فيها العاشق في صورة خلافة تخضع المحبوبة لسلطانة، وتجعلها تقيم به، وكانت هذه الحيل عظيمة الإنتشار، عريقة في القدم في المتون المعروفة باسم "كتاب الطريقتين" الذي ذكر أن مجرد تلاوة صيغة بسيطة كان كافياً لكي تقع المرأة في هوى قارئها . .

واستخدم السحر كذلك في الأطماع الشخصية من مناصب، وإشباع المطامع للوصول إلى مركز مرموق في المجتمع، والحفاظ عليه.. عندما يناله الشخص لتحقيق العيش في رغد رغم كونه لا يستحق هذا المنصب، وهذه الحياة، وذلك عن طريق عمل تماثيل من الشمع، وهذه الطريقة السحرية تعتمد على قانون الإتصال النفسى ( SYMPATHY ) بين الإنسان، وصورته المثلة في التمثال، وكان دور الساحر عمل تماثلاً خشناً من الشمع، أو من الطين للعدو يتلو عليه بعض تعاويذ تجعله في حالة خضوع تام، وقد يكتب اسمه على التمثال، واسم والديه حتى

لا يكون هناك خطأ في الشخص المقصود، حتى الملك نفسه لم يكن ليترفع عن استخدام السحر، والسحرة ضد أعدائه، وقد يقوم الساحر بعمل السحر على أى صورة لتدفن، أو تعلق وفق شعيرة خاصة . .

وعن السحر يقول معجم الحضارة المصرية القديمة :

"يوجد السحر في كافة المجتمعات كعنصر اجتماعي، ومن الخطأ أن نتكلم عنه فيما يختص بمصر وحدها، ولكنه لعب دوراً هاماً في الحياة اليومية المصرية القديمة، وكان دفاعياً بصفة عامة، وعدائياً في حالات نادرة، واستخدما لمصلحة الدولة، والمعابد، ولفائدة المرضى، ومن كانوا يخافوا الاصابة بالمرض، وكان وقاية ضد الأشباح، وضد الحوادث، ويقى الموتى من شر الشياطين في العالم السفلي، وفي بعض الأحيان كان يضمن النصر في المواقع الحربية، والحظ الحسن، وكانوا يزودون تاج الملك بالسحر، وكان الناس عموماً في أماكن متناثرة يعبدون إلهاً يسمى "السحر" هو تمثيل قوة الحركة التي جعلها الإله الأول تعمل عند بدء الخليقة . ."

وانعقدت للسحر، والسحرة مباراة في مصر القديمة بين موسى عليه السلام، والسحرة الذين جلبهم فرعون جعلت مصر القديمة دولة السحر، وليست الأسطورة التي أسكنت وادى النيل بالسحرة خطأ، فندل القصص الشعبية، والتماثيل، والتعاويذ المكتوبة التي تملأ خزائن المتاحف على أن السحر قد جاء واستقر في أرض السحرة . .

كان السحر أولاً ايماناً مطلقاً بالقوة الخلاقة للصوت، فمجرد النطق باسم كان يخلق ذلك المخلوق، أو الشئ بما يحاكي قصص الخليقة التي تنص على أنه ما على الخالق سوى النطق باسم كل عنصر من مكونات الخلق حتى يبادر ذلك العنصر في الحال بأن يأخذ مكانه المعين له، ومن هنا تدخل جميع الطقوس السحرية التي استخدمت التعاويذ، والصيغ، والمبدأ الثاني في السحر هو القوة الخلاقة للتمثال الذي يمثل رجل، أو شئ ما، ينقل إلى ذلك التمثال، أو الصورة جزءاً من الشخصية الروحية لذلك الرجل، أو الشئ تم السحر بواسطة للسيطرة على ذلك الرجل، أو الشئ . .

واقترن السحر بالطب أيضاً فبينما يصف الطبيب العقاقير المسكنة للألم، يهاجم الساحر سبب المرض بالنقل حيث يضع حيواناً قرب المريض فتخرج الروح الشريرة من جسم المريض لتدخل جسم الحيوان عند تلاوة بعض التعاويذ.. وبالتقمص عندما يدعى الساحر أنه إله ما يأمر الروح الشريرة بما يريد، أو ينذر بها بأنه لا سلطان لها على المريض . .

وكانت التمثيل، أو الصورة التي تمثل العدو تنقب بالسهم، أو السكاكين مع تلاوة تعويذة كي تصيب هذا العدو، ومن ثم اتقاء شره، أو يصب قليل من الماء فوق التمثال، أو يشرب سائل مشبع بالتعاويذ السحرية لتقى من الخطر، أو تشفى جرحاً سبق أن أصيب به الشخص، وقد تكتب التعاويذ على قطعة من الفخار، أو البردى وتوضع في سائل يشرب لنفس الغرض . .

وفي القرآن جاء حديث السحرة كآلاتي :

"- قالوا لاخير إنا إلى ربنا منقلبون" الشعراء 50 . .

يتحدثون عن عالم آخر غير الذي هم فيه :

"-ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين" الأعراف 125 . .

يعرفون قيمة الصبر.. وهو قيمة دينية.. كما يعرفون الإسلام . .

"- قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا" طه 72 . .

من أين جاءهم البينات؟ ! . .

لا شك أن دعوة موسى عليه السلام قد إنتشرت بينهم وسمع بها القاصي، والداني.. ودعوة موسى هي الأقرب من أى دعوة أتهم من قبل، فالدعوات عادة ما تندثر، ويتفرق أتباعها، ولا تحيا إلا بنبي يرسله الله مجدداً أمر الدعوة، فليس من المعقول إسلامهم، وسجودهم فجأة دون سابق علم، وبيانات.. ثم هم يعرفون الله الواحد الأحد "الذى فطرنا"، ويعلمون تفاهة الحياة الدنيا بالنسبة لحياة أخرى يؤمنون بخلودها.. وهى الحياة الآخرة، ولا شك أن سكان وادى النيل كان لهم رصيد ما من التوحيد يحتفظون به رغم تعدد آهتهم، كما كانوا يؤمنوا بالحساب فى

القبر، وما بعده ، فلم تكن دعوة موسى غريبة عليهم بحال من الأحوال.. ثم هم يندمون على منازلة موسى النبي بالسحر الذى أوهمهم به فرعون، وهو ليس بساحر بل نبي منذر، ومبشر، فضلاً عن تحريم الدين المتزل للسحر لما فيه من ايها الناس بغير الحقيقة فيقولون :

"-إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى"

طه 73 ..

والسحرة كانوا من سكان وادى النيل.. بل كانوا من صفوة السكان.. فقد كانوا ذو مكانة، وعلم - كما أوضحنا من قبل- ومنه ندرك مدى سيطرة الهكسوس على مقدرات وادى النيل لدرجة أن فرعون يستطيع جمع هؤلاء بسهولة، ليجعل منهم بطانة له من أولى العلم الذى يناؤه به موسى :

"- فأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليهم" الأعراف 111 ..

كما يستطيع عقابهم هذا العقاب البشع دون أى إعتراض من الأسرة الحاكمة فى الجنوب.. فانظر إلى أى مدى كانوا متمكنين فى الوادى حتى يتحكم ملكهم فرعون فى مصير رعايا الوادى كله بهذا الشكل المهين ، فلم يكن هناك دولة أصلاً فى الوادى تدافع عن رعاياها :

"-فأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم فى جذوع النخل" طه

71 ..

وقد تحدثنا عن دور السحر، والسحرة فى حضارة وادى النيل القديمة، وذكرنا أنهم كانوا صفوة علماء المصريين؛ والمسموح لهم بالإتصال بالعامية من دون الكهنة ساكنى المعابد، وكانوا يرتزقون من هذه المهنة، ويجيدونها بعد أن يتربون عليها فى مدارس خاصة ملحقة بالمعابد.. حتى أن موسى نبي الله نفسه أوجف فى نفسه خيفة من سحرهم :

"-فأوجس فى نفسه خيفة موسى" طه 67 ..

"-قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى" طه 68 ..

ويصف القرآن قوتهم فى سحرهم :

" - فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم"  
الأعراف 116 ..

ونستشف هنا الفرق بين نظام الدولة في الحفاظ على القيم رغم تحريفها، ونظام البداوة في تبديد القيم رغم تجديدها.. فهؤلاء البدو تكررت فيهم الدعوة بإبراهيم، ثم يوسف، ثم موسى، وهارون عليهم السلام جميعاً ومع هذا يردون عليهم:

"- ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين" القصص 36 ..  
ويصفهم موسى عليه السلام :

"- إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين" الدخان  
.. 35

"- إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب" غافر 27 ..  
كما وصف يوسف عليه السلام ملتهم من قبله :

"- إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون" يوسف  
.. 37

ويبدو من سياق الآيات التي يتحدث فيها السحرة عن سر سجادهم المفاجيء لله، والإيمان به دون إستشارة فرعون الذي جلبهم، ووعدهم بالأجر الجزيل، وأنهم سيكونون من بطانته المقربة :

"- قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين" الأعراف  
.. 113

ندرك من الحوار مدى تشربهم دعوة موسى عليه السلام، ومدى إتصافهم الوثيق به.. فيبدو أنه كان مسموحاً بهذا الإتصال من قبل فرعون، ولا عضاضة فيه، وهو ما احتج به عندما فاجأوه بالسجود :

"- آمأنتم له قبل أن أذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر" طه 71 ..

يقصد موسى عليه السلام فيما كان يأتيه من آيات تنذر فرعون، وآله من جراد، وقمل، ودم، وخلافه، ويشتم أيضاً رائحة المؤامرة كعادة الطاغية في كل

مكان، وزمان يتوقع المؤامرة باستمرار من أى من يحيطون به حتى أقرب الناس إليه :

"- إن هذا لمكر مكترمه في المدينة لتخرجوا منها أهلها" الأعراف 123 . .

وتثبت الآيات مبلغ دعوة موسى فيهم، ومدى صلتهم الوثيقة به حتى أنهم استهانوا بمهنتهم، واستحرموا خداعهم للناس بما لتحصيل الرزق، ورغم أن فرعون جلدبهم للوقوف معه ضد موسى، وسحره - من وجهة نظره - إلا أنهم رفضوا مجاهدة موسى في مهنة، وعلم يعرفون سر خداعه للناس مسبقاً؛ وأن موسى سيكشفه أمام الناس المخدوعين بهم، وبسحرهم وقد هزهم تحذير موسى لهم :

"- ما جئتم به السحر ان الله سيبطله" يونس 81 . .

يعنى هناك علم فعلاً قائماً بذاته، وله أصوله وهو السحر، ولكن من في زمان ما، أو مكان ما استطاع أن يبطل سحراً إلا بإزالة أسبابه.. ولكن موسى مؤيداً من إلهه يستطيع إبطال سحرهم حيث يهيب به :

"- وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى" طه 69 . .

فأى سحر يستطيع تحويل العصا إلى ثعبان.. أما أن يكون ثعباناً، أو حية بهذه الضخامة، ثم تلتهم ما أمامها من حيات، وثعابين صغيرة فهذا خارج نطاق السحر، وهو ما أدركه السحرة المخضرمين في مهنتهم، ولا يصنع مثل هذا إلا من هو مؤيد من قوة أعلى مطلقة تقيمن على الأشياء. . وأن فرعون هذا ليس إلا بشراً محدود القدرة لا يجيد سوى الصلب، والتعذيب كباقي الطغاة في كل زمان، ومكان.. فاستهانوا به؛ وهم العلماء صفوة حضارة وادى النيل . .

## الأهرامات.. وعاد ارم

ينثور لغط شديد، وجدل عميق حول بناء الأهرام، وكيفية بناءها ..

هل بناها ملوك مصر القدماء خوفاً، وخفرع، ومنكورع كما هو شائع؟! ..  
وما هذه الحجارة الضخمة التي استخدمت في البناء؟! ..

وهل تم نقلها بالطرق المألوفة؟! ..

وإذا كان الغرض من بناءها هو الدفن.. فأولى أن يعيش هؤلاء البناة في قصور تتناسب وفخامة مقابرهم.. فالعادة أن يعيش الملوك في القصور الشاهقة، ويدفنون في مقابر عادية.. بل ان كثيرا من الملوك المشهورين في التاريخ بأعمالهم الفذة لا تعرف لهم مقابر بالمرّة مثل الاسكندر الأكبر مثلا ..

فأين مساكنهم التي هي بهذا الوصف؟! .. والتي تضاهي الأهرام، أو هي أضخم..

وإذا كان هذا حال ملوك الدولة القديمة.. فلماذا اتخذ ملوك الدولة الحديثة المغارات، والكهوف المنقورة في تلال البر الغربي من النيل مقابر لهم؟! .. أم اتخذوا من الجبل الذي نقرؤا فيه قبورهم هرما مشتركا غرب النيل في الأقصر، واكتفوا بذلك؟! ..

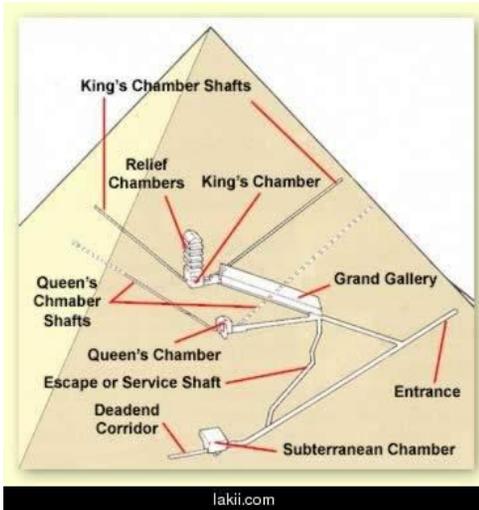
أليس مبكرا جدا زمن هذا البناء الهندسى المتقن الذى عاش كل هذه الآلاف من السنين دون أن يهدم منه الا الطلاء الذى كسى به.. بل بقى جزء منه بالنسبة لحياة الانسان على الأرض، وتطوره الحضارى، والمعمارى خاصة أنه الوحيد من عجائب الدنيا السبع الذى ظل قائما بعد سقوط باقى العجائب منذ زمن بعيد؟! ..

ان تطور بناء الأهرام من الهرم المدرج - أول الأهرامات تاريخيا كما يذكر المؤرخون - الى بناء الهرم الأكبر بهذا الاعجاز المعمارى الباقى عبر السنين يعتبر تطورا مفاجئا، وليس سريعا على حضارة بشرية كانت لا تزال في مهدها، ولا يمكن أن يبلغ بها الطموح نحو هذا البناء بهذه القوة مهما كانت قوة بقاء الدار الآخرة في عقيدتهم.. والتي تجاوزت حدود الممكن بالنسبة لقوة انسان هذا العصر الذى يمكنه حمل آلاف.. بل ملايين الأحجار التي يستطيع حملها بمفرده(مثل حجارة المساجد في مصر الاسلامية) ، وليس حجرا يزن عشرون طنا، ولماذا؟! .. وهو لا يطيق هذا،

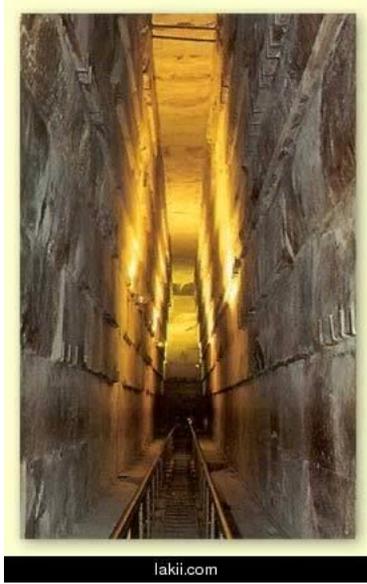
وليس مجبرا عليه.. خاصة أن الهرم الأكبر بالجيزة ليس هرما مصمما كباقي الأهرامات.. بل تتخلله حجرتي دفن تقعا في منتصف الهرم تقريبا، مع ما يوصل اليهما من ممرات ضخمة، وممرات ضيقة كما يبدو في الشكل (1، 2)..

في تسعينيات القرن العشرين أشار "روبير بوفال"، و"أديان جلبرت" في كتابيهما "سر كوكبة الجبار (الجوزاء)" الى أن أهرامات الجيزة الثلاثة تطابق نمط النجوم الرئيسية الثلاثة في حزام كوكبة الجبار.. وعند رصد هذه النجوم وجد أن لمعان أحدهم (دلتا الجبار) يقل لمعانه عن النجمين الآخرين، وينحرف أيضا عن مستواهما.. فإذا تأمنا هرم منكاورع من الجوزاء (شكلي 4، 5) نجد أقل حجما من الهرمين الآخرين لانحرافه عن مستواهما، وهي صورة مطابقة لما في السماء، وليس مصادفة أيضا أن تقع الأهرامات الثلاثة غرب النيل.. فنجوم النطاق تقع غرب نهر الجيزة (الحزام الجوزي) وهي الحزمة الضبابية التي تقطع السماء من الشمال الى الجنوب تماما (شكلي 3، 4)..

مخطط لحجرات وممرات الهرم الأكبر بالجيزة، وهو الهرم الوحيد في ذلك..



أحد الممرات الضخمة بالهرم الأكبر..



lakii.com

زار هيروودت مصر في القرن الرابع قبل الميلاد.. أى بعد 2000 سنة تقريبا من بناء أهرامات الجيزة الثلاثة.. ونقل كل ماقاله الكهنة، والرواة عن هذه الأهرامات، واستقى منه علماء المصريات الأجانب كل ماهو معروف من معلومات عن أهرامات الجيزة، وظلت هذه المعلومات هي كل مانعرفه عن هذه الأهرامات حتى وقتنا الحالى..

زالت كسوة الهرم الأكبر التي شيدت من الحجر الجيري الأبيض المقطوع من محاجر طرة، ويبلغ طول قاعدته 227.5مترا، وارتفاعه الحالى 137 مترا.. فيكون حجمه 2.5 مليون من الأمتار المكعبة، أما عدد أحجاره فيبلغ نحو 2.3 مليون.. حيث يزن الحجر 2.5 طنا، وبذلك يكون وزن الهرم نحو ستة ملايين طنا، وإذا ماعلمنا أن سنى حكم الملك "خوفو" الذي يعتقد أنه باني هذا الهرم لم تتجاوز العشرين عاما أدهشنا هذا الجهد الضخم الذى بذل فى تشييد هذا الهرم، وراعنا بحسبة بسيطة استحالة ذلك على من هم على شاكلتنا فى الحجم، والجهد.. فعشرين سنة تبلغ 7300 يوما، ولو قسمنا عدد الأحجار على أيام البناء.. لكان لزاما عليهم أن يقوموا يوميا بقطع، وشطف، وتشذيب، ونقل، ورفع، وتثبيت 315 حجرا بما يزن حوالى 788 طنا بواقع 13 حجرا فى الساعة الواحدة بما يزن 33 طنا.. يعنى قطع، وشطف، وتشذيب، ونقل، ورفع، وتثبيت حجرا واحدا كل

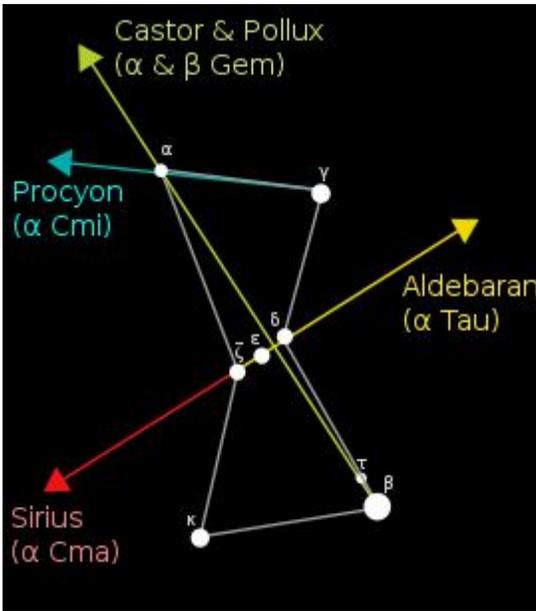
22 دقيقة، على زعم أن العمل استمر طوال أيام السنين العشرين لمدة 24 ساعة في اليوم بلا توقف.. فاذا ما قيل ان العمل كان في شهور الفيضان فقط لاحتاج العمل بالمعدلات المذكورة الى 60 عاما من البناء، وليس 20 اذا ما اعتبرنا أن شهور الفيضان أربعة.. أما اذا كان عشرين سنة كما ذكر فيحتاج العمل 945 حجرا يوميا بما يزن 2363 طنا بواقع 39 حجرا في الساعة بما يزن 98 طنا.. بمعنى رفع حجر كل 7 دقائق تقريبا.. فهل هذا من الممكن قبوله في هذا الزمن البدائي لأى انسان كان، وبأى عدد؟!..

كل هذا ولم يدخل العامل الاقتصادى في الحساب.. حيث نجد مسجد "السلطان حسن" في العصور الوسطى من أكبر آثار مصر الاسلامية، والذي يعتبر المؤرخون أنه يضاهى الهرم الأكبر من آثار مصر القديمة، وتم بناءه خلال عشرين عاما تماما مثل الهرم الأكبر مع الفارق بسبب تكاليف البناء التي كانت تستنفذ خزانة مصر في ذلك الوقت، وكذلك مسجد محمد على بالقلعة في العصر الحديث الذى شيده خلال أكثر من عشرين عاما لنفس السبب.. فما بال الهرم الأكبر في بلد ناشئ، محدود الموارد، مفتوح من الجهات الأربع لأى غزو، وقد لا يخلو من الأجانب عند أطرافه الشرقية، والغربية، والجنوبية، والتي قد تعوق سيطرته على موارده من الأحجار، والرمال، والمعادن، وما يترتب على ذلك من ادارة قوية، وحازمة، ومالية ضخمة، ومنظمة، واعداد الجيوش، ورعايتها، وتسليحها، وتدريبها، والدفع السريع بها وقت اللزوم الى الشرق، والغرب، والجنوب حيث الأعماق الاستراتيجية لهذا البلد في ذلك الوقت الذى تقلص الى عمقى الشرق، والغرب فقط في العصور الوسطى بعد دخول الاسلام، والى عمقى الشمال، والشرق في العصر الحديث ..

من النظريات التي وضعت لتفسير بناء الهرم الأكبر نظرية المصاطب الرملية التي تجر فوقها الحجارة حيث حدد العلماء ارتفاعات الرمل بما لا يزيد عن 10 أمتار ثم تنهار الجوانب بعد هذا الارتفاع.. فلكل مادة جافة متناثرة زاوية انسياب **Angle of repose..** وهو لا تتجاوز  $34^\circ$  بالنسبة للرمل الجاف حيث لا يمكن رفع الرمال لارتفاع الهرم بدون جوانب أسمنتية، أو حوائل حجرية.. واذا ماتم ذلك فسوف تردم منطقة بمساحة كبيرة جدا بالكامل بالرمال، ثم ازالته من جديد، وهو

مستحيل الانجاز خاصة اذا أخذنا في الاعتبار سريان مياه النيل، و تتكرر هذه العملية مرارا ..

نجوم كوكبة الجبار، وتظهر نجوم الحزام الثلاثة في الوسط..



فهل نستطيع أن نجزم بوجود حضارة سبقت الحضارة المصرية القديمة تميز مقيمها بالأجسام الضخمة، والبنية القوية، والهمة الخلاقة، والعقول الجبارة.. ولم يهتموا كثيرا بالتسجيل عندما غرقت حضارتهم في المادية المغرورة بغشم القوة، والنظر الى الخلق نظرة دونية كما استشعرهم الكاتب مصطفى محمود في شطحاته الفكرية التي شبه فيها أمريكا الحديثة، ورعاة البقر الذين أقاموها بعاد، ولكنه أطلق عليهم عاد الثانية لما لهم من قرابة في الأفكار المتطرفة، وغشم القوة.. ففي القرآن:

"-وأنه أهلك عادا الأولى" النجم 50..

ومن أجل ذلك ستأتى عاد الثانية في آخر الزمان.. فالنظام الأمريكى ينفرد بالعالم، ويحاول تشكيله على هواه، ويتحكم في البشر بلا مناس، ويسخر كل شىء من أجل مصالحه، ومعه اسرائيل.. ويغزون الدول الضعيفة بالآلهم العسكرية الجبارة المتمثلة في راجمات الصواريخ، والقنابل الفوسفورية، والعنقودية، والذرية الصغيرة التي تولد درجات من الحرارة تملك الحرث، والنسل، وتكفى لصهر البشر، ومعداتهم التي يدافعون بها عن أنفسهم.. تماما كما كانت عاد الأولى تقهر الناس بأجسامهم الفارعة، وقوتهم الغاشمة:

"-وإذا بطشتهم بطشتهم جبارين" الشعراء 130..

وقبل ذلك بنى النظام الأمريكى ناطحات السحاب الضخمة، والمصانع العملاقة.. كما يمكن أن نعزو كل المباني الضخمة في العالم القديم بين أعالي دجلة، والفرات، وأعلى النيل من أهرامات، وثمانيل، ومعابد الى هذا النوع من الخلق البشرى الذى لم يظهر له مثيل:

"-ألم تر كيف فعل ربك بعاد(6) ارم ذات العماد(7) التي لم يخلق مثلها في البلاد(8)" الفجر..

واسم السورة الفجر.. فجر التاريخ البشرى على الأرض بعد الطوفان.. والتعبير عن الماضى بالفعل المضارع المبني للمجهول "يخلق" في اللغة القرآنية تقطع بأن الله لم يخلق بشرا بهذه الكيفية العملاقة على الأرض، وهو ينعى عليهم تبديد جهودهم الجبارة، وأموالهم الغزيرة:

"-أتبنون بكل ربيع آية تعبتون(128) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون(129)"

الشعراء ..

وقد أعطى الله النظام الأمريكي الحديث أرضا بكرا بخيراتهما، وأثمارها، وثرواتها..  
كما أعطى عادا من قبل:

"-واتقوا الذى أمدمكم بما تعلمون(132) أمدمكم بأنعام وبنين(133) وجنات  
وعيون(134)" الشعراء..

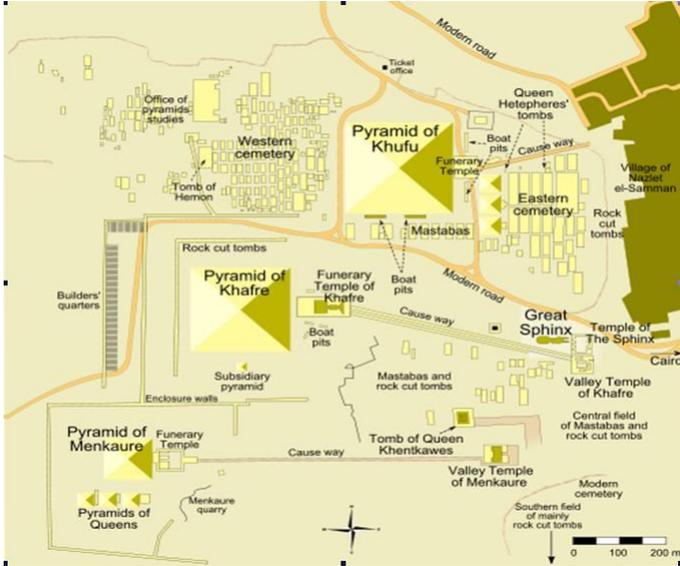
ان احدى المسلات تزن 323 طنا.. وهى مسلة حتشبسوت التى تعد من  
أضخم المسلات ..

"-ألم تر كيف فعل ربك بعاد (6) إرم ذات العماد (7) التى لم يخلق مثلها فى  
البلاد (8) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (9) وفرعون ذى الأوتاد (10) الذين  
طغوا فى البلاد (11) فأكثروا فيها الفساد (12)" الفجر..

وسياق الآيات هنا فى سورة الفجر إذا أخذت كلها نستطيع أن نلاحظ أن ثمود،  
وفرعون رغم إفرادهما قد اتبعتهما الآيات بكلمة "الذين" التى تدل على الجماعة التى  
تتبعهما ، بينما اتبعت "عاد" بكلمة "التي" وهى تدل على المفرد.. إذا فكلمة  
"التي" حسب سياق الآيات لا تعود إلى "عاد" بل إلى "إرم" وهى مدينتهم - كما  
يقولون - والتى ذكر القرآن أنها بالأحقاف، والتى يجمعون على أنها بين عمان،  
وحضرموت، أو الربع الخالى الذى لا يصلح لأى حياة، ويعتقدون أن مدينة "إرم"  
هذه مدفونة، وهو ما لا يتوافق مع صريح القرآن الذى يقرر وجود مساكنهم:

"-وعاد وثمرود وقد تبين لكم من مساكنهم" العنكبوت 38..

أهرام الجيزة الثلاثة من الجو بنظام ترتيب كواكب حزام كوكبة الجبار..



بمعنى أنها موجودة، ومرئية، ومنظورة.. ومدائن صالح (قوم ثمود) موجودة، وقد أكد وجودها على الطبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المعروف.. يقول الامام الطبري: "ان من يظن أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون عادا، أو ثودا فانه على وهم وخطأ.."

"-أولم يهد لهم كم أهلكتنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون" السجدة 26..

"-وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال" ابراهيم 45..

أما بخصوص "فرعون والاوزاد" التي يقولون عنها إنها أهرام ملوك الأسرة المصرية الرابعة.. فسياق الآيات بعدها يتحدث عن الطغيان، والفساد وهو ما يتفق بداهة مع طريقته في التعذيب التي كان يشد فيها الضحية بالأوتاد على الأرض، أو كما توعد السحرة الذين آمنوا مع موسى، وهارون عليهما السلام بصلبهم في

جدوع النخل، وحرف الجر المستخدم "في"، وليس "على" .. بمعنى أن يكون الجذع، والضحية شئ واحد بطول الضحية فيبدو كالوتد المغروس في الأرض ..

"-أتبنون بكل ربيع آية تعبون(128) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (129)" الشعراء..

بناء كالجبل ليس له فائدة.. وقد شيدت كل الأهرام المبنية في مصر فوق تلال.. وكانوا يبنون في كل مكان بناء ضخما ليكون آية، وشاهدا على قوتهم.. وليس عن احتياج له.. بل لظهار مالديهم من ثراء، وقوة، وكذلك اتخذوا المصانع، وهي البروج المشيدة، أو مأخذ المياه، ويالغون في ضخامة كل ما يقيمونه من مبان من أجل الخلود في الحياة الدنيا، نظرا لقوة أجسامهم، ومبانيهم، ولكنهم لم يسجلوا شيئا لاعتقادهم في استحالة زوالهم من الدنيا كغيرهم من الخلق ذات الأجسام العادية، وأن هذه الآثار، والمسكن لا يد دالة عليهم دون غيرهم ..

"-وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم وكنا نحن الوارثين" .. القصص 58..

"-أولم يهد لهم كم أهلكتنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولى النهى" طه 128..

"-فكأين من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد" الحج 45..

"-كأنهم أعجاز نخل منقعر" القمر 20..

"-كأنهم أعجاز نخل خاوية" الحاقة 7..

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح وزادكم في الخلق بسطة" الأعراف 69..

"-واذا بطشتم بطشتم جبارين" الشعراء 130..

-تم اكتشاف 104 - 110 هرما ما بين الجيزة، والنوبة جنوب مصر حتى الآن.. وهناك 65 هرما مدفونة في الرمال.. يرجح أنه تم وقف العمل فيها فجأة؛ رغم عدم اختفاء الحضارة المصرية فجأة، وقد يرجع هذا الى ماوقع لقوم عاد من

عذاب.. فاختفت هذه الأهرام، وطمست بسبب الريح التي سخرها الله عليهم، ولم يصب بها أتباع نبيهم هود عليه السلام:

"-وأما عاد هاهلكوا بريح صرصر عاتية(6) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما(7)" الحاققة ..

رأس أبو الهول عبارة عن قطعة حجرية واحدة يقدر وزنها بألف طن(مليون كيلو جرام) تحتاج 7 طائرات جامبو لتحريكها، ورفعها.. واثارت ضجة بين علماء الآثار بعد ازالة الرمال عنه بسبب خلو أكثر التماثيل من أى نقوش، أو كتابة.. فى الوقت الذى لم يترك فيه قدماء المصريين تماثلاً، أو معبد، أو مقبرة بدون كتابة، أو نقوش، والتماثل عبارة عن رأس انسان على جسم أسد.. يعنى رمزا للقوة العقلية، والجسمانية التى تميزوا بها:

"-وقالوا من أشد منا قوة" فصلت 15 ..

والغريب أن قدماء المصريين لم يقلدوه فى مكان آخر، ولم يدونوا شيئاً عليه، ولم يدع أحد ملوكهم بناءه، ولانقش اسمه عليه ولو بالزور.. الا أن علماء الآثار، والمؤرخون درجوا على أن ينسبوا أبو الهول - وهو اسم لايمت بأى صلة للغة الحضارة المصرية القديمة.. بل هو اسم سامى آسيوى أتى من خارج مصر - الى الملك خفرع، ويقع هذا التماثل فى الجهة الشمالية من نهاية الطريق الطويل الممتد بين المعبد الجنائزى(بجانب هرم خفرع)، ومعبد الوادى الذى كان يقام جهة النهر، وهو محفور فى قطعة واحدة نحتت من صخرة محلية، ولكن الناظر اليه الآن لا يصدق ذلك، والسبب أنه تم ترميمه فى عصور مختلفة، ويبلغ طوله 46 مترا، وارتفاعه من الأرض الى قمته 21 مترا..

أما تاريخ نحتة فقد اختلف فيه المصريون أنفسهم، فهناك نقوش متأخرة تدل على أنه نحت فى عهد الملك خوفو، ولكن البحث العلمى برهن على أنها نقوش دخيلة من عصر الدولة الحديثة، وما بعدها، وقد غالى بعض المؤرخين فقال ان هذا التماثل قد نحت فى عصر ما قبل الأسرات، ولم يعثر على تاريخ، أو نقش معاصر له يدل على زمن نحتة بالضبط، ولهذا يعده الأثريون لغزا من ألغاز التاريخ المصرى.. وقد بثت قناة الجزيرة الوثائقية حديثنا فيلما سجله الباحث الفرنسى دكتور "فاسيل

دوبريف(14)" بالمعهد الفرنسى للتنقيب عن الآثار بالقاهرة بعنوان "من بنى أبو الهول؟" .. ينفى فيه بالبحث طيلة عشرين عاما نسبة أبي الهول الى الملك خفرع بملاحظة أن الطريق الواصل بين المعبد الجنائزى لهرم الملك خفرع، ومعبد الوادى قد انحرف عن مساره خلف أبي الهول(شكل5) .. مما يدل على وجود أبي الهول أثناء بناء هرم الملك خفرع، ويعزى بناء أبي الهول الى ابن الملك خوفو المدعو "ددف رع" الذى تولى الحكم بعده مباشرة، وقبل الملك خفرع، وقد نحت التمثال بملامح أبيه الملك خوفو الذى قارنها بتمثاله الوحيد الموجود فى المتحف المصرى تخليدا للملك فى الدنيا، وتدعيما له فى العالم الآخر.. حيث ورث مملكة قد أصابها الاعياء من بناء الهرم الأكبر الذى استهلك موارد الدولة، وقوتها الجسدية.. ولكن هل بعد هذا يقرر خفرع بناء هرمه أيضا بمزيد من الاستتراف فى القوة، والموارد؟ ..!

ويعتقد أن أبا الهول استمد اسمه كما ذكرنا من قوم من الكنعانيين(الساميين الآسيويين) سكنوا هذه المنطقة أواخر الأسرة الثامنة عشرة(عصر الدولة الحديثة)، وقد نقلوا معهم عبادة الههم "حورون"، أو "حورونا"، أو "حول" من سورية، وكانوا يمثلونه بشكل صقر.. فأطلقوا على المكان الذى فيه التمثال "بر - حول"، أو "بيت - حول"، ثم جاء التحريف الى أبى الهول، وهو مايقدم فى نسبته كليا لقدماء المصريين مع الأخذ فى الاعتبار قدم التمثال لما قبل عصر الأسرات المصرية كما ذكرنا سلفا استنادا الى آراء بعض المؤرخين.. ومن ناحية أخرى فقد درج قدماء المصريين على تمثيل آلهتهم بجسم بشرى، ورأس حيوان، وليس العكس كما هو الحال فى تمثال أبي الهول الذى يرجح المؤرخون أنه كان لها يعبد، وقد بنى له معبدا خاصا أمامه ..

ومن هنا يمكننا تقسيم التاريخ المصرى الى تاريخ صامت، وتاريخ مكتوب.. فالأهرام، وأبو الهول المنسويين لعصر الأسرة الرابعة عن طريق التلفيق من هيرودت الذى وثق كلاما سمعه، واعتمده علماء المصريات الأجانب قد خلا تماما من النقوش حتى تاريخ هذه الأسرة(الرابعة) التى ظهرت آثارها التى نسبت لها ملساء من الكتابة، والتسجيل ..

"-وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم" العنكبوت 38..

"-فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم" الأحقاف 25..

فأين هي مباني قوم عاد التي تركها الله عبرة لنا، ودليلا على قوتهم، وعلى قدرته سبحانه، وتعالى على خلق طائفة من البشر ببسطة في الجسم، والعلم ليذكرنا بخلق آيينا آدم عليه السلام على هذه الهيئة من قبل اذ لا بد أن تكون آثارهم على قدر قوتهم، وعلمهم:

"-ألم تر كيف فعل ربك بعاد(6) ارم ذات العماد(7) التي لم يخلق مثلها في البلاد(8) الفجر ..

الطريق بين المعبد الجنائزي، ومعبد الوادي لهرم خفرع وقد انحرف عن مساره خلف أبي الهول، ويظهر المعبد الخاص بأبي الهول أمامه مباشرة بجوار معبد الوادي لهرم خفرع..



lakii.com

فقد ذهب المفسرون مذاهب شتى نحو عاد "ارم" الذى ادعى بعضهم أنها مدينتهم التى تسمى "ارم" واختلفوا أين تقع (شكل6)، وهو جد قبيلتهم، ونسوا كيف يخلق الله بشرا بهذه البسطة فى الجسم، والعلم، ولا يكونوا جوابين سائحين فى الأرض بامكانيات أجسامهم القوية، وعقوفهم الغذة.. فكيف تكون لهم مدينة تحدهم.. يستقرون فيها، فلم يدرج البشر العاديين على ذلك.. بل ان منهم من جابوا البحار، والقفار، ومنهم من استقر فى أكثر من مكان، واتخذوا أكثر من مستعمرة.. مع أن سياق الآية فى غاية الوضوح، فالله تعالى قد ميزهم عن باقى البشر مثلهم على الأرض، وهم ذات الأصل الواحد، أو الأب الواحد، والأم الواحدة.. فهى طلاقة قدرته تعالى.. فيصفهم بالعماد.. فلهم قامات كالنخل تميزوا بها عن سائر البشر العاديين الذين لاشك أنهم كانوا موجودين معهم، وليست مدينتهم ذات العماد.. حيث وجدت المدن ذات العماد فى أماكن شتى على الأرض.. فأى منها مدينتهم، وكيف لاتكون كل هذه المدن قد أقاموا فيها المباني الضخمة التى تتشابه أعمدها، وارتفاعاتها، وطرزها المعمارية.. ويؤكد سبحانه، وتعالى أنه بما يميزهم بأجسام كالعماد التى أقاموها فى كل مكان ذهبوا فيه.. فانه تعالى لم، ولن يخلق مثيلا لهم فى سائر بلاد الأرض، وهو ما لم يرد فى السير، والآثار من أقوام بقاماتهم على مر الزمان.. وكلمة "يخلق" من الخلق، وهو للبشر فقط، وليس للمدن التى يقيمها العباد فى العادة، ولا خيار بينها.. فالمدن لاتقارن؛ لأن كل مدينة لها ما يميزها عن غيرها سواء من حيث المساحة، والسكان، والمعالم، والموقع، وغير ذلك..

فى ابن كثير، والقرطبي:

-ذات العماد.. الأبنية المرفوعة على العمدة، وكانوا ينصبون الأعمدة فينبون عليها القصور.. وفى لسان العرب.. الأبنية الرفيعة ذات الطول ..  
-الإرم.. العلم (مفرد أعلام).. وفى لسان العرب.. حجارة تنصب علما فى المفازة (الصحراء)، والجمع آرام، وآروم.. مثل ضلع، وأضلاع، وضلوع..  
-الأحفاف.. فى اللسان جمع حقف وهو الجبل من الرمل، وهو ما استطال من الرمل كالجبل، واعوج، ولم يبلغ أن يكون جبلا، ولها معنيين فى اللغة:

\*ماستطال من الرمل، ولم يبلغ أن يكون جبلا.. وليس بالضرورة اطلاق الاسم على المنطقة المعروفة جنوب شرق الجزيرة العربية تحديدا.. بل من الممكن أن يطلق اسم الأحقاف على أى مكان به رمل عظيم..

\*ندل على الماء.. ففي بلاد الشام كانت مصر تسمى حقفة.. أى بلاد الماء نظرا لأوديتها(وادى النيل..).

"- فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم" الأحقاف 24..

لماذا لاتكون كلمة أحقاف وصفا لمكان، وليس اسما لمكان.. فلم يهتم القرآن عادة بتحديد أماكن من نزل بهم العذاب.. حتى لاينصرف الذهن عن العبرة، والموعظة الى البحث فى الزمان، والمكان اللذين لم يذكرنا تحديدا، الا بالاستنباط، والدلائل، ومقارنة الحوادث، والآثار قديما، وحديثا، وقد استقر الأمر لدينا أنهم كانوا جواين كباقي العرب، وانتشروا فى الزمان، والمكان، ويبدو من الآيات القرآنية أن هودا عليه السلام لم يكن النبي الوحيد الذى ارسل اليهم، أو فى وجودهم:

"-واذكر أبا عاد ان أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله" الأحقاف 21..

فيتضح من الآية أن هودا كان آخر من أنذرهم، وهو لكى ينذرهم فلا بد أن يكون ذلك فى مكان معين استقروا فيه بعد الانتشار، والترحال، ولتكن الأحقاف هى المكان المحدد بهذا الاسم الآن، أو غيره كما أسلفنا.. وقد يكون هؤلاء الجوابون قد صادفوا رسلا فى البلاد التى ارتادوها.. كما يقول القرآن عنهم، وعن ثمود:

"-فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود(13) اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم(14)" فصلت..

يعنى جاؤهم لأنفسهم خاصة، أو لغيرهم.. فرأوهم، وعاشروهم فى ترحالهم..

بينما يقترح أحد المحققين حلا بالجمع بين المكانين يلجأ اليه المدققين حين تختلط الآثار لأحد الأقوام فى أكثر من مكان فيرى أن المسافة بين شمال العراق حيث

عاش سام، وآرام وبين شرقي سيناء، أو شرقي خليج العقبة - كم سنذكر فيما بعد - تبلغ حوالى 1000 كيلو متر، وهو المكان المقترح لقوم عاد بعد قوم نوح، والذين خلفهم قوم ثمود في نفس الدائرة تقريبا كما بين الترتيب القرآنى في الزمان، والذي يمكن أن يمتد في المكان أيضا.. أما المسافة من شمال العراق الى حضرموت، وهو المعتقد الوهمى لمكان تواجد عاد تصل الى 3500 كيلو متر.. فطبيعة ارتحال القبائل يجعل عادا تعيش في شمال الحجاز شرقي خليج العقبة، وتطلق اسم جدها آرام بن سام على هذه الأماكن، ومرت أربعة أجيال أخرى ليولد فيها "الخلود"، ثم "رياح"، ثم "ناحور"، ثم "عبد الله"، ثم "هود" ليؤدى هذا التكاثر الى التدافع نحو الجنوب بجذاء الساحل حتى وصلت الى اليمن السعيد، ومن المؤكد أن عدن كانت مكتظة بأهلها لخصوبتها.. فآثر القادمون السكنى شرقي عدن في الأحقاف العروفة بهذا الاسم حاليا شمال حضرموت، وان ظلوا يسمون أنفسهم "عادا" على اسم جدهم الأول(9).. كما هو مخطط في الخريطة(شكل 6)..

وقد عثر في شمال حضرموت على آثار عليها كتابة بالخط المسمارى، وهو مايدل على قوم قدموا من الشمال الذى تميز تاريخيا بهذا الخط ..

وقوم عاد من الأمم الآرامية.. فسميت "عاد ارم"، واختلط على المفسرين، والمؤرخين لفظ "ارم" الذى ظنوا أنه مدينة في "تبه آين" بين عدن، وحضرموت، أو اليمن، وذهب بعضهم انها "الاسكندرية"، وقال آخرون انها "دمشق"، لأن ارم من أسماء دمشق بالعبانية، وكانت مركزا للارميين(الآراميين)، وعاصمة من عواصمهم، ولعلها الفكرة التى أوحى الى النسابين جعل عادا من نسل "عوص بن ارم"، وأصبحت عاد من الآراميين.. وأما الاسكندرية فقد ظنوها ارم القديمة من أثر قصص الاسكندر فى الأساطير اليمنية التى ذكرها كتاب "التيجان" لوهب بن منبه.. ففى الرواية حاول الاسكندر احتلال اليمن.. فغدا "شداد بن عاد" بانيا للاسكندرية، والاسكندر مكتشفا لها.. وقد بالغوا فى فخامة المدينة، وعظمتها عندما رأوا أبنية الروم فى الشام، وأبنية قدماء المصريين، ومعابد الأقصر، وأسوان مثلا فى الضخامة، والأبهة.. فاعتقدوا أن مدينة عاد ستكون أضخم، وأفخم، وأعظم.. والصحيح أن ارم اسم القبيلة.. فقالوا "عاد ارم"، مثلما قالوا "ثمود ارم".. والقبائل البائدة كلها عند العرب من نسل ارم، ويعرفون "بالأرمان".. وعاد، وثمود اللذان

جاء ذكرهما في القرآن من أحفاد "ارم بن سام بن نوح" .. ويبدو كما ذكرنا في الفصل السابق أن "العماليق" أحفاد قوم عاد الذين عاشوا في مصر، ومحاولها من جهة الشرق ردحا من الزمن قد خلفوا أجدادهم الذين سبقوهم الى مصر منذ عدة قرون.. كما تذكر الكتب، والمراجع العربية، ومصادر التراث، والتاريخ الاسلامي أن العماليق قد حكموا مصر، وعدهم ابن خلدون من العرب القدماء؛ فيقول:

"-عاد، وثمود، والعماليق، وأميم، وجاسم، وعييل، وجديس، وطسم هم العرب.."

وقد ذكر اليونانيون ضمن جملة قبائل اليمن حوالى تاريخ الميلاد قبيلة يكتبونها بلسانهم **Adramitai** ويريدون بها العادرميون، أو العاديون على حد قول أحد المؤرخين(7).. بينما ذكر آخر(8) أن قوم عاد من الأعراب الذين سماهم بطليموس **Oaditae** على أنهم كانوا يقيمون في الأراضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب.. لعلها موضع "بئر ارم" من الآبار القديمة في منطقة "حسمى" على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم في "ديار جُدام" بين "أيلة"، و"تية بنى اسرائيل".. وهو موضع لايبعد كثيرا عن أماكن تواجد ثمود الذين ارتبط اسمهم بعاد في القرآن، وهو من أقرب الآراء الى الصواب باتفاق جماعة من المستشرقين..

وقد أجريت حفريات قامت بما دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية سنة 1932 عند موضع "جبل رم" الذى يقع على بعد 25 ميلا شرق العقبة عند واد على مقربة من عين ماء أكدت أن المكان هو موضع ارم الوارد ذكره في القرآن؛ والذى حل بها الخراب قبل الاسلام، ولم يتبق منها بعد الاسلام غير عين ماء كان يتزل عليها التجار، وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام - مصر - الحجاز.. وتمتألا الكتب العربية بأسماء محلات أخرى قديمة.. عشر فيها على نقوش، وتماثيل وصفت بأنها من مساكن قوم عاد..

وكلمة "الأحقاف" التى ذكرت في القرآن مقرونة بقوم عاد، ولم يقتصر الأمر على الكلمة.. بل ارتفع رصيد الكلمة من التصديق لتكون اسما لسورة من سور القرآن الكريم جعل الاخباريون يلتمسون مواضعهم التى حدودها لقوم عاد فى الصحارى، فوضعوا القصص، واختلقوا الروايات، وأدلى المفسرون بدلوهم فى تعيين

المكان الذى لم يعينه القرآن، ولا يحتم تفسيرهم اختصاص الأحقاف بهذا المكان.. حيث جعلوا رمال "وبار" فى جملة المناطق التى كانت لعاد، وموضع Aramaa الذى ذكره بطليموس، وهو ارم، ويقال له الآن "رم" أظهرت الحفريات التى قام بها المعهد الفرنسى فى القدس صحة هذا الرأى، فقد ورد فى الكتابات النبطية التى عثر عليها فى خرائب معبد اكتشف فى رم أن اسم الموضع هو ارم، وهو ما يوضح أن هذا الموضع حافظ على اسمه القديم، ولكنه فقد حرفا من حروفه على مر السنين، والأجيال ليصبح رم بدلا من ارم..

وارم هو "آرام" فى التوراة عند الاخباريين العرب.. الذين قسموا العرب الى بائدة، وعاربة، ومستعربة، وقد يقسموهم أحيانا الى عاربة، ومستعربة، وهم يدخلون عادا، وثمودا فى العرب العاربة، أو البائدة.. فأما عاد فأنهم من نسل "عاد بن عوص بن ارم"، وثمود من نسل "ثمود بن غائر بن ارم"، وارم هو شقيق "لاود"، أو "لواد"، أو "لود" فى التوراة، وأبوهما "سام بن نوح"، وقد شك كثير من المستشرقين فى وجود هذه الطبقة.. فعدوهم من الأقوام الخرافية التى ابتدعتها مخيلة الرواة حينما عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها، أو قريبة منها فى اللغات القديمة، أو الكتب الكلاسيكية، ولكن مع الوقت بدأ الحصول على معلومات، وحل لرموز بعض الكتابات مثل الخط الثمودى.. حيث اتضح أيضا أن البعض قد عاشوا بعد ميلاد المسيح عليه السلام..

وقد قدم الاخباريون عادا، وثمودا على غيرهم من قبائل العرب البائدة اقتفاء بالقرآن الكريم الذى أورد ذكرهم بالترتيب بعد قوم نوح عليه السلام، حيث ورد الترتيب فى سورة الأعراف.. فيخاطب هود قومه عادا فى الآية 69:

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قود نوح.."

ثم يخاطب صالح قومه ثمودا فى الآية 74 من نفس السورة:

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد.."

وقد لاحظ الطبرى عدم ذكرهم فى التوراة، ولا ذكر هودا، وصالحا.. خاصة عندما استفسر عنهم المسلمون أهل الكتاب من اليهود الذين أخبروهم بعدم ذكرهم فى التوراة التى تتبع كل آثار اليهود، ومن عاشروهم، ولم يهتموا بأخبار

العرب.. خاصة تلك الطبقة البائدة منهم.. أو ربما عاش من هذه الطبقة البائدة من جاء بعد تدوين التوراة فلم يرد ذكرهم.. ورغم ذلك فقد ذهب بعض الاخباريين أن عادا هي "هدورام" في التوراة، ودليلهم اقتران عاد بارم في الكتب العربية.. بالرغم من كونه من نسل "يقطان".. أى قحطان في الكتب العربية.. فقد يكون ذكرهم على سبيل بيان القبائل التي سكنت اليمن من أولاد قحطان.. فرأوا عاد ارم من جملتها ..

وذهب الاخباريون الى وجود طبقتين لقوم عاد.. هما.. عاد الأولى، وعاد الثانية، وزعموا أن الأولى من أعظم الأمم بطشا، وقوة، وتألفت من عدة بطون تزيد على الألف، والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد أخذوها من الآية القرآنية:  
 "وأنه أهلك عادا الأولى(50) وثمود فما أبقى(51) وقوم نوح من قبل(52)"  
 النجم..

ومن هنا تصوروا وجود عاد ثانية ظهرت بعد هلاك عاد الأولى، ولكن أليس من الممكن أن تكون كلمة "الأولى" تشير الى قدمهم في القرون الأولى التي ذكرها القرآن في مواضع أخرى ..

"-ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى" القصص 43..

خريطة توضح مواطن قوم عاد(عن كتاب قصص الأنبياء والتاريخ..)



حتى فرعون سأل موسى عن أمرها:

"-قال فما بال القرون الأولى" طه 51..

كما نلاحظ نفس الترتيب في آيات سورة النجم المذكورة.. نوح.. عاد..  
ثمود.. وفي كثير من الآيات ..

وقد أصاب القوم القحط ثلاث سنوات في مكائهم الذى استقروا فيه، أعقبته  
زوابع، وأعاصير نزلت بهم.. فأهلكتهم..

"-سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما" الحاقة 7..

فاقتلعت الناس، وصارت ترميهم من شدتها..

"-تترع الناس كأهم أعجاز نخل منقعر" القمر 20..

"-فترى القوم فيها صرعى كأهم أعجاز نخل خاوية" الحاقة 7..

فخلت ديارهم منهم، وصارت أماكنهم أثرا..

ولم يبق بعد هلاك عاد الأولى الا هود عليه السلام، ونفر من الذين آمنوا معه..  
فارتحلوا الى سبأ.. حيث عرفوا بعاد الثانية، ويزعمون أنهم الذين بنوا "سد العرم"  
قرب مأرب، واستمر حكمهم ألف سنة حتى غلبهم القحطانية، فلدجأوا الى  
حضر موت حتى انقرضوا..

ويقولون ان هودا تسمية عربية مشتقة من الجذر العربي هاد.. فهو هائد..  
أى تائب، وراجع الى الله، أو من هدى فهو المهدي، والهادى ..

ولما مات هود عليه السلام دفن بأرض حضرموت، ويدعون أن قبره في  
"وادي برهوت" غير بعيد عن "بئر برهوت".. التى تقع في الوادى الرئيسى للسبعة  
أودية، وهى الآبار القديمة التى اشتهرت فى الجاهلية بكونها شر آبار الأرض، وحديثا  
ومن دراسة المكان تبين أنه موضع بركان قديم انفجر فأهلك من كان حوله، وهو  
ماجعلهم يتوهمون أن هذا مكان عاد، وماحدث فيه من عذاب لها، ولازال القبر  
يزوره الناس خاصة فى الحادى عشر من شعبان من كل عام ..

واقترنت عاد دائما فى القرآن بثمود.. بل ربطهم ببعض.. فيقول على  
لسان نبيهم صالح:

"-واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا" الأعراف ..

والمشهور في كتب العرب أن ثمودا كانت تقيم في الحجر المعروفة بمدائن صالح في وادى القرى (شكل7)، وكان اليهود يسكنونها قبل الاسلام، واقتراها بعدا يقتضى تقاربهما في المكان، وجاء ذكرها في كتب اليونان نحو تاريخ البلاد، وبعده، وعينوا مكانها في الحجر التي يسمونها **Thamudeni** ، والحجر **Agra** ، وربما ملأوا الأرض بين بصرى، وعدن(\*) كما كان أخوانهم العاديون من قبلهم..

والثابت من الآثار أن مدائن صالح(الحجر) دخلت حوزة النبطيين سكان بطرا قبيل تاريخ الميلاد، والنبط في التوراة هم "بنوت" نسبة الى الابن الأكبر من أولاد "اسماعيل" عليه السلام المسمى "نابت" عند الاخباريين العرب.. بدليل ما على أطلال تلك المدائن المنقوشة في الصخر من "الكتابة النبطية"، ومن أهم الأبقاض "قصر البنت"، و"قبر الباشا"، و"القلعة"، و"البرج.."

"-وثمود الذين جاؤا الصخر بالواد" الفجر..

أى يقطعون صخور الأودية، ينحتونها، ويحرقونها.. من اجتاب الثوب اذ فتحه، وعمل جييا فيه.. ولم يعين القرآن أيضا موضع منازل ثمود.. ولكن من وصف الآية يتبين أن مواضعهم كانت جبلية، أو هضاب ذات صخور، وأن الوادى هو "وادى القرى"، وقد عينوا "الحجر" الذى هو قرية بوادى القرى، وفيها بئر تسمى "بئر ثمود" وهى التى نزل بها "الرسول" صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى "غزوة تبوك"، ويذكر البعض أنهم "بقية عاد"، أو "عاد الثانية.."

وتظهر جغرافية بطليموس أن ديار ثمود كانت غير بعيدة عن ديار عاد، وكلاهما فى أعلى الحجاز فى المنطقة الجبلية التى تخترقها الطرق التجارية التى تصل الشام، ومصر بالحجاز، واليمن، وهو ما أكدته أيضا الروايات العربية.. فاذا كانت "الحجر" هى "موطن ثمود".. فوجب أن تكون ديار عاد على مقربة من هذه المواضع..

" الحجر" غير "مدائن صالح" التى هى "حجر النبط"، وعاصمتهم، وبينها وبين الحجر مسافة عشرة أميال، وقد عثر على نقوش ثمودية فى أماكن مختلفة شمال

الجزيرة العربية، وفي طور سيناء، ومصر، والطائف، واليمن، وشمال غرب تدمر، غير أن هناك من المستشرقين من يشكك في أصل هذه النقوش، ويرون أنها لغير الثموديين نظرا لغياب الدليل العلمي على صحة هذا النسب.. كما عثر أيضا على نصوص مزجبة من الثمودية، والنبطية ..

وقد تميل الى شك المستشرقين من حيث نظرنا الى التاريخ العربي القديم الذي بدا خاليا من النقوش في كثير من بقاع الدائرة التي عاش فيها عاد، وثمود، وان وجدت النقوش فلا بد أن يكون لمن اتخذوا من هذه الآثار أماكن للعيش، أو العبادة، أو الدفن، وتأمين الحياة بعد الموت التي كان القدماء يحرصون عليها.. فقوم عاد، وثمود كانوا عربا في الأساس، والعرب رحل في العادة.. فان خلفوا أبنية فهي تمثل الخلود بالنسبة لهم، ولاداعي للكتابه عليها.. فقوة أجسامهم، وأبنيتهم لا توحى لهم بالفناء، وبالتالي فلا حاجة للكتابة، والتسجيل.. وظل هذا المنحى هو ديدن حياة العرب حتى وقت البعثة النبوية الأخيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى عرفوا في التصنيف الديني "بالأميين" .. رغم أشعارهم، ومعلقاتهم، وما عرف عن أهم أمة كلام، ونظم.. حتى تاريخهم، وأنسابهم تداولوها بألسنتهم، وحفظوها في أذهانهم وهم يقطعون البادية ذهابا، وإيابا فوق ظهور الخيول، والجمال، ولا وقت، ولا مجال للكتابة، والتسجيل، ولا يوجد أى أثر لهم سجلوا عليه أى كتابات، ومن هنا جاء الغموض العويص في تاريخهم، ونشأتهم، والأماكن التي حلوا بها، والجهد الجهد الذى يصادف من تعرض لتاريخهم المبهم من المؤرخين، والاختباريين.. فبدا تاريخهم ضرب من الطلاسم، والاحتمالات، ودلائل تتأرجح بين الشك، واليقين ..

والكتابة الثمودية عموما نوعان.. قديم، وحديث متطور؛ وله صلة بقلم طور سيناء، وصلة بالقلم المسند باليمن، وكان الثموديون كعاد أهل حضر، ولهم مستوطنات، ومعابد، وزراعات، وماشية.. كما اشتغلوا بالتجارة..

ويشبهه مصر عاد، وثمود مصر سدوم **Sodom** ، وعمورة(جمورة)، وكمورة**Gomorrah** )، وبقية مدن الدائرة في عمق السديم جنوب البحر الميت كما يرى علماء التوراة، وهى خمس على سهل دائرة الأردن.. وقد أطلق الله تعالى في القرآن على ثمود، ولوط، وأصحاب الأيكة الأحزاب..

"-وثنود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب" ص 13..

وفي رواية محمد بن كعب القرظي في تاريخ الطبري ذكر للقرى الخمس الواقعة حول سهل دائرة الأردن، وقد دعاها بالمؤتفكات على لفظ القرآن:

"-والمؤتفكة أهوى" النجم 53..

وهي صبعة، وصعرة، وعمرة، ودوما، وسدوم، ويقابلها في التوراة سدوم، وعمورة، وأدما **Admah** ، وصبويم **Zeboim** ، وبالع **Bela** ، وتسمى أيضا صُوغر **Zoar..**

مدينة البتراء الأثرية بالأردن، أو مساكن قوم ثنود، والتي سكنها النبط من بعدهم..

## المصادر

- 1- القرآن الكريم..
- 2- محمد فؤاد عبد الباقي.. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.. المكتبة  
الاسلامية.. استانبول.. تركيا 1982
- 3- د. خزعل الماجدى.. المعتقدات الكنعانية.. دار الشروق للنشر والتوزيع..  
2001 م
- 4- الشهرستاني.. الملل والنحل.. تحقيق محمد سيد كيلانى.. مكتبة مصطفى البابى  
الحلبى بمصر 1976م.
- 5- د. سليم حسن.. موسوعة مصر القديمة.. مكتبة الأسرة.. هيئة الكتاب  
2000 م.
- 6- سامى المغلوث.. أطلس الأديان.. مكتبة العبيكان.. الرياض.. 2007م..
- 7 - الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة.. دار الندوة العالمية للطباعة  
والنشر والتوزيع.. الرياض..
- 8- محمد صابر.. مصر تحت ظلال الفراعنة.. مكتبة الانجلو المصرية..
- 9- عباس محمود العقاد.. "الله" .. كتاب فى نشأة العقيدة الالهية.. الطبعة الخامسة..  
دار المعارف..
- 10- عبد الحميد جودة السحار.. محمد رسول الله والذين معه (الجزءان 12، 5)..  
مكتبة مصر.. 1977..
- 11- سيجموند فرويد.. موسى والتوحيد.. ترجمة دكتور عبد المنعم الحفنى..
- 12- الدكتور جمال عبد الهادى، والدكتورة وفاء محمد.. "تاريخ الأمة المسلمة  
الواحدة من أقدم عصورها.."
- 13- أحمد سعيد.. لا للفقر فى ظل القرآن.. كتاب الهلال.. 1987..
- 14- د. محمد فتحى صقر.. تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى فى اطار الاقتصاد  
الاسلامى.. المصرف الاسلامى الدولى للاستثمار والتنمية.. 1988..
- 15- الشيبانى.. الاكتساب فى الرزق المستطاب.. مكتبة الأسرة.. 2008..

- 16- محمد عيسى داود.. الخيوط الخفية بين المسيح الدجال وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة.. دار البشير.. القاهرة.. 1994..
- 17-د.عبد المنعم الحفني.. الموسوعة الفلسفية.. مكتبة مدبولي..
- 18-الموقع العربي الرسمي للجماعة الاسلامية الأحمديية(2005).. الشبكة الدولية للمعلومات..
- 19-محمد فؤاد عبد الباقي.. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم.. دار الحديث 2005 ..
- 20- ويكيبيديا(الموسوعة الحرة).. الحكماء السبعة.. شبكة المعلومات الدولية.. 2009/6/26..
- 21- ماريو توسى وكارلو ريو ردا.. ترجمة ابتسام عبد المجيد.. معجم آلهة مصر القديمة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة.. 2008..
- 22-عاطف عزت.. فرعون موسى من قوم موسى.. نغرتارى للدراسات والنشر..
- 23-د.رشدى البدرأوى.. قصص الأنبياء والتاريخ.. مطابع الجزيرة انترناشيونال.. 2004 ..
- 24- جورج بوزنر وآخرون.. ترجمة أمين سلامة.. معجم الحضارة المصرية القديمة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة.. 2003..
- 25-كمال الصليبي.. خفايا التوراة وأسرار شعب اسرائيل.. دار المسافر..
- 26-جودت السعد.. أوهام التاريخ اليهودى.. الأهلية للنشر..
- 27-موقع الباحث "طارق عبد المعطى" على شبكة المعلومات الدولية..
- 28-ابن كثير.. تفسير القرآن العظيم.. دار التراث العربى..
- 29-محمد فريد وجدى.. المصحف المفسر(المقدمة).. مؤسسة دار الشعب..
- 30-المعجم الوجيز.. مجمع اللغة العربية..
- 31-الرازى.. مختار الصحاح.. طبعة دار المعارف..
- 32-الزنجشى.. أساس البلاغة.. طبعة دار الشعب ..

- 33- جوده محمد على.. أسلمة العلوم والتعليم.. سلسلة اقرأ.. دار المعارف..
- 34- وحيد الدين خان.. تجديد علوم الدين.. ترجمة د. ظفر الدين خان.. دار الصحوة للنشر.. القاهرة.. 1986..
- 35- عبد الرزاق نوفل.. القرآن والعلم الحديث.. دار الشعب.. 1981..
- 36- جاليليو جاليليه.. ترجمة وتحقيق: أ.د. محمد أسعد عبد الرؤوف.. حوار حول النظامين الرئيسيين للكون (النظام البطليموسى، والنظام الكوبرنيقى).. مشروع الألف كتاب الثانى.. الهيئة العامة للكتاب ..
- 37- مصطفى محمود.. علم نفس قرآنى جديد.. كتاب اليوم.. 1998..
- 38- ول ديورانت.. قصة الحضارة.. المجلد الثالث - 6/5 - ترجمة محمد بدران - مكتبة الأسرة ..
- 39- نفس المصدر - المجلد الرابع - 8/7 ..
- 40- حمد بن صالح العثيمين.. فتاوى أركان الاسلام..
- 41- دكتور "مراد وهبة" فى ندوة "الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير" بالاشتراك مع مؤسسة "كونراد أديناور" .. بعنوان "دور التنوير فى دعم التحول الديمقراطى فى مصر" .. مايو 2006..
- 42- الطيار السورى كاتب "نادر جنيد" .. دمشق.. من خلال عمله فى الملاحه الجوية.. اقترح 19 برهانا، ودلل بعدد 11 آية قرآنية.. الشبكة العنكبوتية.. موقع الموسوعة [www.geography.com](http://www.geography.com) ..
- 43- عبد المحسن بركات.. جريدة الأسبوع فى 12 من مارس 2007..
- 44- أ.جلال السيد.. قضية علمية عن أفكار م. عبد المحسن بركات.. يوميات الأخبار فى 16 من مارس 2009 ..
- 45- أ.عيد وردانى.. قصة الخلق من العرش الى الفرش S.R. .. للطباعة والتجليد.. الاسكندرية 2000.. الطبعة السابعة..
- 46- أ.همدى بن همزة الصريصرى الجهنى.. "فك أسرار ذى القرنين (أختاتون) ويأجوج وماجوج (الطبعة المنقحة)" .. الرياض 1428هـ/2007م..

- 47- رحلات "نور هايردال" .. سلسلة "اقرأ" - دار المعارف ..
- 48-د.عبد العزيز بكرى أحمد.. مبادئ علم الفلك الحديث.. مكتبة الأسرة  
2010.. الهيئة المصرية العامة للكتاب ..
- 49-الدكتور محمد بيومى مهران .. دراسات تاريخية من القرآن الكريم.. المعرفة  
الجامعية.. الاسكندرية.. 1995..
- 50-دائرة الترجمة والنشر.. كل شىء عن الأهرام.. مكتبة لبنان ناشرون..  
2011..
- 51-هيروودت يتحدث عن مصر..
- 52-عباس محمود العقاد.. ابليس.. كتاب اليوم.. 2006..
- 53-دكتور حسين مؤنس.. تنقية أصول الدين الاسلامى..
- 54-ابن منظور.. تحقيق: د.أحمد سالم الكيلانى، ود.حسن عادل النعيمى.. لسان  
العرب.. مركز الشرق الأوسط الثقافى.. الطبعة الأولى.. 2011..
- 55-محمد سمير عطا.. عمالقة قوم عاد كانوا مصريين.. عطا للاعلام العربى..
- 56-تاريخ ابن خلدون.. الجزء الثانى..
- 57- (\*) أبو اسماعيل.. فتوح الشام ..
- 58-جرجى زيدان.. تحقيق د. حسين مؤنس.. العرب قبل الاسلام.. دار الهلال..
- 59-د.جواد على.. المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام.. الطبعة الثانية..  
1413هـ - 1993م..
- 60-رشدى البدر اوى.. قصص الأنبياء والتاريخ.. مطابع الجزيرة انترناشيونال..  
1996..
- 61-سامى عبد الله المغلوث.. أطلس تاريخ الأنبياء.. مكتبة العبيكان.. الطبعة  
السادسة.. 1426هـ - 2005م ..
- 62-ريتشارد هـ. ولكنسون.. ترجمة: حسن حسين شكرى.. دليل الفن المصرى  
القديم.. مكتبة الأسرة.. (2010).. الهيئة المصرية العامة للكتاب ..

- 63- محمد سيد طنطاوى.. المعاملات فى الاسلام.. دار المعارف.. سلسلة "اقرأ".. (2000)..
- 64- عباس محمود العقاد.. داعى السماء(بلال بن رباح - مؤذن الرسول).. المكتبة العصرية.. بيروت..
- 65- دكتور أحمد ابراهيم مهنا.. تبويب آيات القرآن الكريم من الناحية الموضوعية.. عن كتاب المستشرق الفرنسى "جول لابوم"، وترجمة محمد فؤاد عبد الباقي.. دار الشعب..
- 66- كامل زكى حميد.. مراجعة د.أحمد مستجير.. الاستنساخ قنبلة بيولوجية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 2007..
- 67- شوقى الفنجرى.. المدخل للاقتصاد الاسلامى.. دار النهضة العربية.. 1972..
- 68- خلاف عبد الجابر خلاف.. مدخل للدراسات الاقتصادية الاسلامية.. المعهد العالى للدراسات الاسلامية.. 1999..
- 69- فاضل سليمان.. تقديم وتذييل: د.محمد عمارة.. أقباط مسلمون قبل محمد.. النور للانتاج الاعلامى والتوزيع.. 2010 ..
- 70- عبد الباسط الجمل.. حكاية الاستنساخ..
- 71- محمد أبو رحمة.. الاسلام والديانة المصرية القديمة.. مكتبة مدبولى.. 2005..
- 72- ابن كثير.. البداية والنهاية(قصص الأنبياء)..
- 73- الكتاب المقدس.. التوراة(العهد القديم)..
- 74- غطاس عبد الملك الخشية.. رحلة بنى اسرائيل الى مصر الفرعونية والخروج.. دار الهلال.. الطبعة الثانية.. 1999 ..
- 75- المسعودى.. مروج الذهب ومعادن الجوهر.. المكتبة العصرية- بيروت.. 2005..
- 76- اسماعيل حامد.. هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي ادريس بين الأساطير والحقائق.. دار مشارق.. 2009..

- 77- جيمس هنرى برستيد.. ترجمة د. سليم حسن.. فجر الضمير.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 2000..
- 78- أدولف ارمان.. ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر، د. محمد أنور شكرى.. ديانة مصر القديمة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 1997..
- 79- دانييل كيفلس وليروى هود.. ترجمة د. أحمد مستجير.. الجينوم البشرى.. القضايا العلمية والاجتماعية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة.. 2002..
- 80- د. محمد فتحي.. التحكم الوراثي فى الانسان (الجينوم)..
- 81- د. على محمد على عبد الله.. التلوث البيئى والهندسة الوراثية..
- 82- د. عبد الحليم منتصر.. الوراثة والجنس..
- 83- ويليام بيتز.. ترجمة د. أحمد مستجير.. الهندسة الوراثية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. 2000..
- 84- د. أحمد الشرفاوى و د. أحمد العبرى.. الهندسة الوراثية وتطبيقاتها فى الانتاج النباتى..
- 85- د. ابراهيم حامد الأنصارى.. النظام المالى فى الاسلام.. مطبعة دار البيان.. 1980..
- 86- عباس محمود العقاد.. الانسان فى القرآن.. دار نهضة مصر للطبع والنشر..
- 87- ابن تيمية.. السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية.. دار الشعب.. 1971..
- 88- عباس محمود العقاد.. عبقرية عمر.. دار التعاون للطبع والنشر.. 1980..
- 89- السيوطى.. تاريخ الخلفاء.. المكتبة التجارية الكبرى.. الطبعة الرابعة.. 1969..
- 90- ابن خلدون.. المقدمة.. مكتبة دار الشعب..
- 91- السيد سابق.. فقه السنة.. مكتبة دار التراث..
- 93- ابن خلدون.. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر..
- 94- ويكيبيديا.. الموسوعة الحرة.. مادة هكسوس.. شبكة المعلومات العنكبوتية..

- 95- عمر محمد أبو العطا.. بنى اسرائيل بين الفراعنة والمكسوس.. شبكة ابن مريم  
الاسلامية.. شبكة المعلومات العنكبوتية..
- 96- الحقيقة الغائبة.. فرعون وقومه كانوا هكسوس من فلسطين وبادية الشام  
وليسوا مصريين.. شبكة فلسطين للحوار.. شبكة المعلومات العنكبوتية ..
- 97- سعيد ثابت.. فرعون موسى..
- 98- سعيد أبو العينين.. الفرعون الذى يطارده اليهود.. كتاب اليوم(1997)..
- 99- مؤمن محمد سالم الباحث فى علم الأجناس البشرية(الأنثروبولوجيا) وعلم  
الأعراق(الأنثولوجيا).. فرعون موسى..
- 100- موريس بوكاى.. القرآن والتوراة والانجيل والعلم..
- 101- كريستين نوبكلور.. حياة الملك رمسيس..
- 102- ماكس مولر.. أصل الدين وارتقاؤه(1889)..
- 103- تفسير الطبرى..
- 104- الطبرى.. تاريخ الأمم والملوك..
- 105- د. ندى اسماعيل.. أصول اللغة العربية وقواعدها.. مركز الشرق الأوسط  
الثقافى-106..

[www.Aljazeera.com.who.built.the.sphinx.By.priNcE HiTcH](http://www.Aljazeera.com.who.built.the.sphinx.By.priNcE HiTcH)

- 107-Hall.. The Ancient History of the Near East..  
1st Edition, pp.: 408 – 409.
- 108-Stem Cells Arabia, Dr.A.A.Hakim, M.D., ph.D.|  
001.239.292.3730
- 109-Safia M. Salem.. An introduction to optics.. Dar  
Al-Ma`aref.. Cairo(1970)..



## الفهرس

- طريق الاسلام 7
- الاسلام دعوة المرسل 19
- أصل الاسلام فى الأزل 28
- وكان الناس أمة واحدة 31
- الكتاب 33
- القرآن 37
- اختلاف أهل الكتاب 42
- هذا بيان للناس 55
- تقسيم الناس بالنسبة للعقيدة 57
- 1المؤمنون 57
- 2الكفر والكافرون 62
- 3الشرك والمشركون 67
- 4الفسوق والفاسقون 71
- 5النفاق والمنافقون 75
- 6الذين فى قلوبهم مرض 76
- 7المنكرون لليوم الآخر والدهريون 77
- مفهوم الدين 80
- الأديان 84
- \*فارس 104
- \*الهند 106
- \*الصين 108

- \*اليابان 109
- \*اليونان 110
- \*الرومان 111
- \*العرب 111
- \*استراليا وأفريقيا وأوروبا 112
- علم الله تعالى وعلم البشر 114
- المعاملات فى الاسلام(الأموال والثروات) 117
- الفتن.. وأشراف يوم الدين 150
- الوحي.. وفجر الفلسفة 162
- تقنية الاستنساخ 175
- نهایة بنى اسرائيل فى القرآن 181
- الأرض ثابتة ولا تدور 183
- هيروغليفية شامبليون.. والتاريخ المصرى القديم 204
- الأهرامات.. وعاد ارم 232
- المصادر 250



